الجامعـة الإسلاميـــــــة – غزة
عـمـادة الدراســــــــات العليا
كـلـيـــــــــة أصـــــول الدين
قسـم التفســــــير وعلوم القرآن



المحن والابتلاءات في سورتي يوسف والقصص "دراسة موضوعية"

إعـــداد الطـــالـــبة

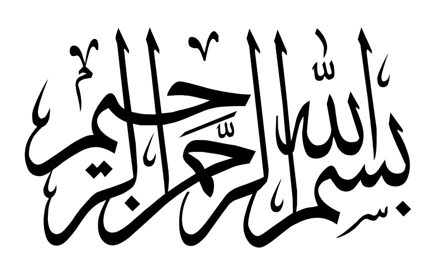
مـــريم أمـــين خـــضر

إشـــراف الدكـــتور

محمود هاشم عنبر

بـــحث مقـــدم لاستكمال متطلبات درجة الماجـــستير
في التفســـير وعلوم القرآن

١٤٣٢هــ - ٢٠١١م



﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[يوسف:١١١].

الإهــداء

إلى خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه.

إلى روح والدي الحبيب رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

إلى والدتي الحبيبة أمدّ الله في عمرها، وأبقاها شمعة مضيئة بيننا تنير.

إلى زوجي العزيز وأبنائي وبناتي الأعزاء.

إلى إخوتي وأخواتي حفظهم الله.

إلى أستاذي الفاضل الدكتور محمود هاشم عنبر حفظه الله.

إلى أساتذتي في كلية أصول الدين والدراسات العليا حفظهم الله.

إلى جميع أقاربي وصديقاتي في العمل والدراسة.

إلى أرواح الشهداء، وإلى الأسرى في سجون الاحتلال.

إلى أبناء شعب فلسطين المرابطين.

إلى كل هؤلاء وإلى المسلمين عامة.

أهدي هذا الجهد المتواضع سائلة المولى ﷻ أن يتقبله مني وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

شـــكـــر وتـــقديـــر

عملاً بقوله تعالى: ﴿ **...رَبِّ أَوْزِعْـنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَـتَكَ الَّتِـي أَنْعَمْــتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ {النمل:١٩} فإني أتوجه بالحمد والشكر لله ﷻ أن منّ علي بكرمه وفضله وإحسانه، وأعانني على تفهم آياته ووفقني لإنجاز هذا البحث المتواضع.

ثم الشكر إلى والدتي الحبيبة التي غمرتني بفضلها علي وبدعائها المتواصل لي وطلب العون من الله أن يوفقني لما بدأت وأن يتقبل مني ما أتممت.

ثم الشكر إلى رفيق دربي زوجي الأستاذ ناظر أبو سعدة، الذي هيّأ لي الظروف المناسبة والذي شجعني لمواصلة مسيرتي التعليمية.

ثم الشكر إلى أبنائي وبناتي الأعزاء الذين وقفوا بجانبي متفهمين ما أمر به من ظروف شغلتني عنهم بسبب استكمال مسيرتي التعليمية.

والشكر والتقدير إلى الدكتور محمود هاشم عنبر مشرفي على هذا البحث الذي طالما شجعني إلى أن استكملته وأتممته.

والشكر والتقدير للدكتور/ جمال محمود الهوبي.

والدكتور/ زهدي محمد أبو نعمة.

اللذان تفضلا مشكورَين قبول مناقشتي وإثراء بحثي بمعلوماتهما القيمة وتوجيهاتهما السديدة.

والشكر والتقدير لعميد كلية أصول الدين، وإلى جميع الأساتذة في كلية أصول الدين الذين استقيت منهم هذا العلم العظيم، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وإلى إخوتي وأخواتي وأقاربي وزميلاتي في العمل الذين وقفوا بجانبي إلى أن أنهيت مسيرتي التعليمية فجزاهم الله عني خير الجزاء.

والشكر للأستاذ أبومحمد الداموني الذي قام بطباعة هذا البحث وكان خير مساعد لي في إتمامه وإبرازه بهذا الشكل.

وكما أشكر كل من ساهم في إخراج هذا البحث إلى النور سائلةً الله جل جلاله أن يثيب هؤلاء جميعاً وأن يجعل عملهم في ميزان حسناتهم.

المـــقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.....أما بعد:

في ظل هذا الواقع المرير الذي تحياه أمَّة الإسلام اليوم، حيث يُحْكِمُ عليها الظلم والطغيان، وتشتد عليها المحن والابتلاءات، ويستعلي فيه الباطل على الحق، ويتطاول فيه حثالات الناس وأقزام البشر على أبناء خير أمَّة أخرجت للناس، ويتربع على صدور المؤمنين مجموعة من الرويبضة(1) الذين قاءهم الاستعمار على عروش بلاد المسلمين وتركهم ليكونوا أذناباً له، ومعاول هدم وأدوات طيِّعة في يده، حتى أصبحت اليوم أمَّة الإسلام التي امتلكت في حين من الزمان دولةً لا تغيب عنها الشمس؛ أمَّةً هزيلة ضعيفة، تهاب أعداءها ولا يحسب لها عدوها حساباً، ويغير عليها القاصي والداني، فلا تستطيع أن ترد عن نفسها صفعةً تصفعها، أو تصرف عن أبنائها أذيةً توجه إليها، لم يعد لها مكانةٌ مؤثرة على الخارطة السياسية، وليس لها وزن في الموازين العسكرية الدولية، وليس ذلك من ضعف قوة، أو قلة عدد، أو شحة ثروات وموارد، بل لأن أبناء الأمة أصبحوا غثاءً كغثاء السيل، بسبب حب الدنيا وكراهية الموت، وقد تحقق ما تنبأ به الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى محمد ﷺ حيث قال: **[يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ]**(2).

وفي خضم ما تمرُّ به الأمّة من أحداث جسام، وما يمرّ به أبناؤها من محنٍ وابتلاءات، كان لابد من لفت أنظار المؤمنين الصابرين على المصائب، والباحثين عن أسباب الفرج من الكربات، ووسائل الخلاص من الشدائد والنكبات، إلى المنهج الرباني الذي سعد بالتمسك به المسلمون الأولون، ومكن الله لهم في الأرض حين اعتزوا بتعاليمه، والتزموا منهجه، ونظراً لحاجة الأمة اليوم إلى النماذج القرآنية الواقعية، لإعادة بناء شخصيتها

---

(1) الرويبضة: الرجل التافه الحقير ينطق في أمر العامة، انظر: لسان العرب، ج ٢/ص١٥٦٠.

(2) مسند أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب ومن حديث ثوبان، حديث ٢٢٤٥٩، ج٥/ص٣٢٨، وصححه الألباني.

وطمأنة أبنائها، وشحذ عزائمهم واستنهاض هممهم، وذلك من خلال التزام المنهج الرباني، فقد وقع اختياري على موضوع بعنوان:

المِحن والابتلاءات في سورتي يوسف والقصص

" دراسة موضوعية "

حيث اشتملت هاتان السورتان على العديد من المحن والابتلاءات، وأظهرتا المنهج الرباني في الانتصار على المحنة، وكيف يمكن تحويلها إلى منحة، كما وتجسد لنا السورتان سنة من سنن الله مع عبادة المؤمنين، وهي تفريج كرباتهم بعد الشدة والضيق، والتمكين لهم في الأرض بعد الخوف والتشرد والمحنة والابتلاء حيث يقول ربنا – ﷻ – في نهاية سورة يوسف: ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [يوسف: ١١٠] ويقول في بداية سورة القصص: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾[القصص: ٥-٦].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبرز أهمية هذا الموضوع، من منطلق حاجة الأمة الإسلامية اليوم، إلى تغيير واقعها واستعادة أمجادها، وذلك بالعودة إلى المنهج الرباني القرآني، في تحدي الطغيان والانتصار على الباطل، وحاجة أبناء الأمة أيضاً المضطهدين في بلادهم، والمقهورين من قبل أعداء الدين، والصابرين على المحن والابتلاءات والشدائد، إلى تبصيرهم بسنن الله، وتسليتهم بوعد الله ونصره لعباده المؤمنين، وأخذ العبر والعظات ممن ابتلي من قبلهم؛ وهم أنبياء الله يوسف وموسى – عليهما السلام – واللذان هما خير منهم عند الله، ثم قدّر الله لهما الفرج بعد الكرب، والتمكين بعد الإيذاء والضعف، وأما عن أسباب اختيار الموضوع فهي كثيرة أذكر أهمها:

١- افتقار المكتبة الإسلامية إلى رسالةٍ علميةٍ محكمةٍ، تتناول هذا الموضوع في إطار دراسةٍ تفسيريةٍ موضوعيةٍ.

٢- كثرة المحن والابتلاءات والكربات في واقع الأمة الإسلامية المعاصر.

٣- حاجة الأمة الإسلامية في هذا العصر إلى تطبيق المنهج الرباني في تحدي الطغيان الكفري المعاصر.

٤- حاجة أبناء الأمة الإسلامية إلى دراسة سيرة بعض الأنبياء السابقين كيوسف وموسى - عليهما السلام - والتي كانت حياتهما سلسلة من الابتلاءات بعضها أشد من بعضها الآخر، من أجل التسلية وأخذ العبر والعظات.

٥- تشجيع أستاذي ومشرفي الدكتور محمود عنبر لي على طرق هذا الموضوع، والبحث في غماره، والذي اعتَبَر الموضوع جديراً بالبحث والعناية.

٦- المساهمة في استكمال جهود العلماء السابقين، وإثراء الموضوع بكل ما هو جديد.

٧- حاجة العصر الملحة إلى الحلول القرآنية، لعلاج قضايا الأمة خاصة والقضايا الإنسانية عامة، وذلك من خلال ذكر هذه النماذج القرآنية، ومدى صبرها على البلاء، وتمسكها بعقيدتها وثوابتها، وعرض صور من تضحياتها مقابل الحفاظ على دينها، وتمكينها في الأرض.

٨- اشتمال سورتي يوسف والقصص على العديد من المحن والابتلاءات، وعلى منهج القرآن الكريم في حلولها والتغلب عليها.

ثانياً: أهداف البحث وغاياته:

لهذا البحث أهداف وغايات عديدة أذكر أهمها:

١- ابتغاء مرضاة الله ﷻ فهو أعظم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.

٢- المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع هام من موضوعات القرآن الكريم؛ له علاقة وثيقة بالواقع المعاش.

٣- إبراز دور القرآن الكريم في التصدي للطغيان إذا اشتدت المحن وعمَّت الابتلاءات.

٤- أخذ العبر والعظات من ابتلاءات ومحن الأمم الماضية، واستشراف النصر والتمكين في المستقبل؛ من خلال الاستئناس بوعود الله لعباده المؤمنين، والإيمان بسنن الله ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

٥- بشارة أبناء الأمة بالنصر والفرج القريب، من خلال ذكر نماذج قرآنية في السورتين، لأفراد وأمم عمَّتها الابتلاءات، وأثقلت كاهلها المحن والشدائد، فأكرمها الله بالمنحة بعد المحنة، وباليسر بعد العسر، وبالفرج بعد الضيق والعنت.

٦- المساهمة في النهوض بالتفسير الموضوعي، من خلال البحث في موضـــوعٍ قرآنـــيٍ هامٍ؛ لم تتطرق إليه الدراسات السابقة، في إطار دراسةٍ موضـــوعيةٍ، ولـــم تربطـــه بقضايا العصر وواقع الأمة الإسلامية المُعاش.

٧- إبراز دور القرآن الكريم في عـــلاج مشـــكلات الإنســـانية؛ الماضـــية والحاضـــرة والمستقبلية، وبيان أن المحن والابتلاءات التي تمر بها الأمة اليوم؛ واقعةٌ في إطـــار وحدود علاجات المنهج القرآني الرباني.

٨- لفت الأنظار إلى أهمية عودة الأمة إلى كتاب ربها ﷻ وسنة نبيها ﷺ، والتأكيد على أن الإسلام هو الحل، وذلك من خلال دراسة المنهج القرآني الرباني في علاج المحن والشدائد، في ضوء سورتي يوسف والقصص.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث في العديد من المكتبات ومراكز البحوث العلمية، تبين للباحثة عدم وجـــود دراساتٍ علميةٍ محكمةٍ، تتناول هاتين السورتين في إطار دراسة موضوعية، وتربط أحداثهما بواقع الأمة المُعاش، وقد لاحظَت الباحثة، أن الدراسات السابقة قد تناولـــت بعـــض جوانـــب السورتين من قبيل الثقافة الإسلامية، أو الدراسة التحليلية، بعيداً عن تناول موضوع المحـــن والابتلاءات؛ بهذا العنوان الجديد والطرح العلمي المعاصر، كما وقامت الباحثة بمراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فأفاد بعدم وجود دراسةٍ علميـــةٍ محكمـــةٍ لهـــذا الموضوع في قاعدة المعلومات.

رابعـــاً: منـــهج البـــحث:

اعتمدت بعون الله تعالى على المنهج الاستقرائي الوصفي، وذلك من خلال ما يلي:

١- جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن المحن والابتلاءات في سورتي يوسف والقصـــص، ووضع عناوين لها تتمثل في عناوين المباحث الرئيسة، والمطالـــب المتفرعـــة عنهـــا، ودراسة الآيات دراسةً موضوعيةً.

٢- استخراج الآيات القرآنية التي تتحدث عن المنهج القرآني الرباني في التصدي للطغيان، والانتصار على المحن والابتلاءات والشدائد في سورتي يوسف والقصص، ودراستها دراسةً موضوعيةً.

٣- الاستشهاد بالأحاديث النبوية الصحيحة، والتي تخدم موضوع البحث، ومحاولة نقل حكم العلماء على الأحاديث ما أمكن.

٤- اتباع كل قواعد البحث العلمي والالتزام بها؛ خاصة علامات الترقيم المختلفة في متن البحث، أو ما يتعلق بقواعد التوثيق في الحاشية.

٥- الحرص على استقياء المعلومات من المصادر الأصلية، ثم الحديثة، وترتيبها أثناء التوثيق حسب الأصول العلمية والقواعد البحثية.

٦- توضيح معاني المفردات الغريبة، والأسماء المغمورة، والبلدان المجهولة، من خلال قواميس اللغة ومعاجم الرجال والبلدان.

٧- محاولة ربط موضوعات السورتين بالواقع المعاصر ما أمكن، وذلك تحقيقاً لثمرة البحث وإثرائه بكل ما هو جديد.

٨- عمل الفهارس اللازمة للبحث؛ كفهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والأعلام المترجم لهم، والمصادر والمراجع والموضوعات.

خامساً: خطة البحث:

وتحقيقاً لهذه الأهداف والغايات فقد جعلت هذه الدراسة من مقدمةٍ وتمهيدٍ وثلاثة فصولٍ وخاتمةٍ.

أما المقدمة

فتشتمل على:

١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
٢- أهداف البحث وغاياته.
٣- الدراسات السابقة.
٤- منهج البحث.
٥- خطة البحث.

التمـــــهيد

وقــــفات مــــع مــعــاني المــحن والابــتلاءات

المبــحــث الأول

تعريف المحنة لغةً واصطلاحاً والعلاقة بينهما

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المحنة لغةً.

المطلب الثاني: تعريف المحنة اصطلاحاً.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحنة.

المبحــث الثــاني

تعريف الابتلاء لغةً واصطلاحاً والعلاقة بينهما

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الابتلاء لغةً.

المطلب الثاني: تعريف الابتلاء اصطلاحاً.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للابتلاء.

الفــصــل الأول

بــين يــدي ســورتي يوســف والقصــص

وفيه مبحثان

المــبــحــث الأول

بين يــدي ســورة يوســف

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تسمية السورة وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكيها ومدنيها.

المطلب الثالث: فضلها وسبب نزولها.

المطلب الرابع: محور السورة وهدفها العام.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب السادس: مناسبة آخر السورة لأولها.

المــبحــث الثـــانـــي

بـــين يـــدي ســـورة القصـــص

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تسمية السورة وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكيها ومدنيها.

المطلب الثالث: فضلها وسبب نزولها.

المطلب الرابع: محور السورة وهدفها العام.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها من السور.

المطلب السادس: مناسبة آخر السورة لأولها.

الفـــصـــل الثـــانـــي

المحـــن والابتلاءات في ســـورتي يوســـف والقصـــص

وفيه مبحثان:

المــبحــث الأول

المحـــن والابتـــلاءات في ســـورة يوســـف

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: محنة يوسف عليه السلام مع إخوته وابتلاؤه بحسدهم له.

المطلب الثاني: محنة يوسف عليه السلام في الجُبّ.

المطلب الثالث: محنة يعقوب عليه السلام وابتلاؤه بفقد يوسف.

المطلب الرابع: محنة يوسف عليه السلام وابتلاؤه في بيت العزيز.

المطلب الخامس: محنة يوسف عليه السلام وابتلاؤه في السجن.

المطلب السادس: محنة إخوة يوسف عليه السلام باحتجاز أخيهم بنيامين.

المطلب السابع: محنةُ يوسف عليه السلام وابتلاؤه باتهام إخوته له بالسرقة.

المطلب الثامن: محنةُ يعقوب عليه السلام وابتلاؤه بولده الثاني بنيامين.

المــبحــث الثـــانـــي

المحـــن والابتـــلاءات في ســـورة القصـــص

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: محنة بني إسرائيل وابتلاؤهم بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم.

المطلب الثاني: محنة أم موسى وابتلاؤها بإلقاء موسى عليه السلام في اليمّ.

المطلب الثالث: محنة موسى عليه السلام بقتله القبطي وفراره إلى مَدْين.

المطلب الرابع: محنة ابتلاء موسى عليه السلام بابتلائه بالفقر.

المطلب الخامس: محنة موسى عليه السلام وابتلاؤه عند تكليفه بالرسالة.

المطلب السادس: محنة قوم قارون من خلال استعلائه عليهم بالمال والجاه والسلطان.

المطلب السابع: محنة تكذيب النبي ﷺ من قبل المشركين.

الفــصــل الثــالــث

المنهــج القــرآنــي فــي التصــدي للطــغيــان

وفيه مبحثان:

المــبحــث الأول

المنهــج القــرآني في التصــدي للطــغيان في ضوء ســورة يوســف

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حفظ الله ليوسف عليه السلام من قتل إخوته له.

المطلب الثاني: صرف الله الكيد عن يوسف عليه السلام في بيت العزيز.

المطلب الثالث: كيد الله ليوسف عليه السلام من إخوته ومعاقبتهم على أفعالهم.

المــبحــث الثــانــي

المنهــج القرآنـــي في التصــدي للطــغيان في ضـــوء ســورة القصـــص

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: العناية الإلهية بموسى عليه السلام في طفولته وحفظ الله له من فرعون.

المطلب الثاني: تـمكين الله لمـوسى عليه السلام فـي بلاد مدين وتزوجه من إحدى بنات شعيب عليه السلام.

المطلب الثالث: هلاك فرعون وأتباعه وقارون وخزائنه.

الخاتمة: وستشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي ستتوصل إليها الباحثة.

الفهارس: وتشتمل خمسة فهارس:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس المصادر والمراجع.

٥- فهرس الموضوعات.

التمهيد

وقــفات مــع مــعاني المــحن والابــتلاءات

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف المحنة لغـــــةً واصطلاحاً والعـــلاقة بـــينهـــما.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المحنة لغةً.

المطلب الثاني: تعريف المحنة اصطلاحاً.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحنة.

المبحث الثاني: تـــعريف الابـــتلاء لغـــة واصـــطلاحاً والعـــلاقة بينهما

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الابتلاء لغةً.

المطلب الثاني: تعريف الابتلاء اصطلاحاً.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للابتلاء.

المبحث الأول

تعريف المحنة لغةً واصطلاحاً والعلاقة بــينهما

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المحنة لغةً.

المطلب الثاني: تعريف المحنة اصطلاحاً.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحنة.

المبحث الأول

تعريف المحنة لغةً واصطلاحاً والعلاقة بينهما

المطلب الأول: تعريف المحنة لغةً:

المحنة واحدة المحن: الميم والحاء والنون حروف ثلاث على غير قياس.

الأولى المحن: أي الاختبار، والخبرة، ومحنه، وامتحنه بمنزلة خبرته واختبرته وبلوته وابتليته؛ والمحنة التي يمتحن بها الإنسان من بلية ومنه قوله ﷺ قال: **[الْقَتْلَى ثَلاثَةٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ فِي خَيْمَةِ اللَّهِ تَحْتَ عَرْشِهِ لاَ يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلاَّ بِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ...]**[١].

الشهيد الممتحن هو المصفى المهذب المخلص أي الذي لم يبقَ فيه شائبة تشوبه وهذا من محنت الفضة إذا صفيتها، وخلصتها بالنار، والممتحن، والممحص واحد، والامتحان مقياس الرسوب، والنجاح.

وقال الإمام مجاهد[٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿**...أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى...**﴾ {الحجرات:٣}. قال:(خلص الله قلوبهم ووسعها للتقوى)[٣].

وامتحن القول دبر فيه ونظر والمحنة بدعة حيث يأخذ السلطان الرجل فيمتحنه ويقول: فعلت كذا، وكذا، فلا يزال به حتى يقول: ما لم يفعله أو مالا يجوز قوله، وقال ابن جني[٤] :(محونته عاره)، وتباعته يجوز أن يكون مشتقاً من المحنة لأن العار من أشد المحن كالقتل أو

---

(١) سنن الدارمي، للدارمي، كتاب الجهاد، باب في صفة القتل في سبيل الله، ج٢/ص٢٧٢، حديث ٢٤١١، وحسّنه الألباني.

(٢) هو مجاهد بن جبر، شيخ القراء والمفسرين، المتوفى سنة ١٠٢هـ، انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء، لأحمد الحمصي، ج١/ص١٥٨.

(٣) تفسير الإمام مجاهد، ص: ٦١٠.

(٤) هو عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو وله شعر، ولد بالموصل سنة ٣٩٢هـ، ١٠٠٢م،وتوفي ببغداد عن عمر ٦٥عاما، انظر: الأعلام، للزركلي، ج٤، ص٢٠٤.

أشد، وكذلك المحنه معنى الكلام الذي يمتحن به ليعرف بكلامه ضمير قلبه الثانية: فما محنني شيئاً أي ما أعطانيه فتكون المحنة بمعنى العطية.

الثالثة: مَحَنَهُ سوطاً أي ضربه ومَحْنة السوط لينه، ومحنتُ الثوب محناً إذا لبسته، ومحنت الأديم محناً إذا مددته حتى توسع، والمحن اللين من كل شيء، والجلد الممتحن أي المقشور(١).

فمن خلال المعنى اللغوي للمحنة يتبين للباحثة أنّ المحنة في اللغة وردت بمعنى الاختبار، والابتلاء، والتمحيص ، والامتحان كما يأتي المحن في اللغة بمعنى العطية، والضرب، واللين واللبس، والمد حتى التوسع، والعار، والبدعة، والتصفية من الشوائب، وغيرها.

المطلب الثاني: تعريف المحنة اصطلاحاً:

المحنة عند الإمام الرازي: "الامتحان وهو الابتلاء بالحلف"(٢).

المحنة عند الإمام ابن عاشور: "الامتحان: الاختبار"(٣).

المحنة عند الإمام الأصفهاني(٤): "المحن والامتحان نحو الابتلاء"(٥).

من خلال المعاني الاصطلاحية السابقة اجتهدت الباحثة في وضع تعريف اصطلاحي جامع ومانع للمحنة وهو امتحان الإنسان وابتلاؤه وتمحيصه بمصيبة في دينه، أو نفسه، أو أهله أو ماله يعرف بها صبره أو عدمه من خلال هذه المحنة.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحنة:

إنّ من معاني المحنة لغةً الاختبار، والابتلاء، والخبرة بالشيء، والتصفية من الشوائب، والنظر، والتدبر، والتليين بالطّرد، والتليين في كل شيء، والتوسعة في الأمر، والبدعة، والعطية، والضّرب، والعار، وكل هذه المعاني فيها شدّة، ومشقة، وقد تتفق مع المعنى

---

(١) انظر: (معجم مقاييس اللغة)، لابن فارس، ج٥/ص٣٠٢، و(لسان العرب) لابن منظور، ج٥/ص٤١٥٠، و(محيط المحيط)، لبطرس البستاني، ص٨٤١، و(مفردات ألفاظ القرآن الكريم) للراغب الأصفهاني، ص٧٦٢.

(٢) التفسير الكبير، للرازي، ج٢٩/ص٣٠٥.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٢٨/ص١٥٦.

(٤) أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، عالم من علماء اللغة والبلاغة والنحو والصرف، وصف بأنه أحد أئمة أهل السنة، من أجل كتبه: المفردات في غريب القرآن، توفي سنة ٥٠٢هـ، انظر ترجمته في مقدمة كتابه: المفردات في غريب القرآن، ص٣-٤.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، ص٧٦٢.

الاصطلاحي حيث إن المحنة شيء يختلق، وبدعة يبتلى بها الإنسان فيختبر بها فالمحنة أمر فيه شدة ومشقة وشر للإنسان فإذا حلت بالإنسان أو أصيب بها تظهر ما يخفى من معدن الإنسان، وهذا يلتقي مع معنى الجلد المقشور الذي يظهر مانحته كذلك عرض الفضة والذهب على النار حتى تنقى من الشوائب وتصبح لينة، لدرجة أن الذهب النقي من شدة ليونته يضاف إليه مواد نحاس وغير ذلك ليصبح صلباً حتى يستطيع الصائغ صنع الحلي منه؛ فكذلك الإنسان الممتحن تكون المحنة وقعها عليه كالنار، حتى يصفى من كل شعب النفاق فيخرج جيده من رديئة، ويسقط رديئة، وبذلك يكون الامتحان مقياساً لكلا الصنفين؛ فالإنسان الذي يصبر ويكون قلبه مع الله خالصاً نقياً يجتاز هذه المحنة ولا يتغير إيمانه بل يزيد تعلقه بالله خرج من هذا الامتحان أكثر صلابة في إيمانه، ووسع في أمره، ولين فيه حتى يرتقي لدرجة الذهب الخالص اللين والمعروف أن الذهب من أرقى المعادن وأجودها.

وهذا يلتقي مع معدن هذا الإنسان الذي يكون في أرقى الدرجات عند الله سبحانه وتعالى وأنقاها وذلك مما يؤكده تفسير المفسرين في قوله تعالى : ﴿**...أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى...**﴾ {الحجرات:٣} أن وسّع قلوبهم وخلصها من شوائب النفاق، وطهّرها من كل قبيح ووضع فيها تقوى الله سبحانه وتعالى ليصلوا إلى المنزلة التي أرادها الله لهم[١].

فمن خلال ذلك يتبين للباحثة أن العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية علاقة ترادف وتفصيل.

---

(١) انظر: (فتح القدير)، للشوكاني، ج٥/ص٨٥.

المبحث الثاني

تعريف الابتلاء لغةً واصطلاحاً والعلاقة بينهما

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الابتلاء لغةً:

الابتلاء وهو مصدر من بلوى، والباء، واللام، والياء أصلان، أحدهما: إخلاق الشيء وهو بلي يبلى فهو بال، وابتلي مصدره، وإذا فتح فهو بلاء.

أما الأصل الآخر: فقولهم بلي، وبلا وبلوت الرجل بلواً وابتليته اختبرته وبلاه يبلوه بلواً إذا جرّبه واختبره وأبلى بمعنى أخبر، وابتلاه الله امتحنه وهذا من الامتحان وهو الاختبار.

والاسم البلوي، والبلوة، والبلية، والبلاء، وبُلي بالشيء بلاءً، وابتلي، والبلاء يكون في الخير والشر، حيث قال تعالى: ﴿**...وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً...**﴾ {الأنبياء:٣٥}.

يقال ابتليته بلاءً حسناً، وبلاءً سيئاً، والله تعالى يبلي العبد بلاءً حسناً، ويبليه بلاءً سيئاً، والبلاء يكون منحة في الخير، ويكون محنة في الشر إلّا أنه بذلك يختبر في صبره، وشكره، والبلاء الغم كأنه يبلي الجسم، والتكليف بلاء لأنه شاق، أو لأنه اختبار، ومنه قيل لمن سافر، بلو سفر، وبلي سفر، أي: أبلاه السفر.

ومما يحمل أيضاً أبليت فلاناً عذراً، أي أبان له القدر وبيّنته فيما بيني وبينه فلا لوم عليّ بعد كذلك، أبليته يميناً أي طيبت نفسه بها.

ويقول العرب: أبلني كذا، أي أخبرني، فيقول الآخر لا أبليك، منه حديث أم سلمة حين ذكرت قول النبي ﷺ: **[إِنَّ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لاَ يَرَانِي بَعْدَ أَنْ أُفَارِقَهُ فَخَرَجَ فَلَقِيَ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَجَاءَ عُمَرُ فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهَا: بِاللَّهِ مِنْهُمْ أَنَا فَقَالَتْ لاَ وَلَنْ أُبْلِيَ أَحَدًا بَعْدَكَ]**.(١) أي لن أخبر(٢).

من خلال ما سبق يتبين للباحثة أنّ الابتلاء في اللغة ورد بمعانٍ متعددة منها الاختبار، والامتحان، والتجربة، والإعلام، والبيان، والإخبار.

---

(١) مسند أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، من حديث أم سلمة، ج٦/ص٣٢٣، حديث ٢٦٥٤٥، وصححه الألباني.

(٢) انظر: (مفردات ألفاظ القرآن)، للراغب للأصفهاني ص١٤٦، و(لسان العرب) لابن منظور، ج١/ص٣٥٤، ٣٥٥، و(معجم المقاييس في اللغة)، لابن فارس، ج٨/ص٢٩٢، ٢٩٣، و(القاموس المحيط)، للفيروز آبادي، ص١٦٣٢.

المطلب الثاني: تعريف الابتلاء اصطلاحاً:

الابتلاء عند الإمام القرطبي: "الابتلاء: الامتحان والاختبار، معناه أمر وتعبد"[(١)].

الابتلاء عند الإمام الشوكاني: الابتلاء: "الامتحان والاختبار،أي ابتلاه بما أمره به"[(٢)].

تعريف الابتلاء عند الإمام البيضاوي: "الابتلاء في الأصل التكليف بالأمر الشاق من البلاء"[(٣)].

تعريف الابتلاء عند الإمام الزحيلي: "الابتلاء: الاختبار، أي معرفة حال المختبر بتكليفه بأمور يشق عليه فعلها أو تركها ليجازيه عليها"[(٤)].

الابتلاء عند الإمام الثعلبي: الابتلاء: "الاختبار من الله عز وجل لعباده عن علم منه سبحانه بباطن أمرهم وظاهره وإنما يبتليهم ليظهر منهم سابق علمه فيهم"[(٥)].

الابتلاء عند القاسمي: "ابتلاء العباد: الابتلاء في الأصل: الاختبار. أي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لأمر يشق عليه غالباً، فعله أو تركه"[(٦)].

الابتلاء عند ابن عاشور: "الابتلاء افتعال من البلاء، وصيغة الافتعال هنا للمبالغة، والبلاء والاختبار وهو مجاز مشهور فيه لأن الذي يكلف غيره بشيء يكون تكليفه متضمناً انتظار فعله، أو تركه فيلزمه الاختبار فهو مجاز على مجاز"[(٧)].

تعريف الابتلاء عند الشعراوي: الابتلاء: "هو امتحان إن نجحنا فيه فهو خير وان رسبنا فيه فهو شر، فالابتلاء ليس شراً ولكنه مقياس لاختبار الشر والخير"[(٨)].

فمن خلال استعراض المعاني الاصطلاحية السابقة اجتهدت الباحثة في استنباط معنى اصطلاحي جامع ومانع للابتلاء وهو اختبار من الله سبحانه وتعالى في أي جهة تخصه، أو تلزمه، وقد يكون في الخير، أو الشر، ففي الخير يكون منحة فيتطلّب الشكر لله، وفي الشر يكون محنة فيتطلّب الصبر.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٢/ص٦٦.

(٢) فتح القدير، ج١/ص١٥٠.

(٣) أنوار التنزيل، ج١/ص٣٩٤.

(٤) التفسير المنير، ج١/ص٣٠٢.

(٥) الجواهر الحسان، ج١/ص١١١.

(٦) محاسن التأويل، ج١/ص٢٢٤.

(٧) التحرير والتنوير، ج١/ص٧٠١.

(٨) تفسير الشعراوي، ج١/ص٥٦٩.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للابتلاء:

من المعاني اللغوية للابتلاء الاختبار، والامتحان في الخير، والشر،، والبيان، والتبيين والإعلام، والاستحلاف، والاستعراف لمعرفة ما يخفى، وإخلاق الشيء، والإنعام، والإحسان، وهذه المعاني تتفق مع المعاني الاصطلاحية اتفاق ترادف، وبيان، وتفصيل بعد إجمال حيث إنّ الابتلاء هو امتحان واختبار للإنسان المبتلى في هذا الموطن الذي تتجلّى فيه حقيقة إيمانه وظهور حاله والتزامه بتكاليف الله ﷻ من أمر، ونهي فإذا ابتلي بالخير كان منحة من الله واقتضى شكر الله على هذه النعم وإذا ابتلي بالشر كان محنة وقد تعرضه للهلاك، والإزالة فاقتضي الصبر عليها، وازداد تمسك المبتلى في الحالتين بالله وازداد صدق عقيدته؛ وبهذا الابتلاء يتم تنقيته من خبث الخطايا كما ورد عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **[لا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ الْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ]**[١] وبهذه السنة الضرورية للنفس المؤمنة التي هي مقياس وتقييم للنفس البشرية يستطيع الإنسان المؤمن أن يحمل هذه الدعوة والنهوض بتكاليفها وإخراج مكنونها من الخير، والقوة، والاحتمال كذلك هو الطريق الحقيقي للمزاولة العملية للتكاليف في حالة الخير، والشر، والالتزام بها، والطريق الأمثل لاستمرار هذه الدعوة.

وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾{محمد:٣١}.

وقال تعالى: ﴿**...وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً...** ﴾ {الأنبياء:٣٥}.

وبذلك يتبين للباحثة أنّ المعاني اللغوية، والاصطلاحية فيها اتفاق، وترادف، وتفصيل.

---

(١) سنن الترمذي، للترمذي، ٥٦ باب ما جاء في الصبر على البلاء، ص٥٤١، حديث ٢٣٩٩، وصححه الألباني.

الفصل الأول

بين يدي سورتي يوسف والقصص

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: بين يدي سورة يوسف

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تسمية السورة وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكيها ومدنيها.

المطلب الثالث: فضلها وسبب نزولها.

المطلب الرابع: محور السورة وهدفها العام.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب السادس: مناسبة آخر السورة لأولها.

المبحث الثاني: بين يدي سورة القصص.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تسمية السورة وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكيها ومدنيها.

المطلب الثالث: فضلها وسبب نزولها.

المطلب الرابع: محور السورة وهدفها العام.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها من السور.

المطلب السادس: مناسبة آخر السورة لأولها.

المبحث الأول

بين يدي سورة يوسف

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تسمية السورة وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكيها ومدنيها.

المطلب الثالث: فضلها وسبب نزولها.

المطلب الرابع: محور السورة وهدفها العام.

المطلب الخامس مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب السادس: مناسبة آخر السورة لأولها.

المبحث الأول

بين يدي سورة يوسف

المطلب الأول: تسمية السورة وعدد آياتها:

أولا: تسمية السورة:

اتضح للباحثة من خلال اطلاعها لكتب التفسير أن هذه السورة لها اسمُ واحد وهو يوسف فقد ذُكر في ترجمة رافع بن مالك الزرقي[١] عن ابن إسحاق أن أبا رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف[٢].

ووجه تسميتها ظاهر لأن في هذه السورة قُصّت قصة يوسف عليه السلام كلها ولم تذكر قصته في غيرها إلا في سورة الأنعام، وغافر[٣].

وقال الزمخشري:" الصحيح أنّ اسم يوسف اسم عبراني؛ لأنّه لو كان عربياً لانصرف لخلوّه عن سبب آخر سوى التعريف، وقرأ بعضهم يوسف بفتح السين، وبعضهم بكسر السين"[٤].

ثانياُ: عدد آيات سورة يوسف:

أجمع العلماء أنّ عدد آيات سورة يوسف مائة وإحدى عشرة آية هذا ما نقل عن الدّاني وغيره، ولم تجد الباحثة قولاً مخالفاً لذلك[٥].

---

(١) رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جُشَم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي الزرقي يكنى أبو مالك وقيل يكنى أبو رفاعة، نقيب، عقبي، بدري، شهد العقبة الأولى والثانية، وكان نقيب بني زريق، قتل يوم أحد شهيداً. انظر: (أسد الغابة)، لابن الأثير، ج٢/ص٤٥، ٤٦، و(المعجم الكبير)، للطبراني، ج٥/ص١٧، رقم الترجمة ٤٢٣.

(٢) انظر الدر المنثور، للسيوطي، ج٤، ص٤٩٤.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج١٢/ص١٩٧.

(٤) الكشاف، ج٢/ص٣٠١.

(٥) انظر: (الكشّاف)، للزمخشري، ج٢/ص٣٠٠، و(روح المعاني)، للألوسي، ج٧/ص٢٥٥.

المطلب الثّاني: مكيّها ومدنيّها:

سورة يوسف من السور المكيّة على القول الذي لا ينبغي الالتفات إلى غيره وذلك لما أخرجه الحاكم وصححه عن رفاعة بن رافع[1] من حديث طويل يحكى فيه **[قدوم رافع مكة وإسلامه وتعليم رسول الله ﷺ إياه هذه السورة واقرأ باسم ربّك]**[2].

وكذلك أيضاً ذُكر في ترجمة رافع بن مالك الزرقي عن ابن إسحاق أنّ رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف بعد أن بايع النّبي ﷺ يوم العقبة[3].

وقد روي عن ابن عبّاس وقتادة أنّهما قالا إلا ثلاث آيات من أولّها واستثنى بعضهم رابعة وهي قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ**﴾ {يوسف:٧} مدنية؛ وقد قال السيوطي "وهو واه لا يلتفت إليه"[4].

وترى الباحثة أنّ سورة يوسف كلها مكية وهذا هو الرأي الراجح.

المطلب الثّالث: فضلها وسبب نزولها:

أولاً: فضل سورة يوسف:

لقد تعددت أقوال المفسرين في فضائل هذه السورة واختلفت هذه الأقوال ولم تستطع الباحثة الوقوف على صحة هذه الروايات فكان من بين هذه الأقوال ما هو منكر وما هو ضعيف وما هو أقوال دون إسناد هذه الروايات للرسول ﷺ ولكنى سأذكرها نقلا عمّا ذكره بعض العلماء في فضائل هذه السورة مبينة السقيم والمنكر منها ما أمكن:

١- "عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **(علّموا أرقاكم سورة يوسف فإنّه أيما مسلم تلاها أو علّمها أهله أو ما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه من القوّة أن لا يحسد مسلماُ)** وهذا من هذا الوجه لا يصح لضعف إسناده بالكلية، وقد ساق له الحافظ ابن

---

(١) رفاعة بن رافع بن مالك بن عجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري الخزرجي الزرقي، يكنى أبو معاذ، شهد العقبة، وقال ابن إسحاق: أنه ممن شهد بدراً وأحد والخندق وبيعة الرضوان والمشاهد كلها مع رسول الله، انظر: (أسد الغابة)، لابن الأثير، ج٢/ص٧٧، و(المعجم الكبير)، للطبراني، ج٥/ص٣٥، رقم الترجمة ٤٣٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين، للنيسابوري، مج٩/ج٤/ص١٥٠، الدر المنثور، للسيوطي، ج٤/ص٤٩٤.

(٣) انظر: (أسد الغابة)، لابن الأثير، ج٢/ص٤٥-٤٦.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج١/ص٣١.

عساكر متابعاً من طريق القاسم ابن الحكم عن هارون بن كثير به ومن طريق شبابة عن محمد بن عبد الواحد النضري عن علي بن زيد بن جعدان".

عن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب عن النّبي ﷺ فذكر نحوه وهو منكر سائر طرقه[١].

٢- "ما زعم عن ابن عباس أنّ حبراً من اليهود دخل على رسول الله ﷺ ذات يوم فوافقه وهو يقرأ سورة يوسف كما أنزلت على موسى في التوراة فقال: يا محمد من علّمكها قال: الله علّمنيها قال: فتعجب، الحبر لما سمع منه فرجع إلى اليهود فقال: والله إنّ محمّداً ليقرأ القرآن كما أنزل في التوراة، قال: فانطلق بنفر منهم حتّى دخلوا عليه فعرفوه بالصفّة ونظروا إلى خاتم النبوّة بين كتفيه فجعلوا يستمعون إلى قراءة سورة يوسف فتعجبوا منه وقالوا: يا محمد من علمكها، فقال رسول الله ﷺ: **[علمنيها الله ونزل: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾** {يوسف:٧} يقول لمن سأل عن أمرهم_ عن أمر إخوة يوسف_ وأراد أن يعلم علمهم فأسلم القوم عند ذلك"[٢].

٣- ويقول الشيخ محمد علي الصابوني في فضل سورة يوسف:" والسورة الكريمة أسلوب فذ فريد، في ألفاظها، وتعبيرها، وأدائها، وفي قصصها الممتع اللطيف، تسري مع النفس سريان الدم في العروق، وتجري _ برقتها وسلاستها _ في القلب جريان الروح في الجسد، فهي وان كانت من السور المكية، التي تحمل - في الغالب - طابع الإنذار والتهديد، إلا أنها اختلفت عنها في هذا الميدان، فجاءت طرية ندية، في أسلوب ممتع لطيف، سلس رقيق، يحمل جو الأنس والرحمة، والرأفة والحنان"، ولهذا قال خالد بن معدان[٣]: "سورة يوسف ومريم مما يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة " وقال عطاء: " لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها "[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٢/ص٤٤٨.

(٢) المرجع السابق، ج٢/ص٤٤٨، دلائل النبوة، للبيهقي، أبواب أسئلة اليهود وغيرهم واستبرائهم عن أحوال النبي، ج٦/ص٢٧٦، حديث ٢٥٣٦.

(٣) خالد بن معدان بن أبي كرب، شيخ أهل الشام، وهو معدود في أئمة الفقه، وهو ثقة، توفي ١٠٣هـ، انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء، لأحمد الحمصي، ج١،ص: ١٦٥.

(٤) صفوة التفاسير، للصابوني، ج٢/ص٦١٥.

كذلك تعتبر هذه السورة من أساليب الإعجاز القصصي في القرآن الكريم وضربت نموذجاً رائعا في الإعجاز البياني حيث قال العلماء ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة بألفاظ متباينة على درجات البلاغة وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها فلم يقدر مخالف على معارضة غير المتكرر والإعجاز لمن تأمل(١).

ثانياً: سبب نزول سورة يوسف:

تعددت الروايات في سبب نزول هذه السورة وسوف تذكر الباحثة بعض هذه الأسباب:

١- ما روي عن سعد بن أبي وقاص في قول الله ﷻ: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...** ﴾ {يوسف:٣} قال: **[أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلا عليهم زماناً فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا: فأنزل الله ﷻ: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾** {يوسف:١} **تلا إلى قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ... ﴾** {يوسف:٣} **فتلاه عليهم زماناً فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا... ﴾**{الزُّمر:٢٣} **قال: كل ذلك ليؤمنوا بالقرآن**(٢).

٢- تسلية للرسول ﷺ عما يفعله به قومه بما فعل إخوة يوسف عليه السلام به(٣).

٣- عن عون بن عبد عبدالله قال: **[ملّ أصحاب رسول الله ﷺ ملّة، فقالوا: يا رسول الله حدّثنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ... ﴾** {الزُّمر:٢٣}، **ثمّ ملّوا ملّة أخرى فقالوا: يا رسول الله حدّثنا فوق الحديث ودون القرآن، يعنون القصص فأنزل الله: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾** {يوسف:١-٣}(٤).

---

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص٧٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، كتاب التفسير، تفسير سورة يوسف، ج٢/ص٣٧٦، حديث ٣٣١٩، وإسناده صحيح، وحسّنه ابن تيمية.

(٣) المحرر الوجيز، لابن عطية، ج٧/ص٤٣٠.

(٤) جامع البيان، للطبري، مج١١/ج١٢/ص١٧٤، وإسناده ضعيف،وانظر:أسباب النزول، للواحدي، ج١/ص١٤٣.

المطلب الرابع: محور السورة وهدفها العام:

أولاً: محور السورة:

قد برز محور هذه السورة بروزاً جليّاً وواضحاً لا يخفى على أي قارئ لهذه السورة العظيمة، وذلك مما تجلى في الآيات القرآنية لهذه السورة من أولها إلى آخرها، حيث يدور محور السورة الرئيس حول نموذج رائع من نماذج الإعجاز القصصي في القرآن الكريم الذي يدلل ويؤكد أنّ هذا القرآن من عند الله ﷻ، وذلك ما يؤكده في قول الله ﷻ في أول السورة حيث يقول: ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ**﴾ {يوسف:١-٣}.

فالجزء الأول من المحور الرئيس للسورة يؤكد أنّ هذا القرآن من عند الله ﷻ، وما ورد فيه من أنباء الغيب، والقصص دليلٌ على إعجازه، وأنّه من عند الله، وهو مقدمة للمحور الرئيس والغالب على جو السورة هو قصة سيدنا يوسف عليه السلام. حيث قُصّت بالتفصيل الذي لا يتسرب له ملل ولا سأم.

وهذا الجزء مترابط بالجزء السابق لما فيه من الأخبار بالغيب ودليل على صدق النبوّة وذلك في قول الله ﷻ: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ**﴾ {يوسف:١٠٢}.

وقد أفرد في هذه السورة الحديث عن قصة نبي الله يوسف بن يعقوب عليهما السلام وهو يعاني صنوفاً من المحن والابتلاءات: محنة كيد الإخوة، ومحنة الجب، والخوف، والترويع فيه، ومحنة الرق وهو ينتقل كالسلعة من يد إلى يد على غير إرادة منه، ولا حماية ولا رعاية من أبويه ولا من أهله، ومحنة كيد امرأة العزيز والنسوة، ومحنة السجن بعد رغد العيش وطراوته في قصر العزيز وغيرها من المحن.

هذه المحن والابتلاءات التي صبر عليها يوسف عليه السلام وزاول دعوته إلى الإسلام من خلالها،وخرج منها كلها متجرداً خالصاً.

وكانت آخر توجهاته، وآخر اهتماماته في هذه اللحظة التوجه المخلص المتجرد المنيب إلى ربه، كما يصوره القرآن الكريم: ﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ۞ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ البَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾{يوسف:٩٩-١٠٠}

وهكذا كان طلبه الأخير، بعد ذلك كله وهو في غمرة السُّلطان والرخاء وجمع شملهم أن يتوفاه ربه مسلماً، وأن يلحقه بالصّالحين، وذلك بعد الابتلاء والمحنة، والصّبر الطّويل، وبعد أن مكّنه الله في الملك وجعله على خزائن الأرض وفي أعلى ذروات القوة(١).

وبذلك تمّ محور هذه السورة بعد أن عقّب القرآن الكريم بآيات تتجلّى فيها العبرة والموعظة من هذه السورة وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ {يوسف:١٠٣-١٠٤}، وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ {يوسف:١٠٩}.

ورسم المنهاج الرّبّاني المستقيم في مقاومة أعداء الله، ونصر الله لأوليائه بعد توالي المحن والشّدائد عليهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ {يوسف:١١٠}.

ثمّ يؤكد الله ما جاء في مقدّمة السورة وذلك في قوله تعالى: ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**﴾ {يوسف:١}، فقد فصّل وبيّن من خلال هذه القصّة كلَّ ما يحتاج إليه الإنسان في مشروعه الدَّعوي وضرب الأمثلة لتكون فيها الموعظة والعبرة للثبات والتحمل من أجل الدعوة إلى الله، وقـد ختمها الله ﷻ بقوله في خاتمة السورة: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ {يوسف:١١١}.

وبذلك برز محور السورة بروزاً جليّاً في قصّة سيدنا يوسف عليه السلام، وما فيها من أحداث ووقائع وموعظة وعبرة والله أعلم.

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، ج١٠/ص٦٦١، و(نظم الدرر)، للبقاعي، ج٤/ص٣، ٨.

ثانياً: الهدف العام للسورة:

قد تجسّد الهدف العام لهذه السورة في إثبات أنّ القرآن من عند الله ﷻ، وذلك بذكر الأدلّة التي تؤكد ذلك من خلال الإعجاز القصصي الغيبي الذي تجسّد في قصَّ قصة يوسف عليه السلام بهذا الحسن وروعة البيان، فهي من أنباء الغيب يقصها الله ﷻ على عباده بهذا الإحكام والتفصيل ليتحقق من خلالها أهداف كثيرة منبثقة عن هذا الهدف من خلال سرد هذه القصّة العظيمة، وذكرها بالتفصيل.

ومن هذه الأهداف المنبثقة عن هذا الهدف:

١. مواجهة تكذيب قريش بالوحي إلى رسول الله ﷺ بتقرير مأخوذ من هذه القصص الذي لم يكن رسول الله ﷺ حاضراً وقائعه، وتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ** ﴾ {يوسف:١٠٢}[1].

٢. التسرية عن قلب رسول الله وتهوين أمر المكذبين على نفسه وبيان مدى عنادهم وإصرارهم وعماهم من الآيات المبثوثة في الكون ، وهي حسب الفطرة السليمة في التنبه إلى دلائل الإيمان، والاستماع إلى الدعوة والبرهان ثم تهديدهم بعذاب الله الذي يفاجؤهم وهم غافلون وقد تجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۞ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ۞ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ {يوسف:١٠٣-١٠٧}.

٣. توجيه النبي ﷺ إلى تحديد طريقه وتمييزها وإفرادها عن كل طريق والمقاصد على أساسها التي تتوافق مع الدعوة إلى الله، وقد تجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ {يوسف:١٠٨}.

٤. أخذ العبرة من القصص القرآني، ومعها التثبيت، والتسرية، والبشرى للنبي، والمؤمنين، وتحمل للمشركين المعاندين رسالة في طيّاتها التذكير، والعظة، والنذير، كما أنّ فيها للجميع تقريراً لصدق الوحي، وصدق الرّسول وتقريراً لحقيقة الوحي وحقيقة الرسالة، وتجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ**

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيّد قطب، ج١٠/ص٦٦٧.

بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ {يوسف:١٠٩-١١١}.

٥. الإيحاء للنبي بالبشارة في التمكين في الأرض وذلك من خلال مناسبة قصة يوسف عليه السلام بجملتها للفترة الحرجة التي كانت تمر بها الأمّة الإسلاميّة في مكة عند نزول السورة وللشدة التي كان رسول الله ﷺ، والقلّة المؤمنة معه يتعرضون لها من الأذى والتهجير والاضطهاد والتعذيب والغربة والمقاطعة وذلك بما تحمل القصة من عرض لابتلاءات أخ كريم (يوسف عليه السلام) ثمّ بما تحمله بعد ذلك من الاستفزاز من الأرض ثمّ التمكين له والثبات[١].

ومن خلال ما سبق نرى أنّ جملة هذه الأهداف المتفرعة من الهدف العام للسورة وهو بيان أنّ القرآن كتاب هداية ورشاد لما امتاز ببيانه ووضوح أحكامه كذلك أيضاً ثبوته من عند الله والدّليل على ذلك لما امتاز به من الإعجاز القرآني المتمثّل في عرض هذا النموذج الرّائع في الإعجاز القصصي الذي تمثّل في قصّة يوسف عليه السلام.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها(يونس وهود).

أولاً: مناسبة السورة لـــما قـــبلها(هود):

بالرجوع إلى المصحف الشريف وإلى كتب التفسير ومطالعة أقوال العلماء من خلالها وجدت الباحثة أنّ مناسبة سورة يوسف لما قبلها تتلخص في الآتي:

١- التناسب في الأجواء التي نزلت فيها السورة:

هناك تشابه في الأجواء التي نزلت فيها سورة يوسف وهود ويونس حيث إنّها نزلت على النّبي ﷺ في مكة المكرّمة بعد حادثة الإسراء والمعراج.

نزلت هذه السور بعد حادثة الإسراء والمعراج، وهذا يحدد معالم هذه الفترة التي نزلت فيها وهي من أحرج الفترات وأشقّها في تاريخ الدعوة بمكة فقد سبقها موت أبي طالب وخديجة زوجة النّبي ﷺ وجرأة المشركين على ما لم يكونوا ليجرءوا عليه في حياة أبي طالب وخاصّة بعد حادثة الإسراء وغرابته واستهزاء المشركين به، وارتداد بعض من كانوا أسلموا قبله مع وحشة رسول الله ﷺ لفراق خديجة رضي الله عنها في الوقت الذي تجرأت فيه قريش عليه وعلى دعوته وبلغت الحرب المعلنة عليه، وعلى دعوته أقصى مداها وتجمدت حركة الدعوة حتى ما يكاد يدخل في الإسلام أحد من مكة وما حولها وذلك قبيل أن يفتح الله على رسوله وعلى القلة المسلمة معه ببيعة العقبة الأولى ثمّ الثّانية.

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيّد قطب، ج١٠/ص٦٦٠.

ففي هذه الفترة نزلت سورة يونس وهود ويوسف وقبلهما سورة الإسراء وسورة الفرقان وكلها تحمل طابع هذه الفترة وأشارت إلى مدى تحدي قريش وتعديها(١).

٢- التناسب في مقاصد هذه السور(يونس هود يوسف):

من أهم مقاصد هذه السور هو تسلية قلب النبي ﷺ وتثبيته من خلال قصص الرسل الذين جاؤوا قبله من أخذ العبرة والموعظة من قصصهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾{هود:١٢٠}، وقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾{يوسف:١١١}.

كذلك أيضاً نزلت دليلاً على صدق النّبي ﷺ لمواجهة تكذيب المشركين للنّبي ﷺ وطعنهم في حقيقة الوحي إلى رسول الله ﷺ فتقرر لهم أنّ هذا الوحي من عند الله وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ هَذَا القُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ {يونس:٣٧-٣٨}، وقوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ {هود:١٣}، وقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ {يوسف:١١١}.

هذه السّور: (يونس وهود ويوسف) تحمل الإشارة بالنّصر لرسول الله ﷺ وذلك من خلال بيان عاقبة الأقوام الذين كذبوا رسلهم وصدّوا عن الدّعوة.

ومن خلال بيان نتيجة صبر الأنبياء على أقوامهم وما تحملوا من الإيذاء والابتلاء حتى كان النّصر لهم وللأمّة الإسلامية وذلك تجلّى هذا الأمر في جميع الرسل الذين ذكرهم الله في السورتين فذكر الله سبحانه وتعالى: (قصّة سيّدنا هود وشعيب وصالح وموسى وما آل إليه أقوامهم من عاقبة وقصّة سيّدنا يوسف عليه السّلام وما تحمّل من الأذى والمحن والابتلاءات من أجل الدّعوة) فجميعهم نصرهم الله وثبّت أقدامهم وفي هذا إشارة بالبشرى للنّبي بالنّصر على أعداء الإسلام وبالفتح لهذه الدّعوة(٢).

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٤/ج١٢/ص٣٦٠، ٤٩١، ٦٥٩.

(٢) انظر: (نظم الدرر)، للبقاعي، ج٥/ص٤، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، ج١٢/ص٦٦٠.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا القُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ﴾ {يونس:١٣}، وقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ {هود:١١٦}، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ﴾{يوسف:١١٠}.

٣- تناسب في مواضع من السور الثلاثة(يونس وهود ويوسف):

أ- التناسب بين مقدمات السور (يونس، هود، يوسف):

يقول الله تعالى في مقدّمة سورة يونس: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ﴾ {يونس:١}، ويقول الله تعالى في مقدّمة سورة هود: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ {هود:١}، ويقول الله تعالى في مقدّمة سورة يوسف: ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾{يوسف:١}.

عند تأمل هذه الآيات نلاحظ وصف الكتاب بالحكمة والإحكام والتفصيل، ووصف في سورة يوسف بأخص من ذلك فقال تعالى: المبين أي البيّن في نفسه أنّه جامع معجز لا يشتبه على العرب بوجه والموضح لجميع ما حوى من سبل الهداية والرّشاد والموعظة والعبرة ولأنّه من عند الله فكان الوصف في سورة يوسف أخص من سورة يونس وهود وهذا وجه من وجوه المناسبة(١).

ب- تناسب مواضع متفرقة من سور(يونس هود يوسف):

إنّ رسالة الأنبياء التبليغ وليس ضرورة هداية كل الناس لأنّ هذا الأمر متعلّق بالله ﷻ حيث إنّ الله بإرادته يهدي من يشاء كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾{يونس:١٠٨}، وقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾{هود:١٢}، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾{هود:١٧}،

---

(١) انظر: (نظم الدرر) للبقاعي، ج٥/ص٤.

وقوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ {هود:١١٢}، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ {هود:١١٨}، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ {يوسف:١٠٣}.

فعند تأمل هذه الآيات نرى أن الفكرة واحدة وأن هناك تناسباً بين هذه المواضع.

تناسب في الإشارة من الله ﷻ إلى أن هؤلاء الأنبياء كانت دعوتهم خالصة إلى الله لا ينتظرون من الناس الأجر وتجلى ذلك في السورتين فقال تعالى: ﴿ **وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ**﴾{هود:٢٩}، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾{يوسف:١٠٤}، وهذا أيضاً وجه من وجوه المناسبة في الموضوع والفكرة.

ج- التناسب والتناغم بين فكرة السورتين (هود ويوسف):

١- وقد تجلى هذا الأمر في قول الله تعالى في سورة هود: ﴿ **...إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ {هود:١١٤}، وقول الله تعالى في سورة يوسف: ﴿ **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ للهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ {يوسف:٥١}، وفيه بيان ندم زوجة العزيز، وقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾ {يوسف:٩١}، وفيه بيان لندم أخوة يوسف واعترافهم بذنبهم.

فيأتي العفو من يوسف عليه السلام عنهم في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ {يوسف:٩٢}، ووجه المناسبة في ذلك ذكر الله ﷻ أن الحسنات يـــذهبن السيئات في سورة هود فكان عفو يوسف عليه السلام عن إخوته وعن زوجة العزيز مثالاً على ذلك.

٢- قوله تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ**﴾ {هود:١١٥}، وقوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ**﴾ {يوسف:١١٠}، فوجه مناسبة هذه الآيات مع ما سبق لنا أن نتيجة الصبر الإحسان فتتجلى الموعظة والعبرة للنبي عليه السلام وللمؤمنين من خلال هذه الآيات مع ما أعد الله لهما من عظيم الثواب أنسب شيء لحال النبي عليه السلام في مكابدة قريش وما هم الكفار من أقارب النبي ﷺ بفعله به كما حكاه الله ﷻ: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ**﴾ {الأنفال:٣٠}، ثم يعقب ذلك بظفره بعدوه وإعزاز دينه وإظهار كلمته ورجوعه إلى بلده على حال تقر به أعين المؤمنين وفتح الله عليه وعلى

أصحابه فقد قال رسول الله ﷺ: **[وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ]**[1] وهذا فيه شهادة كبيرة وعظيمة من النبي ﷺ لصبر يوسف عليه السلام.

ويقول الإمام البقاعي:[2] " إن ذكر أحوال المؤمنين مع من كان معهم من المنافقين وصبرهم عليهم مما يجب أن يتقدم ويعقب بهذه القصة من حيث عاقبة الصبر والحض عليه كما أمر فأخرت إلى عقب سورة هود عليه السلام لمجموع هذا والله أعلم ". ومن هنا نرى ترابط موضع السورتين في الفكرة والمناسبة[3].

د- التناسب في بيان عاقبة الكافرين في سورتي هود ويوسف:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ {هود:١٠٢}، وقوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۞ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ {هود:١١٦-١١٧}، وقوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۞ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**﴾{هود:١٢١-١٢٢}، وفـــي قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ {يوسف:١٠٩-١١٠}، من خلال استعراض هذه الآيات في السورتين نلاحظ وحدة الفكرة من حيث الإنذار والتحذير للأمم الكافرة وما يحيق بهم من سخط الله ونزول غضبه عليهم بعد إنذارهم، وتبليغهم، ومن هنا ترى الباحثة وجهاً من وجوه المناسبة التناسب في الدعوة في هذه السور بين طياتها لأخذ الموعظة والعبرة من خلال قصص الأنبياء وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾{هود:١٢٠}، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي**

---

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، كتاب التفسير، تفسير سورة يوسف، ج٢/ص٣٧٧، حديث ٣٣٢٥، وصححه الحاكم.

(٢) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر برهان الدين، وكنّى نفسه أبا الحسن الخرباوي البقاعي، ولد سنة تسع وثمانمائة، أصله من البقاع في سورية، سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق. انظر: (الضوء اللامع) للسخاوي، ج١/ص١٠١، ١٠٢، (الأعلام)، للزركلي، ج١/ص٥٦.

(٣) نظم الدرر، للبقاعي، مج٤/ص٩، ١٠.

قصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ {يوسف:١٠٩-١١١}.

هـ- التناسب في الإعجاز الغيبي في سورتي هود ويوسف:

تناسب في أن هاتين السورتين تمثل نموذجاً من الإعجاز الغيبي ودليلاً على صدق النبي ﷺ وذلك ما يؤكده الله ﷻ ﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾** {هود:٤٩}، وقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ القُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾** {هود:١٠٠}، وقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾** {يوسف:١٠٢}.

و- التناسب في شرح كل من سورتَيْ هود ويوسف بعض مقاطع في السورة الأخرى:

التناسب في الإشارة إلى الآيات الكونية التي خلقها الله في السموات والأرض في السورتين وذلك للدعوة إلى التدبر والتأمل في خلق الله من أجل التوبة والإنابة إلى الله ﷻ وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾** {هود:٥٢}، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾** {هود:٦١}، وقوله تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**يوسف:١٠٥}، ففي سورة هود يذكر الله سبحانه وتعالى آية في السموات وهي نزول المطر مدراراً، ويفصح عنها، ويدعو الله الناس إلى التوبة والإنابة من خلال التأمل في هذه الآية، ويذكر آية في الأرض في نفس السورة وهي إنشاء الله ﷻ الناس من الأرض حيث خلقهم من التراب ثم استعمرهم فيها أيضاً.

هذه الآية ذكرت من أجل التوبة والإنابة إلى الله من خلال التدبر في هذه الآية وبعد أن أشار الله ﷻ إلى هاتين الآيتين وأوضح عنهما جاء ذكر الآيات الكونية التي خلقها الله ﷻ في سورة يوسف بشكل مجمل ولم ينوه أية تفصيل فكانت سورة هود شارحة لبعض المقاطع في سورة يوسف فكان إجمالاً بعد تفصيل وهذا ما تراه الباحثة من وجوه المناسبة.

وكذلك كانت سورة يوسف شارحة، وموضحة لبعض المقاطع التي جاءت في ثنايا سورة هود منها قوله تعالى: ﴿ **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾** {هود:٧١}، وقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾** {هود:٧٣}، فذكر في سورة يوسف حال يعقوب مع أولاده وحال ولده الذي هو من أهل البيت مع إخوته فكان كالشرح لإجمال ذلك وكذلك قول الله ﷻ: ﴿ **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ**

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ {يوسف:٦}، فكان ذلك كالمقترن بقوله في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾** {هود:٧٣}[١].

٤- المناسبة في ترتيب النزول لسور يونس وهود ويوسف:

ويبين العلامة جلال الدين السيوطي وجهاً آخر من وجوه المناسبة فيقول: " وقد روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيب النزول: أن يونس نزلت ثم هود ثم يوسف وهذا وجه آخر من وجوه المناسبة في ترتيب هذه السور لترتيبها في النزول " [٢].

ومن خلال استعراض هذه الوجوه تبين للباحثة أن وحدة الأجواء التي نزلت فيها هاتان السورتان كانت كل سورة تمثل وجهاً من وجوه الظروف المحيطة بالدعوة الإسلامية في هذه الفترة الزمنية حيث إن سورة هود عليه السلام كانت تعرض حال الأقوام وصدهم عن الدعوة وكانت سورة يوسف تعرض صبر هذا النبي الذي تعرض لهذا الكم من المحن والابتلاءات فظل صابراً محتسباً قائماً على الدعوة إلى الله رغم هذه الظروف التي كانت تحيط به وهذان النموذجان كانت الدعوة بحاجة إلى استعراضهما حيث إن المشركين في مكة كانوا يمثلون حال الأقوام في الصد عن الدعوة والنموذج الآخر تجلى في صبر النبي على هؤلاء المشركين وعلى المحن والابتلاءات التي تعرض لها النبي ﷺ فتناسب عرض هذين النموذجين متتالين مع الظروف المحيطة بالنبي ﷺ وبالمؤمنين مما أنتج تناسباً كبيراً في مواضع عديدة في السورتين كما ذكر سابقاً.

٥- تناسب خاتمة سورة هود ومقدمة سورة يوسف:

لقد ابتدأت سورة هود لبيان أن هذا الكتاب محكم وذلك في قوله تعالى: ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾** {هود:١}، وختم بالحكمة المقصودة من قص أنباء الرسل وكان السياق للرد على المشركين في تكذيبهم بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**{هود:١٣}، ودل على أنه أنزل بعلمه فابتدأت سورة يوسف لإتمام تلك الإشارة إلى ما له من علو المحل وبعد الرتبة فعقب الله ﷻ هذه المشكلة بالأحرف المقطعة في أول سورة يوسف وبين أنها مع إشكالها عند التأمل واضحة بقوله مشيراً إلى ما تقدم من القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾** {يوسف:١}، أي تلكم الآيات العظيمة العالية آيات الكتاب الجامع لجميع المرادات[٣].

---

(١) انظر: (أسرار ترتيب القرآن)، للسيوطي، ج١/ص١١.

(٢) المرجع السابق، ج١/ص١١.

(٣) انظر: (نظم الدرر)، للبقاعي، ج٤/ص٥، (بتصرف).

المطلب السادس: مناسبة سورة يوسف لأولها.

اشتملت سورة يوسف على وحدة موضوعية تجلت أهدافها من سياق الآيات وقد بلغ فيها الإعجاز القرآني ذروته في الفصاحة فصدق قول الله ﷻ: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾{يوسف:٣} فالهدف الأسمى واضح وهو إظهار إعجاز القرآن الكريم لما احتوى من أنباء الغيب التي لم يكن يعرفها رسول الله ﷺ ليكون دليلاً على صدقه وليثبته الله ﷻ من خلال عرض الابتلاءات والمحن في قصة يوسف عليه السلام موحياً بالنصر والتمكين كما مكن ليوسف عليه السلام[1] وذلك في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ {يوسف:١١٠}.

فالناظر لهذه السورة يجد علاقة وثيقة تظهر جلياً بين آيات السورة سواء بين ثناياها أو بين المقدمة والخاتمة حيث إن محور السورة هو قصة يوسف عليه السلام والمقدمة والخاتمة فيها إشارة وعبر لما يدور من خلال السورة من أحداث.

وستعرض الباحثة العلاقة بين مقدمة سورة يوسف وآخرها في نقاط هي:

١- يقول الله ﷻ في مقدمة السورة: ﴿ **الر ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**﴾ {يوسف:١-٢} تبدأ السورة بالحروف المقطعة التي تتكون منها آيات القرآن الكريم فهي ليست غريبة عن العرب بل هي مادة ألفاظهم وكلامهم وتخاطبهم، فعجزهم بعد ذلك أن يأتوا بمثل هذا القرآن دليل ساطع وبرهان قاطع على أن هذا القرآن من عند الله ﷻ ومع هذا الإعجاز اتسم بالبيان واتصف بالوضوح فآياته واضحة في معانيها ومراميها وقد فهم العرب ما ترمي إليها الآيات ولكنهم لم يستطيعوا أن يتوصلوا إلى طريق الهداية والرشاد إلا مَن أعمل عقله في فهم الآيات[2].

وهذه المقدمة تناسبت مع خاتمتها حيث يقول جلا وعلا: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ {يوسف:١١١} فالمقدمة والخاتمة تدعو للنظر والتدبر حتى تفهم الآيات ويخاطب الله ﷻ الناس بما يميزها عن سائر خلقه يخاطب عقولهم ويدعوهم للفهم والتدبر حتى تتحقق الموعظة والعبرة من آيات القرآن الكريم.

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٤/ج١٢/ص٦٦٢.

(٢) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٤/ج١٢/ص٦٩٣.

٢- وكذلك عند إعمال العقل يستطيع الإنسان معرفة الهداية وسبل الرشاد فيدعو إلى الله عن بصيرة وعلم وفهم وهذا ما تجلى في خاتمة السورة في قوله ﷻ: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ**﴾ {يوسف:١٠٨}

ويقول الإمام محمد متولي الشعراوي في قوله ﷻ: ﴿ **وَقَالَ المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾ {يوسف:٤٣} وفي قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾{يوسف:١١١} أن مادة العين في هذه القصة – قصة يوسف ﵇ – وكذلك قد تمر ولكن لا يلتفت إليها إلا العاقل الذي يمحص الأشياء أما الذي يمر عليها مرور الكرام فهو لا يستطيع فهمها[1] وهذا الأمر يتطلب إعمال العقول والتدبر للوصول إلى مراد الله ﷻ في هذه الآيات.

٣- كذلك تتناسب المقدمة والخاتمة في التصريح بهذا الإعجاز الغيبي وفي الخاتمة أشير إلى الهدف من ذكرها، حيث يقول الله ﷻ في مقدمة السورة: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ**﴾ {يوسف:٣} ويقول الله ﷻ في خاتمة السورة: ﴿ **قَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ {يوسف:١١١}.

ففي المقدمة ينفي الله ﷻ علم النبي ﷺ بقصة يوسف ﵇ من قبل وهذا دليل على صدق نبوة رسول الله ﷺ وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ**﴾ {يوسف:٣} وفي الخاتمة يبين الهدف من ذكر هذه القصة وقصص القرآن إجمالاً وهو أخذ العبرة والموعظة وأنها دليل على صدق رسول الله ﷺ فتثبت قلب النبي ﷺ من خلال ما عرض فيها من ابتلاءات ومحن واجهها نبي الله يوسف ﵇ فتسري عن قلب رسول الله ﷺ وصحابته وتهون عليهم ما يعانون من شدائد في سبيل الدعوة إلى الله مؤشرة إلى أن نصر الله آت مهما بلغت هذه المحن والابتلاءات[2].

---

(١) تفسير الشعراوي، للشعراوي، ج١/ص٤٥١٠.

(٢) انظر: (صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص٦١٥.

٤- كذلك تتناسب مع قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ**﴾ {يوسف:١٠٢} في خاتمة السورة فيؤكد بهذه الآية ما جاء في مقدمة السورة[١] فكانت خاتمة السورة فيها إشارات وتوصيات لما جاء في مقدمة السورة حيث يدعو الله ﷻ إلى الفهم وإعمال العقل في الدعوة إلى الله وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ]** ﴾ {يوسف:١٠٨}.

٥- كذلك يدعو الله ﷻ بأخذ العبرة والموعظة من القصص القرآني للتعرف على المنهج القويم في الدعوة إلى الله، ويصف الله ﷻ آيات القرآن أنها مفصلة لكل شيء وكل ما يلزم للإنسان في صلاح أمره دنيا وآخرة وتبين ما أحل الله وحرّم وحبّب وكره وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات والإخبار عن الأمور الجلية وعن الغيوب المستقبلية المجملة والتفصيلية والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن مماثلة المخلوقات فلهذا كان القرآن الكريم هدى ورحمة لقوم يؤمنون[٢].

ويؤكد الله ﷻ أنه ناصر عباده المؤمنين مهما بلغت الشدائد بهم وهذا حديث صدق ويصدق ما قبله من الكتب السماوية.

وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ {يوسف:١١٠-١١١} بذلك تتناسب المقدمة والخاتمة في موضوعهما وفي أهدافهما وإشاراتهما ليتحقق مراد الله ﷻ من موضوع هذه السورة.

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٤/ج١٢/ص٦٦٠.

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٧٩

المبحـــث الثـــانـــي

بـــين يـــدي ســـورة القـــصـــص

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تسمية السورة وعدد آياتها.

المطلب الثاني: مكيها ومدنيها.

المطلب الثالث: فضلها وسبب نزولها.

المطلب الرابع: محور السورة وهدفها العام.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها من السور.

المطلب السادس: مناسبة آخر السورة لأولها.

المبحث الثاني

بـــين يدي سورة القـــصـــص

المطلب الأول: تسمية الســـورة وعـــدد آياتها:

أولاً: تسمية السورة: بالرجوع إلى المصحف الشريف، والى كتب التفسير وجدت الباحثة إلى أن هذه السورة اختصت بهذا الاسم "سورة القصص".

ولفظة القَصَص لغةً: القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء والاسم بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه.

ومن ذلك قولهم قصصت الأثر، إذا اتبعه قصصاً، وخرجت في اثر فلان قصصاً وفي قوله تعالى: ﴿ **...فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾ {الكهف:٦٤}، وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ...** ﴾ {القصص:١١}، وهو يقرأ قصصه يتبع أثره فيذكر، وقص عليه الحديث والرؤيا، واقتصه، وقصصت كلام فلان، والقصاص يقصون على الناس ما يرق قلوبهم، والقِصص بالكسر جمع القصة التي تكتب وقصَّ الحديث رواه على وجهه وقصَّ عليه الخبر قَصَصَاً.

القصص اصطلاحاً: القصص هي الأخبار المتتابعة، وكل ذلك يتتبع فيذكر والقصص جمع القصص التي تكتب.[1]، وهناك تعريف آخر لابن عاشور حيث يعرف القصة: بأنها الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر عنها[2].

وترى الباحثة أن القصص اصطلاحاً: "جمع القصة وهي الأخبار المتتابعة عن حوادث غائبة عن المخبر بها".

أما بالنسبة لمناسبة هذا الاسم بالسورة فالسورة اشتملت على قصة موسى عليه السلام من حين ولادته إلى أن أهلك الله فرعون، واشتملت على قصة حبيبنا محمد ﷺ مع قومه من الكفار واشتملت على قصة قارون مع قومه من بني إسرائيل .

---

(١) انظر: (معجم مقاييس اللغة)، لابن فارس، ج٥/ص١١، و(مختار الصـــحاح)، للرّازي، تـحقيق مـحمود خـاطر، ج١/ص٥٦٠، و(أســاس البلاغة)، للزمخشري، ص٧٧٠، ٧٧١، و(لـسان العرب)، لابن منظور، ج٧/٧٣-٧٥.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج١/ص٦٤.

وأما من قـال إنها سميت بالقصص لقوله تعالى: ﴿ ...**فَلَمَّا جَاءَهُ وَقصَّ عَلَيْهِ الْقصَصَ...** ﴾ {القصص:٢٥} فهذا توجيه غير صحيح، فقد وردت كلمة القصص في سورة يوسف عليه السلام فـي موضعين: حـيث قـال اللـه تـعالى: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقصَصِ...** ﴾ {يوسف:٣}، كانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم وأيضاً كانت هود أولى بهذا الاسم، لأنه ذكر فيها قصة سبعة أنبياء وهذه ليس فيها إلا قصّة واحدة، فكان ينبغي أن تسمّى سورة هود سورة القصص[١].

وقال الإمام السيوطي في ذلك: "لم يفرد لموسى سورة تسمّى به مع كثرة ذكره في القرآن أن يكون كله لموسى، وكان أولى سورة أن تسمّى به سورة طه أو سورة القصص أو الأعراف لبسط قصته في الثلاثة ما لم يبسط في غيرها"[٢].

واستدّل من ذلك أن أسماء السور توقيفية لا دخل للاجتهاد فيها وأن إجماع الصحابة رضي الله عنهم والتّابعين من بعدهم على تسمية سور القرآن بأسمائها الواردة في المصحف العثماني وإجماع الأمة من بعدهم على ذلك، وثبوتها في المصحف العثماني يدل على أنّ أسماء السور توقيفية[٣].

وقد ذكر في بعض الروايات اسماً آخر لهذه السورة، حيث سمّيت "طسم"[٤].

وتتبنى الباحثة رأي الأستاذ محمود خلّة بأن هذا اسم (طسم) اجتهادي لأني خلال مطالعتي في كتب التفسير لم أجد مفسراً سمّاها بهذا الاسم والله أعلم[٥].

ثانياً: عدد آياتها:

أمّا بالنسبة لعدد آيات سورة القصص ففي ذلك قولان للعلماء وسنفصل قول كل فريق مع بيان سبب تبنيه لهذا الرأي:

الرأي الأول: ذهب فريق من العلماء المفسرين إلى أنّ عدد آيات سورة القصص ثمان وثمانون آية منهم الإمام القرطبي، والنسفي، وسيّد قطب، والصّابوني، والجلالين، والزمخشري[٦].

---

(١) انظر: (تفسير السراج المنير)، للشربيني، ج٣/ص٧٩، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج١٣/ص١٦٥.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، ج١/ص١١٣.
(٣) المرجع السابق، ج١/ص١١٣، (بتصرف).
(٤) انظر: (مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير)، للإمام أحمد، ج٣/ص٣٢٩.
(٥) انـظـر: (سورة القـصص: دراسـة تـحليلية ومـوضوعية)، مـحمود خلّة، ص٣، ٤.
(٦) انظر: (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج١٣/ص١٦٥، و(مدارك التنزيل)، للنّسفي، ج٣/ص١٨١، و(في ظلال القرآن)، لسيّد قطب، ج٦/ص٣١٤، و(صفوة التفاسير)، للصّابوني، ج٢/ص٩٨٧، و(تفسير الجلالين)، للسيوطي، ص٥٠٦، و(الكشّاف)، للزمخشري، ج٣/ص١٦٤.

الرأي الثاني: ذهب فريق آخر من العلماء أنَّ عدد آياتها سبع أو ثمان وثمانون آية ومنهم الرازي[١].

ويرجع سبب هذا العدد في الرأي إلى أنّ البصريين لم يعدوا شيئاً من الحروف المقطعة في أوائل السور آية، وأما الكوفيون فمنها ما عدّوه آية ومنها ما لم يعدّوه آية وهو علم توقيفي لا مجال للقياس فيه لمعرفة عدد آيات السور فلا يشتبهن عليك هذا الخلاف لأن كلاً وقف عند حدود علمه[٢].

وقد قُسِّمت سور القرآن على ثلاثة أقسام قسم لم يخْتَلف فيه لا إجمالاً ولا تفصيلاً وقسم اختلف فيه تفصيلاً لا إجمالاً وقسم اختلف فيه إجمالا وتفصيلاً فكانت سورة القصص من القسم الثاني وفيه أربع سور سورة القصص، العنكبوت، الجن، العصر فالكوفيون عدّوا طسم آية والبصريون لم يعدّوها[٣].

وقد علل ذلك الإمام السيوطي رحمه الله فقال: "إنّ هذا الخلاف يرجع إلى أنّ النّبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي تعليماً لأصحابه أنّها رؤوس آي حتى إذا علموا ذلك وصل النّبي ﷺ الآية بما بعدها، طلباً لإتمام المعنى فيظن السّامع أنّ ما وقف عليه النّبي ﷺ ليس فاصلة، فيصلها بما بعدها فيعتبر أنّ الجميع آية واحدة والبعض يعتبرها آية مستقلّة فلا يصلها بما بعدها"[٤].

ومن خلال ما سبق خرجت الباحثة بأن عدد آي القرآن توقيفيٌ لا مجال للاجتهاد فيه فهو إجماع من العلماءُ أنَّ معرفة عدد آي القرآن ليس لها إلا طريقاً واحداً وهو إخبار الصحابة- رضوان الله عليهم- فمعرفتها توقيفية لا مجال للاجتهاد، وكل وقف عند حدود علمه وعلى ذلك يكون عدد آيٌ سورة القصص ثمان وثمانون عند الكوفيين حيث اعتبروا (طسم) آية وعلى هذا جمهور المفسرين.

ومن ذهب إلى أن عدد آيٌ سورة القصص سبع أو ثمان وثمانون أخذ بالرأيين.

---

(١) انظر: (التفسير الكبير)، للرازي، ج٢٤/ص٥٧٩، و(السراج المنير)، للشربيني، ج٨/ص١٨٤.

(٢) انظر: (مناهل العرفان)، للزرقاني، ج١/ص٢٣٥، و(إتقان البرهان)، لفضل عباس، ج٤٣١/١.

(٣) البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو الداني، باب ذكر ما عد الكوفي، ج١/ص٩١.

(٤) الإتقان، للسيوطي، ج١/ص١٣٤.

المطلب الثاني: مكيُّها ومدنيُّها:

سورة القصص من السور المكية بإجماع العلماء في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء إلا أنَّ بعض العلماء استثنوا قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ**] {القصص:٥٢} إلى قوله: ﴿ **...سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ**﴾ {القصص:٥٥}، فهو مدني وذلك لرواية مقاتل حيث قال: فيها المدني. ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ**﴾ {القصص:٥٢} إلى قوله: ﴿ **...سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ**﴾.

وقيل إلا آية وهي: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ {القصص:٨٥} وذلك لرواية قول ابن عباس وقتادة(١) إلا آية نزلت بين مكة والمدينة وقال ابن سلام في الجحفة(٢) في وقت هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، وبعض العلماء حملوا هذه الآية على أنها مكية حيث نزلت على النبي ﷺ قبل وصوله المدينة(٣).

المطلب الثالث: فـــضلها وســـبب نـــزولها:

أولاً: فضل السورة:

من خلال البحث في كتب التفسير والكتب المتعلقة بفضائل السور لم تجد الباحثة روايات صحيحة في فضل هذه السورة وكل ما ذكر في فضلها في كتب التفسير أو غيرها فهي أحاديث حسب حكم العلماء عليها شديدة الضعف وموضوعة(٤).

---

(١) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين، تـوفي: ١١٧هـــ. انظـر: تهذيب سير أعلام النبلاء لأحمد الحمصي، ج١، ص: ١٩٣.

(٢) الجحفة: هي ميقات أهل الشام ومصر والمغرب، بضم الجيم وإسكان الحاء، وهي قرية كبيرة كانت عامرة ذات منبر، وهي على طريق المدينة على نحو سبع مراحل من المدينة، ونحو ثلاث مراحل من مكة، وهي قريبة من البحر بينها وبينه نحو أميال، وهي بالقرب من رابغ بكسر الموحدة وهي واد بين الحرمين قرب البحر، وكان اسمها (مهيعة)، وإنّما سمّيت الجحفة لأنّ السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام، وهي الآن خراب. انظر: (معجم البلدان)، لياقوت الحموي، ج٢/ص١٢٩، رقم ٢٩٥٥، و(تهذيب الأسماء واللغات)، للنووي، ج٣/ص٥٨.

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص١٦٤، و(التفسير الكبير)، للفخر الرازي، ج٢٤/ص٢٢٤، و(السراج المنير)، للشربيني، ج٣/ص٧٩.

(٤) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٤٨.

ومن هذه الروايات:

١- عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **[من قرأ طسم القصص أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بموسى وكذّب به ولم يبق ملك في السماوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة، إنه كان صادقاً أن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون]**(١).

٢- قال رسول الله ﷺ: **[يا علي من قرأ طسم القصص أعطاه الله مثل ثواب يعقوب وله بكل آية مدينة عند الله]**(٢).

ثانياً: سبب نزول السورة:

بعد الاطّلاع والبحث في كتب التفسير وأسباب النزول لم تجد الباحثة سبب نزول عام للسورة ولكن كانت هناك مواضع من السورة لها سبب نزول خاص بها وستذكر الباحثة جميع هذه المواضع

أولاً: قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ...** ﴾ {القصص:٥١}.

أخرج ابن جرير عن علي بن رفاعة(٣) قال: **[خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم أبو رفاعة يعني أباه إلى النبي ﷺ فآمنوا فأوذوا فنزلت الذين آتيناهم الكتاب وأخرج قتادة قال: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على حق حتى بعث الله محمداً ﷺ فآمن منهم عثمان وعبد الله بن سلام]**(٤).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾{القصص:٥٦}. روى سعيد بن المسيب(٥) عن أبيه قال: **[أن أبا طالب لما حضرته**

---

(١) الكشاف، للزمخشري، ج٣/ص١٩٤، وهو ضعيف.

(٢) انظر: (بصائر ذوي التمييز)، للفيروز آبادي، ج١/ص٣٥٨.

(٣) هو رفاعة بن سموال، وقيل: رفاعة بن رفاعة القرظي، من بني قريظة، وهو خال صفية بنت حيي بن أخطب، أم المؤمنين، وهو الذي طلق تميمة بنت وهب التي تزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير بن باطا، وروى أبو عمر وابن منده عن رفاعة في هذه الترجمة أنه قال: نزلت هذه الآية فيّ وفي عشرة من أصحابي. أسد الغابة، لابن الأثير، ج٢/ص٨١، رقم الترجمة ٤٤٢.

(٤) المعجم الكبير، للطبراني، ج٥/ص٥٣، حديث ٤٥٦٣، مجمع الزوائد، للهيثمي، ج٧/ص٩١، وقال عنه: سنده متصل ورجاله ثقات.

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه، توفي: ٩٤هـ. انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء، لأحمد الحمصي، ج١، ص: ١٤٣.

الوفاة دخل عليه النبي ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال رسول الله ﷺ: أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنه"، فنزلت: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ {التوبة:١١٣} ونزلت: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...** ﴾ {القصص:٥٦}[١].

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا...** ﴾ {القصص:٥٧} [نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي ﷺ: **[إنا لنعلم أن الذي تقول حق لكن يمنعنا من اتباعك أن العرب تخطفنا من أرضنا لإجماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم فأنزل الله تعالى هذه الآية]**[٢].

ورواية أخرى: عن ابن عباس قال: **[هم أناس من قريش قالوا لمحمد إن نتبعك يتخطف الناس فقال الله تعالى:** ﴿ **...أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ {القصص:٥٧}**]**[٣].

رابعاً: قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ...** ﴾ {القصص:٦١} عن مجاهد في هذه الآية قال: **[نزلت في علي وحمزة وأبي جهل، وقال السدي**[٤]**: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة، وقيل نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل]**[٥].

سادساً: قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ...** ﴾ {القصص:٨٥}، أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: **[لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله:** ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ...** ﴾ {القصص:٨٥}**]**[٦].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة القصص، باب إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء، ص٩٣٠، حديث ٤٧٧٢، وباب قصة أبي طالب، ج١/ص٥٤٨.

(٢) جامع البيان، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١٢٠، وأسباب النزول، للواحدي، ج١/ص٣٢٧، وجامع النقول، لابن خليفة عليوي، ج٢/ص٢٦١.

(٣) جامع البيان، للطبري، مج١١/ج٩/ص١٠٣.

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي، إماما عالما بالوقائع وأيام الناس، صاحب التفسير والمغازي والسير، توفي: ١٢٨هـ. انظر: الأعلام، للزركلي، ج١/٣١٧.

(٥) جامع البيان، للطبري، مج١١ج٢٠/ص١٠٦، وأسباب النزول، للواحدي، ج١/ص١٨٥، ولباب النقول، للسيوطي، ج١/ص٣١٠.

(٦) جامع البيان، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١٣٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٦/ص٢٦٠، ولباب النقول، للسيوطي، ج١/ص٢١١، وصفوة التفاسير، للصابوني، مج٢/ص١٠١١.

المطلب الرابع: محور الســـورة وهدفها العام:

أولاً: محور السورة:

سورة القصص من السور المكية التي تميز طابعها بالاهتمام بالتوحيد، والرسالة، وترسيخ العقيدة في نفوس أبناء الدعوة الإسلامية، وقد نزلت سورة القصص والمسلمون قلة مستضعفة والمشركون هم أصحاب الطول والجاه والسلطان، فنزلت هذه السورة مثبّتة، ومسلّية، ومبشّرة بالنصر القادم من خلال قصص الأنبياء، وقصص الطغاة المتجبرين مبينّة مصيرهم ومآلهم، وبذلك تتجلّى الموعظة، والعبرة للّنبي ﷺ والمسلمين من خلال هذه القصص التي تنطق كلماتها بالعبرة، وبذلك كانت كلمات السورة وآياتها تنطق بالعبرة، والموعظة، والبشرى، والوعد بالنصر، وبالرجوع إلى مكة منتصرين بإذنه تعالى، وكذلك البشرى بالنّصر في كل زمان ومكان لمن حمل راية الإسلام وسار على نهجه ومنهجه، فتجلّى محور هذه السورة بوضوح لا يخفى على أحد وهو الصراع بين الحق والباطل[١].

والله يرسّخ ميزان الحق والإيمان بقدرته وبحفظه لأوليائه مهما كانوا في درجة من الضعف، ويتولاهم برعايته، وقد تجلّى ذلك جليّاً في الأمثلة التي ذكرت في هذه السورة فاحتوت على ثلاثة أمثلة:

المثال الأول: هو قصّة سيّدنا موسى عليه السلام منذ أن كان طفلاً رضيعاً لا حول له ولاقوه حفظه الله وأمواج البحر تتلقّف التابوت الذي وضع فيه وذلك كان وحياً لأم موسى كي ينجو موسى عليه السلام من القتل، ثم يعود بأمره تعالى إلى بيت فرعون المتجبر ويربى في داخل هذا البيت إلى أن يشتد عوده، وهو الذي سيقتلع بإذن الله تعالى الظلم الذي تجسد في صاحب هذا البيت الذي وصل بتجبره واجترائه على الله جل جلاله إلى أن يدّعي الألوهية فيقول الله في كتابه العزيز: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ** ﴾ {القصص:٣٨}.

فمنابت الإيمان تقتلع الكفر والطغيان من جذوره هذه الرسالة العظيمة التي مازالت تبث فينا القوة واليقين بنصر الله جل جلاله، وتعيننا على الوقوف في وجه الظلم والطغيان الذي تجسد في أعداء الإسلام لنا.

وأما المثال الثاني: فتجسد في قصة قارون وقومه بني إسرائيل وذلك في طغيان المال والعلم عند قارون وظلمه لقومه واستخفافه بهم والاستعلاء عليهم بماله، وزينته، ونسبة ما عنده

---

(١) انظر: (صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص٩٨٧.

إلى علمه مما جعله يسلك طريقاً في عداد الكافرين، فكان من الابتلاء الذي يعقبه البلاء متمثلاً في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ**﴾ {القصص:٧٨}[١].

بالمقابل كان هناك ميزان آخر يقيّم الحياة بميزان الإيمان بالله، وبالتمسّك بما عند الله متمثلاً في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ**﴾ {القصص:٨٠}.

هذا ميزان المؤمنين ثروتهم ما عند الله وأملهم فيما عند الله ﷻ ولا تغرنّهم الحياة الدّنيا بمنظرها ومظهرها وزينتها ولهم الغلبة بإذنه تعالى.

وأما المثال الثالث والأخير في هذه السورة: فكان متمثلاً في قصة حبيبنا المصطفى سيدنا محمد ﷺ هذا النبي العظيم الذي خرج من دياره وقلبه يعتصر ألماً على مفارقته لأحب البقاع إليه ترك الأرض، والأهل، والعشيرة، والله ﷻ يبشّره بأن حاله كحال من سبقه من الأنبياء، والمؤمنين، والنصر كائن له وللمؤمنين لا حال متمثلاً هذا الوعد بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ {القصص:٨٥} أي العودة إلى مكة كما فسّرها الإمام البخاري مستشهداً برواية تفسير ابن عبّاس رضي الله عنهما فيقول الإمام البخاري: "معاد أي يوم القيامة، وقيل معاد الرجل بلده لأنه ينصرف منه ثمّ يعود إليه، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما، بمكة"[٢].

فهذا وعد من الله بفتح مكة ورجوعه عليه السلام إليها بعد أن هاجر منها[٣].

فما هي إلا فترة من الزّمن وستكون الغلبة للإيمان، ولدين الله ﷻ، للفئة التي تمثل فيها الحق والإيمان فالله ناصر دينه، ومعز كلمته، وواضع ميزانه على هذه الأرض، وبذلك تتجلى الموعظة، والعبرة، والتسلية، والتثبيت في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ۞ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾{القصص:٨٦-٨٧} .

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٣٧٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب إن الذي فرض عليك القرآن، ص٩٣٠، حديث ٤٧٧٣.

(٣) انظر: (زاد المسير)، لابن الجوزي، ج٣/ص٣٩٦، ٣٩٧، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج١٣/ص٢١٢، و(روح المعاني)، للألوسي، ج١٥/ص٢٢٠، و(تفسير الوسيط)، لسيد طنطاوي، ج١/ص٣٢٩٢، (صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص١٠١١

فلا مكان للطغيان، ولا مكان للكفر والعدوان، ميزان التقوى والإيمان له الغلبة فكل ما دون الحق فهو عرضة للفناء والزوال ولا يبقى إلا ما ابتغي به وجه الله، وقد تجلّى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **...كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ {القصص:٨٨}[1].

فالصراع بين الحق والباطل لابد أن تكون له نتيجة محسومة لصالح الحق هذا هو محور السورة الذي تجلى في طيات هذه السورة، والذي جاء مثبّتاً للنبي ﷺ، ومبشّراً له بالنصر.

ثانياً: الهدف العام للسورة:

من خلال البحث والاطلاع في كتب التفسير تبيّن للباحثة أن الهدف العام لهذه السورة هو الاستدلال على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ الأمي، بالاطلاع على المغيبات من خلال قصص الأنبياء والأقوام السابقة التي لم يشهدها ولم يعلم بها شيئاً حتى تؤكد معجزة القرآن الكريم في أخبارها وبيانها وبلاغتها[2].

ومن خلال هذا الهدف تنبثق أهداف أخرى تحقق المقصود من العلم بهذه القصص وتلاوتها في القرآن الكريم ومن هذه الأهداف:

١- أخذ العبرة والعظة من قصص الأنبياء والأقوام السابقة وذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ...** ﴾ {يوسف:١١١}.

ففي هذه السورة يعرض الله ﷻ قصة نبي من أنبيائه موسى عليه السلام مفصلاً فيها دقائق قصته مبيناً مدى ظلم فرعون وطغيانه، إلا أنه كانت الغلبة والنّصر لنبي الله ﷺ والمؤمنين، وكذلك ذكر قصة قارون وظلمه بماله وعلمه وكيف كانت نتيجة هذا الاستعلاء والظلم والطغيان بأنّ الله أجرى سننه في مثل هؤلاء الطغاة بإهلاكهم وتدميرهم[3].

٢- تسلية النبي ﷺ وتثبيته: فالسورة نزلت في أجواء كان النبي ﷺ يعاني أشد المعاناة من أجل الدعوة حيث كان أصحابه يتعرضون لأشد صنوف العذاب من المشركين[4]، حتى لجأوا إلى رسول الله ﷺ ليستنصروا به ويطلبوا منه أن يسأل الله لهم الفرج يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه: **[شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ**

---

(١) انظر:(فتح الباري)، لابن حجر، ٦٥ كتاب التفسير، ٢٨ تفسير سورة القصص، ج٨/ص٥٠١.

(٢) انظر:(نظم الدرر)، للبقاعي، ج٥/ص٤٦١-٤٦٢.

(٣) انظر: (بصائر ذوي التمييز)، للفيروز أبادي، ج١/ص٢٤٧.

(٤) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢/٣٧٩، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص٩٨٧.

فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ](١).

ومن شدة ما تعرض له أصحاب النّبي ﷺ من الإيذاء أخذ النّبيﷺ يبحث لهم عن موطن آخر يلجأوا إليه خشية الفتنة فقال لهم الرسول ﷺ اخرجوا إلى الحبشة لأن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد (هذا ما اشتهر به النجاشي في زمانه)(٢)، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً فخرج المسلمون إليها فراراً ومخافة الفتنة(٣).

وعندما فشل المشركون باسترداد المهاجرين من الحبشة استشاطوا غضباً فاشتدت ضراوتهم وانقضوا على بقية المسلمين ومدّوا أيديهم إلى رسول الله ﷺ بالسوء وقرروا قتل النبي ﷺ علانية ولكن وجدوا بني هاشم وبني المطلب مصممين على حفظ نبي الله ﷺ فقامت قريش بمقاطعتهم فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم فمنهم من فعل ذلك حمية ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً إلا أبا لهب فأمر أبو طالب أن يدخلوا رسول الله ﷺ في شعبه وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ أن يضجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد اغتياله فإذا نام الناس أمر أحد بنيه وإخوانه أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ وأمرهم أن يأتي أحد فرشهم(٤)، فحبسوا بني هاشم في شعبهم ثلاث سنين حتى بلغهم الجهد والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع وكان لا يصل إليهم شيئٌ إلا سراً وقال عبد الله بن عباس حوصرنا في الشعب ثلاث سنين وقطعوا عنا الميرة حتى أنّ الرجل ليخرج بالنّفقة فلا يباع شيئاً حتى مات منّا قوم(٥).

وعندما نقضت صحيفة الميثاق خرج النّبي ﷺ من الشعب وقريش وإن كانوا قد تركوا القطيعة ولكنهم لم يزالوا عاملين على شاكلتهم من الضغط على المسلمين وأما أبو طالب فهو لم يزل يحوط ابن أخيه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ص٦٠٩، حديث ٣٦١٢.

(٢) انظر: (سيرة ابن هشام)، ج١/ص٢٢٦.

(٣) انظر: (السيرة الحلبية)، للحلبي، ج١/ص٣٢٣، و(صحيح السيرة النبوية)، للألباني، ص١٦٤-١٦٥.

(٤) السيرة النبوية، لابن كثير، ج١/ص٤٤.

(٥) انظر: (الأنساب)، للبلاذري، ج١/ ص٢٣٥-٢٣٦.

فلم يلبث النبي ﷺ حتى فجع بفقد أحد نصيريه (عمه أبو طالب) فقد كانت وفاته في رجب سنة عشر من النبوة بعد الخروج من الشعب بستة أشهر قيل أنه توفي في رمضان قبل وفاة خديجة رضي الله عنها بثلاثة أيام[1]، وقيل: كان بينهما خمسة وخمسون يوماً، وقيل: ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً.

فعندما مات أبو طالب نالت قريش من النبي ﷺ من الأذى ما لم تطمع به في حياة عمه أبي طالب يقول ابن إسحاق في ذلك: اعترض سفيه من سفهاء قريش النبيﷺ فنثر التراب على رأسه ودخل بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك قال: ويقول بين ذلك ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب[2].

كما فجع بفقد نصيره الثاني زوجه خديجة التي كانت بإيمانها خير معين ومثبت له ولإيمانها أثر عميق في معنويات الرسول ﷺ وهو يجابه بالتوحيد شرك العرب فكان كلما سمع من معارضيه رداً أو تكذيباً شكى ما يلقى لزوجه البرة رضي الله عنها وأرضاها فتثبته وتخفف عنه وتهون أمر الناس عليه وتواسيه بنفسها ومالها وقد قال عنها رسول الله ﷺ: **[كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ قَالَتْ فَغِرْتُ يَوْمًا فَقُلْتُ مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا قَالَ مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ ﷻ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلادَ النِّسَاءِ]**[3].

ولأجل توالي مثل هذه الآلام في هذا العام سمي بعام الحزن وعرف به في السيرة والتاريخ[4].

ثم خرج النّبي ﷺ إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه أو ينصروه فوجد منهم ما وجد من الصد في وجه الدعوة من أهلها وساكنيها ونالوا منه ما لم ينله قومه فرجع إلى مكة واشتدّت وطأة أهل مكة على النّبي ﷺ كما اشتدّت على أصحابه حتى التجأ رفيقه أبو بكر

---

(١) انظر: (خلاصة الأثر في سير سيد البشر)، لأحمد محمد عساف، ص٤٢، و(الرحيق المختوم)، لصفي الرحمن المباركفوري، ط١٩، ص١١٧، و(الكامل)، لابن الأثير، ج٢/ص٩٠، ٩١.

(٢) انظر: (السيرة النبوية)، ج٢/ص٣٠١، ٣٠٢، و(تاريخ الطبري)، ج٢/ص٣٤٣-٣٤٤، و(الكامل)، لابن الأثير، ج٢/ص٩١-٩٠.

(٣) مسند أحمد، لابن حنبل، كتاب باقي مسند الأنصار، باب من حديث عائشة، ج٦/ص١٣٢، حديث ٢٤٩١٧، والحديث صححه الألباني في هذه الجزئية من الحديث.

(٤) انظر: (تهذيب سيرة ابن هشام)، لعبد السلام هارون، ج١/ص١٢٧، و(الرحيق المختوم)، لصفي الرحمن المباركفوري، ص١١٨.

الصديق رضي الله عنه إلى الهجرة عن مكة بعد إذن رسول الله ﷺ فخرج حتى بلغ برك الغماد[1] يريد الحبشة فأرجعه ابن الدُغُنّة[2] في جواره[3] وحاصر المشركون الدعوة في مكة وحاولوا منع وصول الحاجّين إلى النبي ﷺ والتقائه بهم وبذلك ازداد الأمر شدة على النبي ﷺ وأصحابه فأذن الرسول للمسلمين بالهجرة إلى المدينة[4].

روى البخاري عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ للمسلمين: **[قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ]**[5].

فهاجر من هاجر قبل المدينة، ولم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي ومن احتبسهم المشركون كرهاً[6].

فينزل الله آيات من هذه السورة ويعرض قصص أنبيائه عليه مبيناً مآل الأمم المتجبرة، ونصره لأوليائه، ففي هذا تثبيت، وتسلية لقلب النبي ﷺ فهاهم أنبياء الله يهجرون، ويخرجون من بلادهم، فذاك موسى خرج إلى مدين ثم رجع إلى مصر مؤيداً بنصر الله له، ولما رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ قد تجهزوا، وخرجوا ساورهم القلق والهم بشكل لم يسبق له مثيل وقرروا قتل النبي ﷺ وبعد ذلك تآمر هؤلاء المشركين واتفقوا على قتل النبي ﷺ فيأذن الله ﷻ لنبيه بالهجرة والخروج من مكة إلى المدينة وقلبه يعتصر ألماً على فراقها ويعتصر ألماً من هؤلاء الناس وطغيانهم وجبروتهم ووقوفهم في وجه الحق ومآمراتهم على قتله[7].
قتله[7].

ويخرجون من بلادهم فذاك موسى خرج إلى مدين ثم رجع إلى مصر مؤيداً بنصر الله له.

---

(١) برك الغماد، بكسر الغين المعجمة، بالضم والكسر أشهر، موضع وراء مكة بخمس ليالي مما يلي البحر، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، ج١، ص: ٣٩٩-٤٠٠.

(٢) ابن الدُغُنّة أخو بني عبد مناه بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش. انظر: (سيرة ابن هشام)، ج١/ص٢٥٨.

(٣) انظر: (السيرة النبوية)، لابن هشام، ج١/ص٢٥٩.

(٤) انظر: (سيرة ابن هشام)، ج٢/ص٣٤٠، و(الأساس في السنة)، لسعيد حوى، ج١/ص٣١٨، و(مختصر سيرة الرسول)، لمحمد بن عبد الوهاب التميمي، ج١/ص١٢٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، حديث ٣٩٠٥، ص٧٤٠.

(٦) انظر: (زاد المعاد)، لابن القيم، ج٣/ص٥٠، و(الرحيق المختوم)، للمباركفوري، ص١٤٩، و(دراسة في السيرة)، لعماد الدين خليل، ص١١٢.

(٧) انظر: سيرة ابن هشام، ج١/ص٣٥٠-٣٥٣.

وكذلك فيه بشارة للنبي ﷺ بالنصر، والرجوع إلى مكة فتتنزل عليه آيات من هذه السورة وهو بالجحفة فيقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ {القصص:٨٥}(١).

٣- كذلك بيان سبل الهداية والرشاد؛ بالتوجيه والنصيحة للنبي وللمؤمنين في كل زمان ومكان من خلال الآيات معلناً الله ﷻ النتيجة التي يجب ألا تغيب عن أنظار من في الكون من الإنس والجن وهو قوله ﷻ: ﴿ **...كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾{القصص:٨٨}.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها من السور:

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها من السور:

بالرجوع إلى المصحف الشريف، وإلى كتب التفسير، ومطالعة أقوال العلماء من خلالها وجدت الباحثة أن مناسبة سورة القصص بما بقبلها تتلخص في الآتي:

١. التناسب في الأجواء التي نزلت فيها السورة:

هناك تشابه في الأجواء التي نزلت فيها سورة (القصص، والنمل، والشعراء، والفرقان) حيث إنها من السور المكية التي نزلت على النبي ﷺ، وهو يعاني أشد المعاناة من قسوة المشركين عليه، وعلى أصحابه واضطهادهم لهم إلى أن أرغموا على الهجرة من موطنهم واللجوء إلى موطن آخر اختاره الله لهم وهو المدينة المنورة فأنزل الله هذه السور لعرض الصراع بين الحق والباطل منذ الأزل مبرزاً مواقف معينة للموازنة بين موقف المشركين في مكة، ومواقف الغابرين قبلهم من شتى الأمم فينزل الله من أخبار الغيب على النبي ﷺ ويبين له قصص الأمم السابقة، وما لاقى أنبياء الله من أجل الدعوة إلى الله، وكيف حفظهم الله ونصرهم، وكيف عاقب المكذبين المتجبرين مبيناً النهاية التي آلوا إليها ومن هذا المنطلق تتجلى القوة الحقيقية وهي قوة الله المتجسدة في إيمان المؤمنين ونصرته لهم(٢).

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٥/ج٢٠/ص١٣٥، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٦/ص٢٦٠، و(الكشاف)، للزمخشري، ج٣/ص١٩٣، و(لباب النقول)، للسيوطي، ج١/ص١٥٠، و(بصائر ذوي التمييز)، للفيروز أبادي، ج١/ص٢٤٧.

(٢) انظر: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، للبقاعي، ج١/١٨٥، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٣١٧، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص٩٨٧.

٢. التناسب بين مقاصد السور:

مقصد هذه السور (القصص، والنمل، والشعراء) مقصد واحد لا يتجزأ فكل السور تدعو إلى التمسك بالعقيدة وغرس الجانب العقدي في النفس البشرية ملخصة في عناصرها الأساسية وهي:

أ- الدعوة إلى توحيد الله وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾ {الفرقان:٢}، وقوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبِينَ**﴾ {الشعراء:٢١٣}، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ البَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ**﴾ {النمل:٩١}، وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ {القصص:٧٠}، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ {القصص:٨٨}.

ب- الخوف من الله وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **...وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا**﴾{الفرقان:١١}، وقوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾{الشعراء:٢٢٧}، وقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**﴾ {النمل:٨٧}، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**] {النمل:٩٠}، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾ {النمل:٨٢}.

ج- التصديق بالوحي وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ {الفرقان:١}، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾{الشعراء:١٩٢}، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾{النمل:٦}، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ**﴾ {القصص:٨٧}[1].

د- التخويف من عاقبة التكذيب في الدنيا، والآخرة وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا**﴾ {الفرقان:١١}، وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا**

---

(١) انظر: (التحرير والتنوير)، لابن عاشور، ج٢٠/ص٦٠، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج١٩/ص١٨٩، ٢٤٩.

مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾{النمل:٦٧-٦٩}، و﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ {النمل:٨٣-٨٥}، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ {القصص:٧٨}، وقوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾{القصص:٨١}.[١]

كذلك أيضاً في هذه السور تسلية للنبي ﷺ ومن معه وتثبيتاً لهم كما ثبت من قبلهم من المؤمنين فكل السور المذكورة سابقاً يبرز الله ﷻ فيها موقف المشركين في مكة ومواقف الغابرين من شتى الأمم السابقة للعبرة والتدبر في سنن الله وسنن الدعوات مبشراً الله ﷻ النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين بالنصر والفتح المبين مما يطمئن قلب النبي ﷺ ومن معه، وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ {الفرقان:٣٩}، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ {الشعراء:٦٧}، وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾{النمل:٩٣}، وقوله تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ {القصص:٨٤-٨٥}[٢].

٣- التناسب والتناغم بين مواضع في سورتي النمل والقصص:

أ- المناسبة بين افتتاحية سورة القصص وسورة النمل:

قوله تعالى في سورة القصص: ﴿ طسم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ {القصص:١-٦}، وقوله تعالى: ﴿ طس تِلْكَ آيَـــاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج١٩/ص٢٤٩.

(٢) انظر: (التفسير الكبير)، للرازي، ج٢٥/ص٢٩، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ص١٩٠، ٢٤٩، ٣١٧، ٣٢٠.

هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۞ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ {النمل:١-٦}.

- تبدأ السورتان بالحروف المقطعة كسائر الفواتح ثم تشير الآيات القرآنية أنها من هذا الكتاب المبين المعجز في صنعته المتحدى به حيث إنه لا يستطيع أي أحد أن يأتي بمثله وهذا دليل على صدق الوحي[١].
- تبدأ سورة النمل بذكر أن هذه الآيات هدى وبشرى للمؤمنين، ويذكر في سورة القصص قوله تعالى: ﴿ **نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ {القصص:٣}، ويمكن الربط بين هاتين الآيتين بأن نبأ موسى وفرعون فيه موعظة وبشرى للنبي ﷺ ومن معه من المؤمنين.
- ذكر في سورة القصص أن تلاوة القرآن للمؤمنين وذلك لأن قلوب المؤمنين تعي القرآن وتتدبره وذكر وصفاً للمؤمنين في افتتاحية سورة النمل، وبذلك تكون سورة النمل قد فصلت ما أجمل في القصص وذلك في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ {النمل:٣}.
- افتتاحية سورة النمل أجملت الكفار عامة والقصص ذكرت نموذجين وهما فرعون وهامان وجعلتهما مثالين لمن ذاقوا سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون، وهذا فيه تفصيل لما أجمل في النمل.

٤- مناسبة بين مواضع في السورتين:

أ- سورة القصص شارحة لسورة النمل وتجلى ذلك في عدة مواضع:

- لقد جاءت قصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة النمل مختصرة واقتصرت فقط على تكليفه بالرسالة وأمره بالذهاب إلى فرعون، وقد جاءت قصة سيدنا موسى في سورة القصص مفصلة من ميلاده وتربيته في قصر فرعون إلى تكليفه بالرسالة وأمره بالذهاب إلى فرعون[٢].
- جاء في سورة النمل قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾ {النمل:٧}، وجاء في القصص توضيح من

---

(١) انظر: (التفسير الكبير)، للرازي، ج٢٤/ص٢٢٤، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٢٥١، ٢٥٢، ٣٢٠.

(٢) انظر: (التحرير والتنوير)، لابن عاشور، ج٢٠/ص٦٢، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٢٤٩، ٣٣١.

هم أهله وكيف أتى بهم إلى هذا المكان: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۝ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾ {القصص:٢٢-٢٨}[(١)].

- سورة النمل بينت جحود فرعون لكل ما جاء به موسى من الآيات ولم تبين مصير فرعون وجنوده، حيث قال تعالى: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ {النمل:١٤}، وفي سورة القصص بينت الآيات عاقبة المفسدين وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**﴾{القصص:٤٠}.
- جاء في سورة النمل على لسان بلقيس صفة للملوك الظلمة حيث قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ**﴾ {النمل:٤}، وجاء في القصص ذكر لأحد هؤلاء الملوك الظلمة الذين عاثوا في الأرض فساداً حيث قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ {القصص:٤}.
- في سورة النمل تسلية للنبي ﷺ وتطمين له، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ {النمل:٧٠}، وفي سورة القصص يبين الله سبب عدم الحزن عليهم وعدم الضيق بسببهم معللاً ذلك أن الهداية بيد الله وليس بيد النبي ولقد تجلى

---

(١) انظر: (التحرير والتنوير)، لابن عاشور، ج٢٠/ص٦٢.

ذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾{القصص:٥٦}[١].

ب- **سورة النمل شارحة لسورة القصص:**

- لقد شرحت سورة النمل قوله تعالى: ﴿ **مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ {القصص:٨٤} ببيان نموذج ممن أهلكوا بهذه السيئة مثل قوم صالح وقوم لوط.
- يقول الزحيلي: "كما أنه يوجد ربط من وجه آخر بين سورتي النمل والقصص فقد أوجز هذا ما فصل في السورة المتقدمة – أي النمل – من إهلاك قوم صالح، وقوم لوط ومن بيان مصير من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة"[٢].
- بينت سورة النمل جزاء من يضل وجزاء الذي جاء بالهدى وذلك في قوله تعالى: ﴿ **مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۞ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ {النمل:٨٩-٩٠}، وبيّنت سورة القصص أن الله يعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾{القصص:٨٥}.

ج- **التناسب في ذكر تلاوة القرآن في سورتي النمل والقصص:**

إن تلاوة القرآن فيها رحمة للنبي ﷺ والمؤمنين حيث قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ {النمل:٧٧}، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ {القصص:٤٦}، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ**] {القصص:٨٦}.

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٣٠٦، ٣٦١.

(٢) التفسير المنير، للزحيلي، ج٢٠/ص٥٢.

د- التناسب في ذكر وصف بيوت العصاة بعد هلاكهم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] {النمل:٥٢}، و﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ {القصص:٥٨}.

ه- التناسب في ذكر آيات التحدي التي يتحدى الله بها هؤلاء الكافرين:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ {النمل:٦٤}، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ {القصص:٤٩}[1].

و- إنكار الكفار للبعث:

حيث جاء في سورة النمل تكذيب الكفار بيوم البعث والنشور، واستبعادهم لذلك اليوم وإنكاره: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ {النمل:٦٧-٦٨}، وجاء في سورة القصص توضيح لما سيحدث في ذلك اليوم، من عرض على الله وسؤال الكفار عن شركائهم، وإجابتهم للرسل الذين أرسلوا لهم في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ {القصص:٦٢}،[2]، كذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۞ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ {القصص:٦٣-٦٦}.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ {النمل:٨٧}، فيبين الله مظهراً آخر في سورة القصص من مظاهر يوم القيامة وهو الحكم بين الخلق يوم القيامة وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ ...لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ {القصص:٨٨}.

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٢٩٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، مج٦/ج٢٠/ص٢٩٨.

جاء في سورة النمل وصف لبيت نبي الله لوط، وفي داخل هذا البيت زوجة كافرة، لم تنفعها قرابة زوجها بإنجائها من العذاب الأليم، قال تعالى: ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ**﴾{النمل:٥٤-٥٨}، وجاء في القصص وصف لبيت الطاغية فرعون، وفي داخل البيت المرأة المؤمنة، التي لم تنفع زوجها فرعون وقرابته منها من إنجائه من العذاب الأليم، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ {القصص:٩}، وهذان النموذجان يحملان نفس الفكرة وهو قول الله ﷻ: ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ...** ﴾ {العنكبوت:٤٠}[١].

ثالثاً: المناسبة بين خاتمة سورة النمل ومقدمة سورة القصص:

١- ذكر الله ﷻ في خاتمة سورة النمل: ﴿ **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۞ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾{النمل:٨٩-٩٠}، وفي القصص ذكر نموذجين من جاءوا بالحسنة وهم الذين استضعفوا في الأرض ونموذج من جاءوا بالسيئة مثل فرعون وهامان ولقد تجلى ذلك في قوله تعالى في مقدمة سورة القصص: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾{القصص:٥-٦}.

٢- أمر الله ﷻ بتلاوة النبي ﷺ القرآن لكل الناس مبيناً أن القرآن هو كتاب هذه الدعوة ودستورها ووسيلتها للهداية وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ {النمل:٩٢}، وفي مقدمة سورة القصص يبين من يستجيب ويستمع للقرآن ويأخذ العبرة والموعظة من قصصه، وذلك في

---

(١) انظر: (صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص١٠١٣.

قوله تعالى: ﴿ **نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ {القصص:٣}[١].

٣- جاء في خاتمة سورة النمل أن الله أمر رسوله والمؤمنين بأن يحمدوه على نصره لهم وسيُرِي الله النبي والذين آمنوا آياته وسننه فيمن عصاه وخالفه وإنه ليس بغافل عنه، وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَقُلِ الحَمْدُ للهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ {النمل:٩٣}، وفي مقدمة سورة القصص وضحت الآيات ما أحدثه في فرعون وهامان وما آلوا إليه من مصير وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾ {القصص:٦}.

وكذلك ذكر الله الآيات في خاتمة سورة النمل وذكر آيات الكتاب في بدايتها فهي معجزات الله جميعها سواء في سننه في إهلاك الطغاة أو في القصص الغيبية التي ذكرت في القرآن أو في نفس الآيات القرآنية في صيغتها وسبكها وبلاغتها وفصاحتها فكلها تحتمل آيات الله فقد فسرت آيات الله بالمعجزات التي أيد بها النبي ﷺ من بينها الكتاب العزيز بكل ما يشتمل عليه من إعجاز، وهذا ما أكده قول العالم ابن حيان: "ومناسبة أول هذه السورة – لآخر السورة قبلها – أي النمل – إنه أمر تعالى بحمده ثم قال: ﴿ **وَقُلِ الحَمْدُ للهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ**﴾ {النمل:٩٣}.

وكان مما فسر به آياته تعالى معجزات الرسول ﷺ، وأنه أضافها تعالى إليه، إذ كان الكتاب هو أعظم المعجزات وأكبر الآيات البينات والظاهر أن (الكتاب) هو القرآن وقيل: اللوح المحفوظ[٢].

ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها:

أولاً: مناسبة الأجواء والمقاصد لما بعدها من السور:

تتفق الأجواء التي نزلت فيها سورة القصص وما بعدها من السور وذلك أنها نزلت في نفس الظروف التي نزلت فيها سورة القصص، والنبي والمؤمنون يعانون أشد المعاناة من

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٣٠٦، ٢١٢، ٣٢١.

(٢) البحر المحيط، لابن حيان، ج٨/ص٢٨٥.

الضعف والإيذاء والتشريد فنزلت هذه السورة أيضاً امتداداً لمقصد سورة القصص كما بينت آنفاً في مقاصد سورة القصص.

ثانياً: التناسب بين سورة القصص وما بعدها من السور:

١. مناسبة خاتمة سورة القصص مع مقدمة سورة العنكبوت:

من خلال الاطلاع في كتب التفسير وجدت الباحثة أن سورة العنكبوت امتداد لأواخر سورة القصص وقد تبين ذلك مما يلي:

الآيات في أواخر سورة القصص تحدثت عن امتحان النبي ﷺ ومن معه بالهجرة والخروج من موطنهم، فبشّره الله بالعودة في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ {القصص:٨٥}. وهذا الأمر فيه احتمال لمشاق القتال ويصعب على بعض الناس فيكون فيه اختبار وابتلاء للناس فوافق قوله تعالى في مقدمة سورة العنكبوت: ﴿ **الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ {العنكبوت:١-٢}، كذلك في قوله تعالى في خاتمة سورة القصص: ﴿ **...وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ...** ﴾ {القصص:٨٧}، فيه أمر للنبيﷺ والمؤمنين بالدعوة إلى الله وهذا يتطلب منهم الجهاد في سبيل الله لنشر الدين، وهذا الأمر فيه مشقة وقد يتخلف عنه بعض الناس لضعف إيمانهم وهذا فيه ابتلاء عظيم للناس فناسب ما ابتدأت به سورة العنكبوت.

وفي قوله تعالى: ﴿ **...كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ {القصص:٨٨}، فيه رد على منكري البعث والحشر والذين يقولون لا فائدة من التكاليف فإنها شاقة، فتناسب ذلك مع بداية سورة العنكبوت، وبيَّن الله فيها أنه على غير ما حاسبوا وأنه له ترجع الخلائق ويحاسبوا كل بعمله[١].

كذلك أيضاً تتحدث الآيات عن علم الله بالمؤمن والكافر فهي تحمل نفس الفكرة وهي تسلية النبي ﷺ ومن معه وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ {القصص:٨٥}، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **...فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ {العنكبوت:٣}[٢].

---

(١) انظر: (التفسير الكبير)، للرازي، ج٢٥/ص٢٦، ٢٧.

(٢) انظر: (التفسير الكبير)، للرازي، ٢٥/ص٢٩، و(في ظلال القرآن)، مج٦/ج٢٠/ص٣٠٦.

كذلك تتحدث الآيات عن الحقيقة الإيمانية حقيقة العودة إلى الله جميعاً في معاد ومحاكمة الناس على ما أسرفوا وجزائهم بما عملوا وبذلك فيها بشارة لثواب المؤمنين وإنذار للذين حادوا عن دين الله[1].

كذلك جاء في خاتمة القصص توجيه للنبي ﷺ ولأمته عدم الإشراك بالله، وإخلاص العبودية له، والدعوة إليه، والعمل للدار الآخرة، وهذا من أرفع درجات الجهاد وهو جهاد النفس وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ {القصص:٨٧-٨٨}.

وجاء في مقدمة العنكبوت الحديث عن الجهاد وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ {العنكبوت:٦}.

كذلك أيضاً ذكر الله الفتنة في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ...** ﴾ {القصص:٨٧}، وبين الله الحكمة من هذه الفتنة في مقدمة سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿ **...فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ {العنكبوت:٣}.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن خاتمة القصص ومقدمة العنكبوت كأنها سورة واحدة وامتداد لفكرة واحدة فمقدمة سورة العنكبوت مفصلة لخاتمة القصص وهذا دليل على أن هذا القرآن معجز في حديثه ومتناغم في أفكاره فكل سورة تعزز ما قبلها في إبراز المقصد العظيم للقرآن الكريم وهو الهداية والرشاد إلى طريق الحق.

يقول الإمام البقاعي في سورة العنكبوت: "مقصودها الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى الله تعالى وحده من غير فترة كما ختمت به السورة الماضية من غير تعريج على غيره ﷻ"[2].

---

(١) انــظر: (نــظم الدرر)، للبقاعي، ج٥/ص٥٣٣، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج٢٥/ص٣١.

(٢) انظر: (نظم الدرر)، للبقاعي، ج٥/ص٥٣٣.

٢. التناسب في افتتاحية السورتين (القصص والعنكبوت):

تبدأ السورتان بالحروف المقطعة وذلك دليل على أن هذه الآيات سبكٌ واحدٌ وصياغة واحدة فكل آيات القرآن تتكون من هذه الحروف.

يقول الله تعالى في سورة القصص: ﴿ **نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ {القصص:٣}، ويقول الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ** ﴾ {العنكبوت:٣}، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾{القصص:٦}، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ {العنكبوت:٤}، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ** ﴾ {القصص:٥} ، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾{العنكبوت:٧}.

تتضمن المقدمتان وحدة الفكرة بالحديث عن سنة الابتلاء في الأرض فها هو موسى ومن معه الذين امتحنوا بفرعون وجنوده وقد كان في نبأهم عبرة للقوم المؤمنين الذين يعتبرون بقصص من قبلهم موضحاً الله ﷻ الحكمة من هذه السنة فيؤكد قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ** ﴾ {العنكبوت:٣}.

كذلك تضمنت السورتان إنذاراً لمن تمردوا على عبادة الله وعاثوا في الأرض فساداً وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾{العنكبوت:٤}.

كذلك في سورة القصص ذكر نموذجاً لمن ساءوا وهو فرعون، وهامان وفي سورة العنكبوت أجمل في ذكر حال المسيء[١].

ووعده بالنصرة عباده المؤمنين وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾{القصص:٥-٦}.

---

(١) انظر: (التفسير الكبير)، للرازي، ج٢٥/ص٣١، ٣٢، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص١٠١٣.

ثالثاً: التناسب والتناغم في مواضيع مختلفة في السورتين:

بيان موقف الأم تجاه وليدها وما تحمل في مشاعرها من الحب والحنان متجسداً في نموذج أم موسى للأمهات وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ {القصص:١٠}، فيتناسب ذلك بأمر الله إلى الإحسان للوالدين لما فيه تبادل لهذه المشاعر العظيمة براً ووفاءً لهما واعترافاً بفضلهما وذلك أنهما سبب في وجوده بإرادة الله ﷻ وكان ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ {العنكبوت:٨}[١].

تناسب الآيات في ذكر نماذج للابتلاء ونصرة الله لعباده المؤمنين فقد ذكر في سورة القصص قصة سيدنا موسى وابتلائه بفرعون ومن معه وابتلاء قوم قارون باستعلاء قارون عليهم بماله وعلمه وابتلاء نبينا محمد ﷺ ومن معه بالمشركين، والآيات في سورة العنكبوت تتحدث أيضاً عن نماذج تجسدت فيها سنة الابتلاء مثل: قصة سيدنا نوح مع قومه، وإبراهيم عليه السلام مع قومه، وموسى عليه السلام مع فرعون وجنوده، ولوط عليه السلام مع قومه، وصالح عليه السلام مع قومه مبيناً الله ﷻ عاقبة تكذيبهم بسخطه عليهم وإهلاكهم[٢].

تناسب الآيات في التحدث عن نعمة الرزق وإن الله وحده هو الرازق كما ذكر في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ {القصص:٥٧}، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾ {القصص:٨٢}، وقوله تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ {العنكبوت:٦٠}، وقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾{العنكبوت:٦٢}، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ**

---

(١) انظر: (التفسير الكبير)، للرازي، ج٢٥/ص٣٣، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ص٢٠/ص٣١٩.

(٢) انظر: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، للبقاعي، ج٥/ص٥٣٤-٥٣٦، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص١٠١٣.

اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾{العنكبوت:١٧}[(١)].

التناسب في ذكر نماذج من الآيات الكونية في السورتين:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ {القصص:٧١}، و**﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾** {العنكبوت:٦١}، و**﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾**{العنكبوت:٦٣}.

التناسب في ذكر السورتين أن تلاوة القرآن فيه رحمة وذكرى للمؤمنين:

﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ {القصص:٨٦}، وقوله تعالى: **﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** {العنكبوت:٥١}[(٢)].

التناسب في بيان دور المرسلين في السورتين وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: **﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**{القصص:٤٦}، وقوله تعالى: **﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلَاغُ المُبِينُ﴾** {العنكبوت:١٨}، **﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾** {العنكبوت:٥٠}.

التناسب في إبراز موقف الكافرين والمنافقين عن نصرة دين الله والتسليم لشهواتهم وأهوائهم وإنكارهم لنعمة الله عليهم كما في قوله تعالى: **﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** {القصص:٥٧}، وقوله تعالى: **﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾** {العنكبوت:٦٧}.

التناسب في بيان صفات الجاحدين لآيات الله:

﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ {القصص:٨٧}، **﴿ ...وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الكَافِرُونَ﴾** {العنكبوت:٤٧}، **﴿ ...وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾** {العنكبوت:٤٩}، فكل آية وصفت الجاحد لآيات الله فوصفهم الله

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٣٩٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، مج٦/ج٢١/ص٤٢٣.

بالمشركين والكافرين والظالمين والشرك والكفر والظلم تأتي بنفس المعنى في سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿ ...**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ {لقمان:١٣}، فإن المشرك كافر ظالم لنفسه ومن صفات المشرك أيضاً الصد عن آيات الله والجحود بها من خلال ما سبق لنا أن سورة العنكبوت مكملة لسورة القصص في أهدافها ومقاصدها.

المطلب السادس: مناسبة آخــر الســورة لأولها:

يقول تعالى في مقدمة السورة: ﴿ **طسم ۞ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ**﴾{القصص:١-٦}.

ويقول الله ﷻ في خاتمة السورة: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ۞ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾۞ {القصص:٨٥-٨٨}، من خلال النظر والتدبر في هذه الآيات الكريمة تجد الباحثة أن مقدمة السورة على علاقة وطيدة مع خاتمتها، فمقدمة السورة تنوه بمطلب أو وعد أو إنذار بخطر ما وذلك ما يسمى بعقدة القصة، وقد تتراكم الأحداث، والمطالب، والمصاعب على أن يأتي الحل والنتيجة فالقصة القرآنية تتسم بصدقها؛ وهي دليل على صدق النبي ﷺ، فتبدأ القصة بالإشارة إلى أن هذه الآيات كتاب الله المبين التي ستوضح وتبين طرق الهداية والرشاد من خلال قصص الأنبياء، وأقوامهم، ومن قصص أيضاً النبي ﷺ والمؤمنين عن أخبار الغيب فيذكر قصة موسى عليه السلام وأمه وفرعون وغيرهم كقصة قارون وقومه؛ فالسورة تتضمن تخويفاً، وترهيباً، وإنذاراً، وتهديداً للضالين، وتبشيراً لمن تمسك بالعروة الوثقى، وسار على درب الأنبياء والمؤمنين؛ فكانت العلاقة بين المقدمة وآخر السورة تشتمل على عدة علاقات فرعية، فربما كانت العلاقة علاقة مقدمة ونتيجة وربما كانت علاقة تفصيل لما أجمل في المقدمة من حيث أنها بينت العبرة والحكمة من ذكر هذه القصة خاصة من نبأ موسى عليه السلام وفرعون، وربما كانت العلاقة مؤكدة للمقدمة، وسنتناول هذه العلاقات من خلال الشرح والتفصيل في ذلك.

أولاً: علاقة مقدمة ونتيجة وذلك من خلال ما ذكر في مقدمة السورة:

فكانت المقدمة تحتوي على نبأ فرعون وموسى عليه السلام وامتحان بني إسرائيل بفرعون واستيلائه عليهم وفتكه بهم إلا أن الله أعزهم، وأظهرهم على عدوهم، وأورثهم أرضهم، وديارهم كما ذكر الله تعالى بأنه هو المنفرد بملكه يؤتي ملكه لمن يشاء وينزعه ممن يشاء وذلك تجلى في قوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾{القصص:٥-٦}، ونتيجة هذا الأمر أن الله تعالى سيمنُّ على رسول الله ﷺ والمؤمنين بنصر كما نصر من قبله ويعيده إلى بلده بفتح مبين فهو له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وقد تجلت هذه النتيجة في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ {القصص:٨٥}، ﴿ **وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ {القصص:٨٨}.

ثانياً: علاقة تفصيل لما أجمل في المقدمة:

وقد تبين ذلك في الإفصاح، والتفصيل، والتبيين عن الهدف المراد تحقيقه من العلم بقصة فرعون وقارون وهامان فكان الهدف هو تثبيت النبي ﷺ والمؤمنين ومواساته بهذه القصص ورسم طرق الهداية، والرشاد من خلال ذكر النصائح التي تجلت في قوله تعالى في الخاتمة: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ۝ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾۝{القصص:٨٥-٨٨}.

ويقول الإمام البقاعي في هذه العلاقة: "فقد انطبق آخر السورة على أولها، وانشرح مجملها بمفصلها"[١].

ثالثاً: علاقة تأكيد الخاتمة للمقدمة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ...** ﴾ {القصص:٨٥}، حيث يؤكد الله تعالى أنه سيرد النبي ﷺ إلى بلده مؤيداً بنصر وفتح مبين وهذا فيه تأكيد لما قاله في مقدمة السورة في قوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾ {القصص:٥}.

---

(١) نظم الدرر، ج١/ص١٨٥

ويقول الزركشي في ذلك: "ومن أسراره – أي القرآن – مناسبة فواتح السور وخواتمها، وتأمل سورة القصص وبداءتها بقصة مبدأ موسى عليه السلام ونصرته، وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ**﴾ {القصص:١٧} وخروجه من وطنه، ونصرته وإسعافه بالمكالمة، وختمها بأمر النبي ﷺ بألا يكون ظهيراً للكافرين، وتسلية بخروجه من مكة، والوعد بعودته إليها بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ...** ﴾ "{القصص:٨٥}[١].

من خلال هذه العلاقات تتجلى روعة الآيات القرآنية، والسبك القرآني، والتناغم والتناسب بين آياته ليتحقق الهدف والمقصد عند العلم بها.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ج١/ص١٨٥

الفصل الثاني

المحن والابتلاءات فـــي سورتي يوسف والقصص

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المحن والابتلاءات في ســـورة يوسف.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: محنة يوسف – عليه السلام مع إخوته وابتلاؤه بحسدهم له.

المطلب الثاني: محنة يوسف – عليه السلام في الجب.

المطلب الثالث: محنة يعقوب عليه السلام وابتلاؤه بفقد يوسف.

المطلب الرابع: محنة يوسف عليه السلام وابتلاؤه في بيت العزيز.

المطلب الخامس: محنة يوسف عليه السلام وابتلاؤه في السجن.

المطلب السادس: محنة إخوة يوسف عليه السلام باحتجاز أخيهم بنيامين.

المطلب السابع: محنة يوسف عليه السلام وابتلائه باتهام إخوته له بالسرقة.

المطلب الثامن: محنة يعقوب عليه السلام وابتلاؤه بولده الثاني بنيامين.

المبحث الثاني: المحن والابتلاءات في سورة القصص.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: محنة بني إسرائيل وابتلاؤهم بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم.

المطلب الثاني: محنة أم موسى وابتلاؤها بإلقاء موسى عليه السلام في اليم.

المطلب الثالث: محنة موسى عليه السلام بقتله القبطي وفراره إلى مَدْين.

المطلب الرابع: ابتلاء موسى عليه السلام بالفقر.

المطلب الخامس: محنة موسى عليه السلام وابتلاؤه عند تكليفه بالرسالة.

المطلب السادس: محنة قوم قارون من خلال استعلائه عليهم بالمال والجاه والسلطان

المطلب السابع: محنة تكذيب النبي عليه السلام من قبل المشركين.

المبحث الأول

المحن والابتلاءات فـــي ســـورة يـــوسف

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: محنة يوسف عليه السلام مع إخوته وابتلاؤه بحسدهم له.

المطلب الثاني: محنة يوسف عليه السلام في الجب.

المطلب الثالث: محنة يعقوب عليه السلام وابتلاؤه بفقد يوسف.

المطلب الرابع: محنة يوسف عليه السلام وابتلاؤه في بيت العزيز.

المطلب الخامس: محنة يوسف عليه السلام وابتلاؤه في السجن.

المطلب السادس: محنة إخوة يوسف عليه السلام باحتجاز أخيهم بنيامين.

المطلب السابع: محنة يوسف عليه السلام وابتلاؤه باتهام إخوته له بالسرقة.

المطلب الثامن: محنة يعقوب عليه السلام وابتلاؤه بولده الثاني بنيامين.

المبحث الأول

المحن والابتلاءات في ســورة يــوسف

المطلب الأول: محنة يــوسف عليه السلام مع إخوته وابتلاؤه بحسدهم لــه.

تميز يوسف بالخصوصية بمعاملة أبيه يعقوب عليه السلام وبمزيدٍ من الحب، والإيثار، وذلك للظــروف التـــي عاشـــها يوسف عليه السلام فـــي صـــغره؛ وما اشتملت عليه شمائل شخصيته.

فقد تزوج يعقوب عليه السلام برحيل ابنة خالته الصغرى وأنجبت يوسف عليه السلام وأخاه الأصغر بنيامين، وتوفيت وهي في نفاس فكان أحب الأولاد إلى يعقوب عليه السلام وأخوه بنيامين[1].

ويقول الإمام الرازي حول تخصيصهما بمزيد من البر: "فيحتمل أنه كان لوجوه:

١- أن أمهما ماتت وهما صغار.

٢- لأنه كان يرى في يوسف من آثار الرشد والنجابة ما لم يجد في سائر أبنائه.

٣- لعله عليه السلام وإن كان صغيراً إلا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدم وأشرف وأعلى بما كان يصدر من سائر أولاده"[2].

فهذه احتمالات اجتهادية يراها الإمام الرازي غير أن الباحثة تجد رأياً اجتهادياً رابعاً وذلك أن الله تعالى تكفل بتربية أنبيائه فيسر السبل والظروف الملائمة لكل نبي حتى تُصقل شخصيته، فهذه الظروف أرادها الله كي يكون يوسف عليه السلام مثلاً لشخصية النبي الذي يتحمل المحن والابتلاءات بشتى أنواعها حتى ابتلي من أقرب الناس إليه ونتيجة هذا الصبر، والابتلاء كانت له هذه المكانة الرفيعة التي منحها الله إياها كي تكون قصته عبرة لأولي الألباب وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ**﴾ {يوسف:٧}.

ومما يؤكد على ذلك قول الإمام ابن كثير: "قد أنزل الله تعالى في شأنه عليه السلام وما كان من أمره سورة من القرآن العظيم ليتدبر ما فيها من الحكم والمواعظ والآداب والأمر الحكيم".[3]

---

(١) انظر: (القصص القرآني)، للدكتور أحمد الكبيسي، ص٧٠.

(٢) التفسير الكبير، للرازي، ج١٨/ص٨٩.

(٣) قصص الأنبياء، لابن كثير، ص١٧٨.

هذه المعاملة التي تميزت بفطرة الإنسان وبقدر الله ﷻ من قبل سيدنا يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام أثارت حفيظة إخوته التي نتج عنها حسدهم بدافع الغيرة من يوسف عليه السلام حتى وصل الأمر إلى استشعار الأب يعقوب عليه السلام هذا الشعور فأوجس في نفسه خيفة منهم على يوسف عليه السلام فأمر ابنه بكتمان الرؤيا التي رآها يوسف والمتمثلة في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾{يوسف:٤}؛ لأن يعقوب عليه السلام أدرك دلالة هذه الرؤية بأن ابنه يوسف عليه السلام سيبلغه الله مبلغاً من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فقال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ {يوسف:٦}.

فخاف عليه حسد إخوته له وكيدهم له ويطيعوا الشيطان فيما يوسوس لهم وتجسد ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ {يوسف:٥}. وبذلك كان نبي الله يعقوب عليه السلام أشد حرصاً على هذا الخير فأخذ يرسم له أول سبل النجاة في كتمان هذا الأمر عن إخوته حتى لا يبالغوا في حسدهم له فيصيبوه بإيذاء عظيم يفسد عليه رؤياه(١).

إلا أن بعض الروايات أشارت بمعرفة أخوة يوسف عليه السلام لهذه الرؤيا وما تحمله من إشارات فازداد حسدهم لأخيهم بسبب هذه الرؤيا.

فيقول الإمام الزمخشري في ذلك: "فلما بلغتهم حسدوه وقالوا ما يرضى أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه فبغوه بالعداوة"(٢)

وكذلك ما ذكر في تطور وازدياد حب يعقوب عليه السلام بعد حدوث الرؤيا فكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر عنه فتتابع فيهم حسده وازداد مما أثار حفيظتهم فترتب على ذلك اتهامهم لأبيهم بالضلال وذلك في قوله تعالى: ﴿ **...إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ {يوسف:٨} (٣).

ويقول الإمام الشنقيطي رحمه الله: "الظاهر أن مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم في هذه الآية الكريمة إنما هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر كما ينبغي".(٤)

---

(١) انظر: (التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص٨٨، و(الكشاف)، للزمخشري، ج٢/ص٣٠٢، و(البحر المحيط)، لابن حيان، ج٦/ص٢٣٩، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص٨٤.

(٢) الكشاف، للزمخشري، ج٢/ص٣٠٣.

(٣) انظر: (الكشاف)، للزمخشري، ج٢/ص٣٠٣، و(مدرسة الأنبياء عبر وأضواء)، لمحمد الزين، ص١٢٤، و(قصص الأنبياء)، للكبيسي، ص٧٤.

(٤) أضواء البيان، للشنقيطي، ج٣/ص٥٢.

أي أن أباهم حاد عن الحق والعدل في معاملته لهم بتفضيل يوسف عليه السلام وأخيه بنيامين عليهم ولم يكن المقصود باتهامهم بضلاله ضلال الكفر معللين ذلك بأنهم عصبة أي جماعة تعصب الأمور بهم وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ {يوسف:٨}. وبناءً على ذلك ظنوا أنهم على حق في اتهامهم لأبيهم لأنهم رأوا أنهم أولى وأحق بهذا التفضيل لكثرتهم وانفعهم لأبيهم أكثر من يوسف عليه السلام وأخيه فقد روي أنهم كانوا عشرة وهم: (روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وزيا لون ويشجر وجاد وأشير ودان ونيفتالي)[١].

ويقول الإمام الرازي في ذلك: "وهم تأذوا لعدة أوجه:

١- كانوا أكبر من أخيهم يوسف عليه السلام سناً.

٢- أكثر قوة وأكثر قياما بمصالح الأب.

٣- القائمون بدفع المفاسد والآفات والمشتغلون بتحصيل المنافع والخيرات"[٢].

ومن خلال ما سبق وصلوا إلى نتيجة أن أباهم يجب أن يحبهم أكثر ويؤثرهم ويفضلهم على أخويهم.

ويقول الإمام محمد متولي الشعراوي في ذلك: "الضلال المذموم هو أن تعرف الحق ثم تذهب إلى الباطل وأخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا يعرفون الفرق بين حب العاطفة وحب العقل ومن هنا وصلوا إلى نتيجة أن أباهم يجب أن يحبهم أكثر والنتائج الضارة لا تنشأ إلا من مقدمات باطلة فكان قولهم أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة مقدمة خطأ"[٣].

ومن هنا نشأ التفكير الخاطئ لأخوة يوسف عليه السلام فكان يجب عليهم أن ينظروا إلى أنهم عصبة وكل ما يملك أبوهم في أيديهم واتجهوا إلى حب أبيهم ليخطئوه فلم يستطيعوا أن يقفوا على حقيقة الأمر ربما لأنهم لم يخوضوا هذه التجربة فعاطفة الأبوة في الحنو على الأبناء الصغار من الصعب أن يشعر بها من لم يجرّبها، من هنا حكموا على أبيهم بالضلال لأنه جانب الصواب في محبته لهم، وتفضيل يوسف عليه السلام وأخيه بنيامين عليهم وإيثارهما عليهم مع استوائهم في الانتساب إليه، ولكن إرادة الله شاءت بذلك وقدّر هذا الأمر بأمره تعالى لتتجلى الموعظة والعبرة من قصة يوسف عليه السلام مع إخوته.

---

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص٨٧، و(فتح القدير)، للشوكاني، ج٣/ص١١، و(قصص الأنبياء)، لابن كثير، ص١٧٣، ١٧٤، و(القصص القرآني)، للكبيسي، ص٧٢.

(٢) انظر: (التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص٩٤.

(٣) قصص الأنبياء والمرسلين، للشعراوي، ص١٦٠

ومن هذا المنطلق بدأ إخوة يوسف الكيد ضده والتآمر عليه فقرروا التخلص منه وقد أشاروا على بعضهم البعض بعدة أراء حتى يخلو لهم وجه أبيهم في الحب والحنان وتستقيم أمورهم ويتوبوا إلى الله بعد ذلك ويلتفتوا إلى مصالح دينهم ودنياهم وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾{يوسف:٩}.

فاقترحوا على بعضهم ثلاثة مقترحات:

* المقترح الأول:

وهو قتل يوسف عليه السلام وتمثل في قوله تعالى: ﴿ **اقْتُلُوا يُوسُفَ...** ﴾ {يوسف:٩}.

وقد اختلفت الروايات في القائل الذي أمر بالقتل من كان على قولين: أحدهما أن أحداً من إخوة يوسف عليه السلام القائل.

أما القول الآخر: أن إخوة يوسف شاوروا أجنبياً فأشار عليهم بقتله وبذلك يكون القائل ليس من إخوة يوسف والله أعلم[1].

*المقترح الثاني:

التغريب بإلقائه في أرض مجهولة وبعيدة عن العمران وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **...أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا...** ﴾ {يوسف:٩}.

وهذا الرأي أقل خطراً من الرأي السابق فربما تأكله الوحوش المفترسة وربما ينجو من الهلاك.

*المقترح الثالث:

فهو إلقاؤه في غيابة الجب وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ {يوسف:١٠}.

وقد اختلفوا في قائل ذلك وذهبوا إلى ثلاث روايات قال قتادة ومحمد ابن إسحاق: كان أكبرهم واسمه روبيل، وقال السُّدِّي: إن الذي قال ذلك يهوذا، وقال مجاهد: هو شمعون والله أعلم[2].

---

(١) انظر: (التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص٩٥.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٧/ج١١/ص١٨١، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥١، و(الكشاف) للزمخشري، ج٢/ص٣٠٥، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص٨٨، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص٩٥.

وترى الباحثة أن الله قد صرف القتل عن يوسف عليه السلام بهذه المقالة فهي أقلها ضررا وأخفها ألماً ليوسف عليه السلام فربما التقطه احد السيارة وأخذه إلى مكان بعيد وقد كان هذا الاختلاف في الرأي دليلاً على أن إخوة يوسف عليه السلام من الأخيار فالشر عندهم متناقص فبدؤوا بالقتل ثم التغريب فهو أخف من القتل ثم أجمعوا على إلقائه في الجب، وكان هذا الرأي أخف ضرراً وذلك لتوفر الماء الذي يحفظ حياته مدة طويلة إلى أن تأخذه السّيارة إلى مكان بعيد ومن خلاله حققوا هدفهم دون اللجوء إلى ارتكاب معصية كبيرة كجريمة القتل، وكل هذا دليل على عناية الله بيوسف عليه السلام وإحاطته بحفظه ومعيته.

المطلب الثاني: محنة يوسف عليه السلام في الجب.

اتفق إخوة يوسف عليه السلام على طريقة التخلص من يوسف عليه السلام بإلقائه في غيابة الجب والجب في اللغة هي البئر التي لم تطو، وتسميته لذلك إما كونه محفوراً في أرضٍ غليظة غير مبنية من داخلها، وإما لأنه قد جب وهو قطع الشيء من أصله، وغيابته بالفتح ما يغيب عن رؤية البصر في قعره أو حفرة بجانبه تكون فوق سطح الماء يدخلها من يدلي فيه لإخراج شيء وقع فيه أو إصلاح خلل عرض له(1).

فأخذوا يدبروا الأمر لأخذ يوسف عليه السلام من أحضان أبيه يعقوب عليه السلام باحتيالهم عليه من أجل الموافقة وبإغرائهم له أنهم سيأخذوه كي يلعب ويرتع معهم ووعدوه بحفظهم له فقال تعالى على لسانهم: ﴿ **أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ {يوسف:١٢}.

من هنا كانت هذه بداية تنفيذ المؤامرة وكيدهم للتخلص من يوسف عليه السلام فكانت الخطوة الأولى الإجماع على الرأي في إلقائه في الجب وتحديدهم لهذا الجب الذي سيلقونه فيه.

وقد علم من التعريف أنه جب معروف وقد اختلفت الروايات في تحديد مكان ذلك الجب وذهبوا إلى ثلاثة أقوال:

أولهما: قول قتادة: هو بئر ببيت المقدس.

وثانيهما قول وهب[2]: هو بأرض الأردن.

وثالثهما قول مقاتل: هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام.

---

(١) انظر: (مفردات ألفاظ القران الكريم)، للأصفهاني، ج١/ص١٦٥، و(معجم مقاييس اللغة)، لابن فارس، ج١/ص٤٢٣، و(مختار الصحاح)، للرازي، ج١/ص٩١، و(تفسير المنار)، لرشيد رضا، ج١٢/ص٢٦٢.

(٢) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذيكيبار وهو العلامة الأخباري القصصي، تابعي ثقة، وفاته: ١١٠هـ، انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء، لأحمد الحمصي، ج١ص:١٦٥-١٦٦.

وقد عينوا الجب للعلة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **...يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ...** ﴾ {يوسف:١٠}.

وذلك لأن البئر كانت معروفة وكان يرد عليها كثيرٌ من القوافل والرعاة وكان المشير بهذا الرأي يعلم أن هذا الرأي قد تتحقق فيه سلامة يوسف من الهلاك(١).

وأما الخطوة الثانية فكانت تنفيذ المؤامرة وإلقاء يوسف عليه السلام في غيابة الجب فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرية اظهروا له العداوة وشرعوا في إيذائه تارة بالشتم وتارة بالضرب حتى كادوا أن يقتلونه وعندما أرادوا إلقائه في غيابة الجب تعلق بثيابهم فنزعوها وربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على أبيهم وربطوه بالحبل ودلوه بالبئر فكان إذا لجأ إلى واحد منهم شتمه وضربه وإذا تشبث بحافات البئر بيديه ضربوه عليها ثم قطعوا الحبل فسقط في البئر ثم أوى إلى صخرة تسمى رعوفة فقام عليها، وهو يبكي، ويدعو الله فيقول يا شاهداً غير غائب ويا قريباً غير بعيد ويا غالباً غير مغلوب اجعل لي فرجاً ومخرجاً وقد قيل إن جبريل من علمه هذا الدعاء وكانت الملائكة عندما سمعته تقول إنه صوت صغير ودعاء نبي.

من هنا تجلت قدرة الله سبحانه وتعالى في تقدير هذا الأمر ليوسف عليه السلام وإرادته له فكان الأنبياء أشد بلاءً من غيرهم من البشر وذلك لما روى الترمذي بسنده :عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ: **[يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً قَالَ الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ]**(٢).

وبهذا نسترشد بصبر هؤلاء الأنبياء، ونسير على نهجهم ليكونوا مثلاً أعلى لنا في نهجهم ومنهجهم في التعامل مع الابتلاءات والمحن.

فها هو يوسف عليه السلام نبي ابن نبي ابتلي بما ابتلي به من أقرب الناس إليه إلا أن الله سبحانه وتعالى لن يتخلى عن أنبيائه وعباده المؤمنين في أوقات الشدة فيهيئ لهم سبل النجاة من حيث لا يعلمون.

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، ج١٧/ص٥٦٧، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص٩٥، و(الكشاف)، للزمخشري، ج٢/ص٣٠٦.

(٢) سنن الترمذي، ٥٦ باب ما جاء في الصبر على البلاء، ص٥٤١، حديث ٢٣٩٩، وصحّحه الألباني.

المطلب الثالث: محـــنة يعــقوب ﷺ وابـــتلاؤه بـــفقد يـــوسف ﷺ.

محنة تولدت عن محنة وكانت أشد ابتلاءً للأب الشيخ الكبير الذي حزن على فراق ابنه حزناً شديداً حتى ابيضت عيناه من البكاء.

بدأت محنة يعقوب ﷺ وابتلاؤه بفقد يوسف ﷺ منذ أن داهمه شعور الحزن والخوف عندما عرض أخوه يوسف على أبيهم باصطحابهم ليوسف وتجلى ذلك في قوله تعالى على لسانه: ﴿ **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ...** ﴾ {يوسف:١٣}.

وكان ذلك دليلا على فرط محبة يعقوب ﷺ لابنه يوسف ﷺ، فكان يحزن ويألم لفراقه ولو لسويعات قليلة فما بال فراقه لسنوات طويلة دون معرفته متى اللقاء، فبدأت مأساة الشيخ العجوز يعقوب ﷺ تتفاقم عندما جاء أبناؤه بدون يوسف، وهم يختلقون الأكاذيب والمبررات البشعة الساذجة التي حالت بمجيء يوسف ﷺ وأخذوا يبلغون من يعقوب ﷺ بهذه المأساة وهم يبكون كذباً حيث جاءوا إلى أبيهم وقت العشاء وقالوا له: إنا ذهبنا نستبق، وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب، وجاءوا على قميصه بدم كذب حتى يوهموا أباهم بأن هذا الدم هو دم يوسف، فقد روي أنهم لما ذهبوا فأخذوا ذئباً فلطخوا فاه بالدم وساقوه وقالوا ليعقوب هذا أكل يوسف فدعاه يعقوب وتكلم بتكذيبهم(١).

كذلك روي أيضاً أنهم جاؤوا بسخلة وذبحوها ولطخوا قميص يوسف ﷺ به وقالوا هذا قميص يوسف وفيه دمه حين أكله الذئب وكلا الأمرين كان لا يختلف في تحقيق هدفهم وهو إقناع أبيهم بأن الذئب أكل يوسف ﷺ وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ...** ﴾ {يوسف:١٨}(٢).

ولكن سرعان ما استدرك هذا الأب بنور البصيرة حيث إنهم نسوا أن يخرقوه فلهذا لم يخفى هذا الصنيع على أبيهم، فكيف أكل الذئب يوسف دون أن يقطع قميصه أو يمزقه فرد عليهم قائلاً: ﴿ **...قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا...** ﴾ {يوسف:١٨}: أي خديعة، وحيلة للتخلص من أخيكم فكيف كان رد هذه الفجيعة على هذا الأب الذي امتلك أعظم المشاعر من الحب والحنان لهذا الابن، ورغم ذلك كان من أعظم الناس تحملاً لهذه المحنة فلم يقابلها إلا

---

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية، ج٧ص٤٥٨.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٧/ج١٢/ص١٨٩، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص١٠٢.

بالصبر الجميل والصبر الجميل هو الصبر الذي لا شكوى فيه ، قال مجاهد: "الصبر الجميل الذي لا جزع فيه" [1].

ثم استعان بالله ﷻ على كذبهم وحيلهم وخداعهم، ولم ينته هذا الحزن عند هذه المقولة ولكن أخذت هذه المحنة من نفس يعقوب الكثير من الحزن والهم الشديد الذي كان يكظمه حتى ابيضت عيناه من الحزن وشدة البكاء على فراقه حتى بدت الغرابة والدهشة على أولاده أنه مازال الحزن وذكر يوسف في داخله حتى بعد فراقه لسنوات طويلة ولم يفتر ولم ينقطع ولم ينس يوسف ولو للحظة، ومن شدة هذا الحزن خشي عليه أبناؤه من الهلاك، ولكن كل مرة يردُّ عليهم بما يحمل هذا النبي من الإيمان في قلبه وما يسلم به لقضاء الله وقدره فيرد على أبنائه إنما أشكو همي وحزني إلى الله[2]، وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۞ قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ {يوسف:٨٤-٨٦}.

ورغم هذا الضيق والمحنة والابتلاء كان أمله في الله ﷻ أن يفرّج كربه، ويذهب همه وكان ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ {يوسف:٨٦}.

فهو مؤمن أن رؤيا يوسف ﵇ حق ولابد أن يظهرها الله في يوم من الأيام ولكن متى هذا اليوم، لا يعلمه إلا الله فهذا قمة الإيمان والتسليم لقضاء الله والرضا النفسي بما يقدر الله ﷻ فهاهم الأنبياء هم القدوة في الصبر، واحتمال الابتلاء حيث ضربوا أروع الأمثلة والعبر لمن بعدهم من الأنبياء والأمم اللاحقة لهم وكأنها رسالة وإشارة إلى رسول الله ﷺ بأن هذا يعقوب ﵇ الشيخ الذي ذهب بصره وكادت نفسه أن تهلك من شدة الحزن على فراق ابنه كيف قابل هذه المحنة فلم يقابلها إلا بالصبر الجميل ولم يستعن إلا بالله رب العالمين.

فاللهم ثبتنا عند الضروب والمحن كما ثبَّت أنبيائك أجمعين وارزقنا السلوان على ما فقدنا بأيدي الاحتلال واجعل قصص الأنبياء فيها عبرة لنا وتسلية لنفوسنا.

---

(١) تفسير الإمام مجاهد، ص: ٣٩٣.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٨/ج١٣/ص٥٢، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٧١، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص٤٧١.

المطلب الرابع: محنة يـوسف عليه السلام وابتلاؤه فـي بيت العـزيز:

كانت محنة حسد أخوة يوسف عليه السلام مولدة لمحن أخرى كثيرة متتابعة أولها محنة الجب ثم الرق، ثم جاءت محنة أعظم من ذلك محنة الفتنة والإغراء لشاب في مقتبل العمر اشتملت شخصيته على كل الصفات والشمائل التي تتمناها أي امرأة، فيوسف عليه السلام قد رزق شطر الجمال والحسن في الأرض فقد روي الإمام مسلم بسنده عن النبي ﷺ في حديث الإسراء قال: **[فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ فَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ]**[١].

وقد روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **[الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمْ السَّلام]**[٢].

فكل هذه الشيم والشمائل ميّزت هذا النبي وجعلته محطاً لأنظار سيدات القوم وكذلك كان المقابل لذلك شخصية لها من الرفعة والسؤدد والجمال والشباب ما يغري أي شاب ولكن التربية الربانية التي احتوت يوسف عليه السلام ميزته في خشيته لله وفي وفائه وفي إكرامه لمن كانوا أولي فضل عليه.

وإكرام المثوى الذي أوصى به عزيز مصر لامرأته، هو إعداد المكان الذي سيقيم فيه يوسف عليه السلام من مسكن، ومخدع، وملبس، ومأكل، ومشرب، كذلك يجب أن يكون لائقاً بيوسف خصيصاً، لأن عزيز مصر لم ينظر إليه إلى أنه خادم يخدم زوجه فقط ولكن ما تشير إليه الآية كان ينظر أن يكون لهم ابناً بديلاً عن الولد الذي لم يرزقا به أي يتبنونه فهنا الأمر يختلف فسيقيم يوسف مع امرأة العزيز ليؤنسها ويكون بمثابة الابن لها فأحسنت امرأة العزيز إلى يوسف عليه السلام وجعلته بمثابة ابنها الذي لم تلده[٣] وتعلق يوسف بها على أنها أمه التي فقد حنانها مبكراً وفي عزيز مصر رأى حنان الأب الذي فقده أيضاً فكبر يوسف في بيت العزيز وبلغ أشده فقال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ {يوسف:٢٢}.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء بالنبي ﷺ إلى السموات والأرض وفرض الصلوات، حديث ٢٥٩، ص١٠٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، حديث ٣٣٩٠، ص٦٤٩.

(٣) انظر: (جامع البيان) للطبري، مج٨/ج١٣/ص٢٠٣، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٥، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص١٠٥.

والأشد بلوغ الحلم أي استكمال العقل وتم خلقه على قول المفسرين فآتاه الله بعد هذه المرحلة الحكمة، والنبوة، ورجاحة العقل، ولقد سبق معرفة الحكم قبل العلم دليلا على أن الله ﷻ أتاه رجاحة العقل ونور البصيرة أولاً ليحكم بين الأمور؛ وليختار ما يناسب أوامر الله ﷻ ويبتعد عما نهى عنه، وكان الله ﷻ يعده ويؤهله، ويربيه لما سيتعرض له في المرحلة المقبلة من حياته من فتنة امرأة العزيز، ثم فتنة النسوة ثم السجن ثم الحكم بعد ذلك.

ولقد حدث ما هو ليس بالحسبان فقد أعجبت به امرأة العزيز وأحبته حباً شديداً لجماله وبهائه وحسن خلقه وحيائه فحملها ذلك على مراودته عن نفسه.

وقال القرطبي: "أصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين"[(١)].

وكانت المراودة على مراحل فكانت تعرض نفسها عليه بمكر المرأة ودهائها كإشارات وتلميحات وإيحاءات لعلها تجد منه استجابة وذلك أن الشخص الذي أمامها يمتاز بكرم الأخلاق والحياء، ورجاحة العقل، وبالعلم مما دفعها عن البحث بكيفية الوصول إليه، وتحقيق ما تتمنّى، وعندما أدركت أن يوسف عليه السلام لن تجد منه استجابة، ولن تجد القبول منه راودته مراودة مكشوفة؛ فتزينّت وتجمّلت وصرفت العبيد وسدنتها له، وغلّقت الأبواب، ودعته إليها، وقالت هيت لك كما ذكر في قوله تعالى: ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ...** ﴾ {يوسف:٢٣}، وقد قال المفسرون في معنى هيت لك أي هلم أو تعال أو اقترب ومن قرأها بكسر الهاء والهمز وضم التاء (هئت) أي تهيأت لك[(٢)].

فجميع هذه المعاني دلَّت بأنها تدعوه إلى نفسها وهذا على قول ابن عباس و مجاهد.

فتجاهلها واستحى منها وامتنع من ذلك أشدَّ الامتناع فما كان منه إلا أن ذكَّرها بالله وقال معاذ الله وهي أعلى مراتب التذكر كي تعود إلى رشدها والامتناع عن ارتكاب هذه المعصية فقال تعالى: ﴿ **...قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ {يوسف:٢٣}.

معللاً أن هذا الأمر فيه غدر وامتهان لربه أي سيده الذي أحسن مثواه وأمنه على بيته مذكراً بسوء العاقبة حيث لا يفلح الإنسان الظالم لنفسه بارتكاب المعاصي وظالم لغيره في انتهاك حرمات غيره فمآل هذه الفاحشة غضب الله ﷻ فلذلك استعصم يوسف عليه السلام بالله من هذه الفتنة ورغم كلِّ هذا التذكير بالله والموعظة وبيان سوء العاقبة لكل خوان أثيم إلا أنها زادت في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٩/ص١٠٧.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٨/ج١١/ص٢٠٩، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٥.

الإلحاح عليه، وتملكها الشيطان في شدة إغرائها له حتى أوقعت في صدر سيدنا يوسف عليه السلام حتى همَّ بها، فقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ {يوسف:٢٤}.

وفي تفسير همّت به أجمع العلماء على أنها همَّت به أي تمنت أن يضاجعها عن عزم وقصد وتصميم وقصدت إجباره على مطاوعتها بالقوة مما اضطره إلى الهرب إلى الباب[١].

ولقد اختلفت أقوال المفسرين في معنى همّه بها، فقد قيل خطرات حديث النفس أي مالت نفسه إليها بمقتضى الطبيعة البشرية وحدثته نفسه بالنزول عند رغبتها حديث نفس دون عزم أو قصد، ويقول الإمام الفخر الرازي في ذلك: "الهمّ خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه وطلب شربه ولكن يمنعه دينه عنه"[٢].

وقيل همّ بضربها، ورواية أخرى تمنّاها زوجة لولا أن رأى برهان ربه فعصمه من كلِّ ما سبق من خواطر وهذه أصوب الأقوال التي ذكرت في هذا الأمر وتناسبت مع عصمة الأنبياء من ارتكاب مثل هذه المعصية[٣].

وكذلك اختلفت أقوال المفسرين فيما هو البرهان الذي رآه فمن هذه الأقوال:

١- أنه رأى صورة أبيه يعقوب عاضّاً على إصبعه بفمه.

٢- أنه ضرب في صدر يوسف حتى خرجت شهوته من أنامله[٤].

٣- أنه رأى خيال الملك يعني سيده.

٤- وقيل رفع يوسف عليه السلام رأسه إلى سقف البيت فإذا كتاب في حائط البيت كتب فيه آيات قرآنية ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ {الإسراء:٣٢}.

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٥، و(جامع البيان) للطبري، مج٨/ج١١/ص٢٠٦، (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص١١٣، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، مج٢/ص٦٢٣.

(٢) التفسير الكبير، للرازي، ج١٨/ص١١٥.

(٣) انظر: (البحر المحيط)، لابن حيان، ج٦/ص٢٥٩، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، مج٢/ص٦٢٣.

(٤) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ٢٧ كتاب التفسير، تفسير سورة القصص، ج٢/ص٣٧٧، حديث ٣٣٢٢.

٥- وقيل أن البرهان الذي رآه يوسف ثلاث آيات من كتاب الله قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ**﴾ {الانفطار:١٠} ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ...** ﴾ {يونس:٦١} وقوله: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ...** ﴾ {الرعد:٣٣}.

والصواب أن يقال أنه رأى آية من آيات الله تزجره عمّا كان همّ به[١].

وهذا الرأي هو الذي تميل إليه الباحثة وترجحه

ذلك لأن رؤية البرهان تستقيم مع عصمة الأنبياء كما تستقيم مع دلالة الآيات التي تليها في قوله تعالى: ﴿ **...كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ {يوسف:٢٤}.

فالآية تشير أن يوسف عليه السلام من عباد الله المخلصين وليس للشيطان عليه سلطان ما دام يوسف من عباده المخلصين وهذا دليل على أن يوسف عليه السلام لم تمل نفسه من مقاومة هذا الإغراء خشية الوقوع في معصية تغضب الله سبحانه وتعالى مما اضطره إلى اللجوء نحو الباب هارباً من تلك الفتنة فتمزق قميصه من دبره بيدها فتفاجأ بفتح الباب وإذا بزوجها العزيز بالباب فتباغت بالسؤال للعزيز كما في قوله تعالى: ﴿ **...قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ {يوسف:٢٥}[٢].

ونستدل من سؤالها للعزيز انه خطر في نفسها أكثر من هذا الأمر فاستدركته بهذا السؤال، فمن هذه الأمور نفي الجريمة عن نفسها واتهام يوسف عليه السلام بها وذلك لتبرأة نفسها مما رأى العزيز كذلك أيضا خشية أن يفتك العزيز، بيوسف من شدة الغضب.

ورغم ذلك جهر سيدنا يوسف عليه السلام بالحقيقة ليبرئ نفسه من هذه التهمة الباطلة فيقول تعالى: ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ {يوسف:٢٦}.

وقد أيده الله بشاهد ينطق بالحق لصرف هذه التهمة عنه، فالله صرف عنه السوء لما تميز به يوسف من الإخلاص لله سبحانه وتعالى، وقد تعددت الروايات في هذا الشاهد انه كان مرافقاً للعزيز منذ البداية أو أن العزيز طلبه، واستدعاه بعد الحادثة ليأخذ برأيه، ورواية أخرى أن الشاهد طفل رضيع.

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٧/ج١١/ص٢٢٠، (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٦.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٧/ج١١/ص٢٢٢، (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٦، و(الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، لابن عطية، ج٧/ص٤٨٢، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص٦٢٢.

وخلاصة القول أن الله قيض شاهداً ينظر إلى القميص ويظهر براءة يوسف عليه السلام من هذا الدليل حيث قال الشاهد إذا كان القميص قدَّ من الإمام فهو من اعتدائه عليها وهي صادقة وهو من الكاذبين، وإذا قدّ القميص من دبره فهو من أثر تملّصه منها، وتعقُّبها له حتى الباب وبذلك تكون هي كاذبة وهو صادق، استدلالاً من قوله تعالى: ﴿ **...وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ۞ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ {يوسف:٢٦-٢٧}(١).

ومن ذلك تأكد العزيز من خيانة زوجته إلا أنه تجاهل ما حدث وأمر يوسف عليه السلام بعدم الاهتمام لهذا الأمر، وأمر زوجته أن تستغفر لذنبها فقال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۞ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخَاطِئِينَ** ﴾ {يوسف:٢٨-٢٩}(٢).

ولكنّ هذه الفتنة لم تنته عند ذلك فكانت هناك مرحلة أشد اتساعاً في هذه الفتنة فلم تكن تقتصر على امرأة العزيز لوحدها بل شاركتها نسوة في ذلك خاصة وأن العزيز لم يفصل في هذه الفتنة بين زوجته وفتاها يوسف عليه السلام بل كل ما طلبه هو إغلاق الحديث في هذا الأمر، وسرعان ما شاع خبر زوجة العزيز تراود فتاها عن نفسه، وذلك لما كان في القصر من الخدم والمستشارين والوصيفات حتى تحدث النسوة في ذلك فأنكرن عليها ما صنعت وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ {يوسف:٣٠}.

وعندما علمت زوجة العزيز بمكرهن أي باغتيابهن لها وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وسمي الاغتياب مكراً لأن فيه خفية يخفي الماكر مكره ورواية أخرى كانت استكتمتهن الخبر ففضحنها فأرسلت إليهن تدعوهن وأعدت طعاماً يقطع بالسكين وقيل هو الأترج وناولت كل واحدة منهن سكيناً وأمرت يوسف عليه السلام بالخروج عليهن لترى ماذا يفعل بهن فيقول تعالى: ﴿ **فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ...** ﴾ {يوسف:٣١}.

وقد أعدت هذا المتكأ وهي متيقنة في نفسها ماذا سيحدث فيهن من شدة افتتان هؤلاء النسوة بيوسف عليه السلام بعد أن يخرج عليهن وقد وقع ما مكرته بينهن فقد بهتن من شدة جماله

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٦، و(مدارك التنزيل)، للنسفي، ج٢/ص٣١٢، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص٢٢٣.

(٢) انظر: (مدارك التنزيل)، للنسفي، ج٢/ص٣١٢، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٧، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص٦٢٤.

وحسنه حتى قطعن أيديهن ولم يشعرن بالألم لشغل قلوبهن بيوسف ناطقات بقول حاشَ لله كما ذكر في قول الله تعالى: ﴿ **...فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ {يوسف:٣١}.

فلما رأت امرأة العزيز هذا المنظر قالت كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ {يوسف:٣٢}.

وبذلك أقرّت بما فعلت عن مراودته عن نفسه وأخذت تتوعد يوسف عليه السلام لئن لم يفعل ما أمرته به لتسجننه وقد تمالأت النسوة مع امرأة العزيز على يوسف وتآمرن جميعاً لأنهن جميعا مشتركات في التلويح والإشارة لمطاوعتها، وليفعل ما أمرته وبذلك هتكت امرأة العزيز ستار الحياء وتوعدته بالسجن ولم تعد تخش أحداً وبهذا تكون الفتنة تصاعدت عمّا سبق في المرحلة الثانية إذ أصبحت المراودة علانية أمام النسوة دون خشية من أحد فآثر هذا النبي الكريم السجن واستغاث بالله منهن واستعاذ به من مكرهن حتى يفوز برضا الله سبحانه وتعالى كما في قوله: ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ**﴾ {يوسف:٣٣}.

فاستجاب الله سبحانه وتعالى لهذا النبي الكريم العفيف المخلص، وصرف كيد هؤلاء النسوة بقوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ {يوسف:٣٤}[١].

فخرج من هذه المحنة إلى محنة أخرى ولكن طالما هذه المحنة فيها اجتناب للمعصية وغضب الله فلم يبالِ بذلك.

فهذا الصبر على الابتلاء والمحن ومؤاثرة تعب النفس والجسم على غضب الله سبحانه وتعالى فيه قمة التسليم لله سبحانه وتعالى ونحن نذكر دعاء حبيبنا المصطفى وهو خارج من الطائف وقدماه تلطختا بدمه، فالتقى صبر يوسف عليه السلام وصبر النبي صلى الله عليه وسلم وجزاهما الله خير الجزاء عن الأمة الإسلامية بأسرها لما كانوا في شخصهم أسوة حسنة كذلك كانوا دعوة للتحمل والصبر من أجل إقامة دين الله ونشره على وجه الأرض والتمسك به مهما تنوعت وتعددت وتفاقمت سبل الإغراء.

---

(١) انظر: (الوجيز)، للواحدي، ج١/ص٥٤٥، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص١٢١، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٨، و(مدارك التنزيل)، للنسفي، ج٢/ص٣١٢.

المطلب الخامس: محنة يوسف عليه السلام وابتلاؤه بالسجن:

كان السجن ليوسف عليه السلام مرحلة ابتلاء أخرى حيث انتقل من الفتن المحيطة به إلى محنة السجن فرأى أن هذا السجن أهون عليه من معصية الله تعالى فآثر رضا الله تعالى على متاع الدنيا ونعيمها، فهذا النبي الكريم الذي عرضت عليه زوجة عزيز مصر الجمال، والجاه، والشباب، ونعيم القصر.

ولكن كلّ ذلك متوج بغضب الله تعالى فنجد يوسف عليه السلام يترك ذلك ويلوذ إلى الله ويلجأ ويستعيذ بالله من امرأة العزيز، وهؤلاء النسوة فيقول: السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وذلك في قوله: ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ** ﴾ {يوسف:٣٣}، فقد وجد الطاعة في رضا الله تعالى وضرب نموذجاً من أروع النماذج في التمسك برضا الله تعالى، وهو الأمل الأسمى لكل شيء فلا قيمة لأمر يبوء بغضب الله من فعله، ولو كان فيه نعيم الدنيا وما فيها، فهذه النفس الرائعة استشعرت هذا الأمر وصبرت واحتسبت وقاومت، وآثرت الذل والسجن، والهوان فكافأه الله تعالى على هذا الإيثار والصبر بالخير الكثير، والتمكين في الأرض(١).

لقد تآمرت عليه امرأة العزيز والنسوة وحددن مآل أمره إن لم يطعهن فكان قرارهن السجن والهوان في حقه، وقد قال تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿ **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾{يوسف:٣٢}.

فرأى يوسف أن السجن هو أنسب الحلول للفرار من هذه الفتنة وهو المكان الوحيد الذي يحميه من كيدهن في الوقت نفسه أنَّ هذا النبي الكريم كيف سيقضي هذه المدة في السجن وماذا سيكون أثر هذا الظلم على نفس هذا النبي ولنا أسوة به ولجميع الأجيال والشباب خاصة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها وطالما كانت استجابة الله تعالى في صرف هذا الكيد فالله تعالى سيتولى أمره ويهون عليه سجنه ويرزقه سبل الرشاد.

بعدما ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنوه إلى حين وذلك بعدما عرفوا براءته وظهرت الآيات على صدقة وعفته ونزاهته من خلال الأدلة التي ذكرت فيما سبق(٢) فإيهاماً للناس

---

(١) انظر: (الكشاف)، للزمخشري، ج٢/ص٣١٩، و(الوجيز)، للواحدي، ج١/ص٥٤٥.

(٢) انظر البحث ص: ٧٣

عندما شاع الخبر عن امرأة العزيز أنها تراود فتاها عن نفسه سجنوه بتهمة أنه هو الذي راودها عن نفسه فقرروا سجنه إلى حين لئلا يشيع ما كان منها في حقه ويقول تعالى في ذلك: ﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾ {يوسف:٣٥}.

وعندما دخل يوسف السجن اشتهر بالجود والأمانة وصدق الحديث وحسن السمت وكثرة العبادة ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم فأحبه من في السجن(١).

وقد دخل معه في السجن فتيان فأحباه حباً شديداً لما اشتهر به من مكارم الأخلاق ومعرفة التعبير، وصدق الحديث، وقد ذكرا ليوسف أنهما رأيا في المنام رؤيا فقال أحدهما: إني أراني أعصر خمراً، وقال الآخر: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه فطلبا من يوسف أن يأول لهما هاتين الرؤيتين وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ {يوسف:٣٦}.

فأقبل عليهما بالمخاطبة، والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدها قومهما وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ**﴾ {يوسف:٣٩}.

ثم بين لهما تعبير رؤياهما وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾{يوسف:٤١}.

ثم طلب يوسف عليه السلام من الساقي حيث ظن خروجه من السجن أن يذكره عند سيّده الملك فقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**﴾ {يوسف:٤٢}.

فنسي هذا الرجل ولبث يوسف عليه السلام في السجن بضع سنين قيل سبع سنين وقيل اثنتا عشرة سنة وقيل أربعة عشر سنة(٢).

---

(١) انظر: (تفسير القران العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٩، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص١٣١، ١٣٢، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص١٢٣، و(تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا، ج١٢/ص٣٠٤.

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦١، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص١٤٦، و(تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا، ج١٢/ص٣١٥.

والراجح في القول أن هذه المدة غير معلومة وإنما بقي محبوساً مدة طويلة وذلك في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾ {يوسف:٣٥}.

وفي يوم من الأيام رأى الملك رؤيا فاستدعى الملك الكهنة وكبار دولته وأمرائه فقص عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك واعتذروا إليه وقالوا أنها أضغاث أحلام وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ**﴾ {يوسف:٤٤}.

فتذكر الرجل الذي وصاه يوسف عليه السلام أن يذكره عند الملك وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ**﴾ {يوسف:٤٥}.

فلما جاء يوسف أخبرهم بتأويل رؤيا الملك كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾ {يوسف:٤٧-٤٩}.

فلما سمع الملك هذا التأويل أعجبه فعرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من بلاه من رعاياه فقال الملك ﴿ **...ائْتُونِي بِهِ...**] {يوسف:٥٠} أي أخرجوه من السجن، عند ذلك امتنع يوسف من الخروج إلا بعد أن يتحقق الملك من براءته ويثبت أنه كان قد سجن ظلماً وعدواناً فقال يوسف للرسول ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾ {يوسف:٥٠}، فسألهن الملك وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ {يوسف:٥١} (١).

فعند سؤال الملك للنسوة قالت امرأة العزيز الآن ظهر الحق وأنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين، وقد بررت ذلك حتى يعلم العزيز أنها لم تخنه بالغيب، وأن النفس أمارة بالسوء إلا من رحم الله وهذا على قول المفسرين بأن هذه الجملة التي قالتها امرأة العزيز.

ورواية أخرى أن هذه الآية قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ**

---

(١) انظر: (أنوار التنزيل)، للبيضاوي، ج١/ص٢٩٤، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، ج٢/ص٦٣٢، و(تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا، ج١٢/ص٣٢٢، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، مج٥/ج١٣/ ص٩.

رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ {يوسف:٥٢-٥٣} من قول يوسف ﷺ وهذا دليلٌ على أن يوسف لم يرتكب مثل هذه الفاحشة ولم يخن عزيز مصر في زوجته[١].

ولقد رجح ابن كثير القول الأول وهو أن هذه الآية: **﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ﴾** {يوسف:٥٢} من قول امرأة العزيز، وذلك لأن يوسف لم يكن قد حضر بعد[٢].

ثم طلب الملك أن يأتوا بيوسف ﷺ ليستخلصه لنفسه وذلك في قوله تعالى: **﴿ وَقَالَ المَلِكُ ائتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾** {يوسف:٥٤}.

فقد تأكد الملك من براءته ونزاهته وعلمه وتقواه وأمانته وحسن خلقه ورجاحة عقله فجعله الملك ذا مكانة وأمانة عنده، عند ذلك طلب يوسف ﷺ أن يجعله على خزائن الأرض وذلك في قوله تعالى: **﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾** {يوسف:٥٥}، وكان ذلك بناءً على قدرته في خدمة الناس ورعاية مصالحهم وذلك فيما يجمع من الغلات ويتصرف حسب ما رؤيا الملك على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد.

وقد روى المفسرون: لما عبّر يوسف ﷺ رؤيا الملك بين يديه قال له الملك فما ترى أيها الصديق: قال أرى أن نزرع في السنين المخصبة زرعاً كثيراً وأن تبنى الخزائن وتجمع فيها الطعام فإذا جاءت السنون المجدبة بعد الغلات فيحصل بهذا الطريق مالٌ عظيم فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الأرض[٣].

وكان ذلك التمكين بفضل الله ﷻ جزاءً لصبر يوسف ﷺ فالله لا يضيع أجر الذين يحسنون العمل ويؤمنون بالله ويتوكلون عليه ويتجهون إليه ويحسنون السلوك والعمل والتصرف مع الناس في هذه الدنيا وذلك في قوله تعالى: **﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ﴾** {يوسف:٥٦}.

فقد روى أبو هريرة ﷺ مرفوعاً عن رسول الله ﷺ في صبر يوسف أنه قال: **[وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ]**[٤].

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٢، و(فتح القدير)، للشوكاني، ج٣/ص٤٥، و(أنوار التنزيل)، للبيضاوي، ج١/ص٢٩٢، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص١٥٩، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص١٥٤-١٥٦.

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٣.

(٣) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٢، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص١٦٠، ١٦١، و(فتح القدير)، للشوكاني، ج٣/ص٤٥، و(أنوار التنزيل)، ج١/ص٢٩٢، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص١٥٩،

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل، حديث ١٥٢، ص١٢٤٦.

وبهذه النهاية انتهت محنة السجن وظفر يوسف عليه السلام برضا الله تعالى وبمكانة عالية في الأرض جعلها الله تعالى جزاءً ليوسف لما استعصم من أجل رضا الله عليه فأصبح برضا الله ذا مكانة عالية على الأرض بعد أن كان سجيناً ذليلاً لا يحتكم على أبسط الأمور.

فقد روى أكثر المفسرين أن امرأة العزيز وقفت على ظهر الطريق حتى مرّ يوسف فقالت الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته والملوك عبيداً بمعصيته كذلك روى المفسرون أيضاً أن زوجة العزيز تزوجها يوسف عليه السلام بعد وفاة زوجها وأنجبت منه رجلين إفرايثم بن يوسف وميشا بن يوسف(١).

وبذلك لم يضيّع الله صبر يوسف عليه السلام على أذى إخوته وصبره على السجن ظلماً بسبب امرأة العزيز فلهذا أعقبه الله عز وجل في الدنيا التأييد والتمكين وفي الآخرة أعظم وأكثر وأجل وهذا دعوة لكل من تحدثه نفسه أن الاستعلاء بالاجتهاد الشخصي دون اللجوء إلى الله وطاعته لا يكون فيه التمكين والنصرة والتأييد وإن حدث فنهايته الزوال القريب فالله تعالى يجعل للمتقين الفرج والمخرج من كل كرب وهم ويثبتهم في الدنيا والآخرة فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يفرج كرب أهل فلسطين خاصة والأمة الإسلامية عامة وتكون سيرة هذا النبي الكريم نبراساً نستضيء به في طريقنا وكلماته شموعاً تضيء درب عزّتنا.

المطلب السادس: محنة إخوة يوسف عليه السلام باحتجاز أخيهم بنيامين:

لم يكن احتجاز بنيامين في مصر بالأمر اليسير على إخوته خاصةً بعد أخذت أو المواثيق على أنفسهم في إعادته إلى أبيهم مهما بلغت الظروف في شدتها؛ فبالماضي أخذوا يوسف، ولم يوفوا بعهدهم لأبيهم في إرجاعه، والآن بنيامين لم يوفوا بعهدهم وخذلوا أباهم للمرة الثانية، ولكن هذه المرة لم تكن بإرادتهم إنما تقادير الله تعالى وتمهيد الله للمرحلة الآتية في حياة يوسف عليه السلام، وكذلك في حياة يعقوب عليه السلام. فقد كاد الله ليوسف عليه السلام وكانت هذه المحنة بإرادة الله تعالى.

فعندما عُيِّن يوسف عليه السلام على خزائن مصر، وتحققت رؤيا الملك؛ وجاءت سبع سنين المخصبة، ثم تلتها السنون المجدبة، وعمّ الجدب أرض كنعان، وما حولها "بلد يعقوب عليه السلام"، حينئذٍ احتاط الناس؛ فاتجهوا إلى مصر من كل مكان لما سمعوا بما فيها من فائض الغلة منذ

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٤، و(فتح القدير)، للشوكاني، ج٣/ص٤٥، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٥/ج١٣/ص٢٥.

السنوات السمان؛ فقد جمع يوسف عليه السلام غلاتهم وجمعها أحسن جمع فحصّل من ذلك مبلغاً عظيماً، وهدايا متعددة هائلة وورد عليه الناس من سائر الأقاليم[(١)].

وقد جاء إخوة يوسف عليه السلام من بين هؤلاء الناس راغبين في المِيرَة من هذه البلاد، فعندما دخلوا على يوسف عرفهم، وقد كانوا عشرة فقد تخلّف بنيامين عند أبيه احتبسه لتسليته، وأخذ يوسف عليه السلام يخاطب إخوته، ويسألهم كالمنكِر عليهم، وهم يجيبون ومن بين هذه الأسئلة سألهم ما أقدمكم على بلادي؟ فقالوا: أيها العزيز إنا قدمنا للمِيرة، قال فلعلكم عيون؟ قالوا: معاذ الله، فقال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان؟ وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم كلنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية، وكان أحبَّنا إلى أبيه وبقي شقيقه فاحتبسه أبوه ليتسلى به عنه، حينئذ أمر بإنزالهم وإكرامهم بما عرّفوا على أنفسهم، وأوفى لهم كيلهم، وحمّل لهم أحمالهم، وطلب منهم أن يأتوا بأخيه فيزدادوا حمل بعير، وأخذ يرغبهم في الرجوع إليه بإيفاء الكيل لهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **...أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ**﴾ {يوسف:٥٩}، ثم يرهبهم بمنعهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ**﴾ {يوسف:٦٠}.

وقد وعدوا يوسف عليه السلام بإقناع أبيهم، ومراودته على اصطحاب بنيامين معهم، والاجتهاد في ذلك[(٢)].

وقد أمر يوسف عليه السلام بوضع بضاعتهم التي أتوا بها، وقد كانت هذه البضاعة خليطاً من النقد، ومن غلات صحراوية ومن الجلود والشعر وما سواها في أمتعتهم دون أن يشعروا[(٣)]، وكان هناك أكثر من مبرر لهذا التصرف ذكره المفسرون ومن هذه الأقوال:-

١- خشي يوسف عليه السلام أن لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها فيستعينوا بها في الرجوع لشراء الطعام.

٢- تذمم أن يأخذ من أبيه، وإخوته عوضاً عن الطعام.

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٥، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، ج٥/ص٢٨، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٢/ص١١١٧.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٨/ج١٣/ص٩، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٥، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٥/ج١٣/ص٢٨، ٢٩، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٢/ص١١١٨، ١١١٩.

(٣) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٥، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٥/ج١٣/ص٢٨، ٢٩.

٣- أراد أن يردهم إذا وجدوها في متاعهم تحرجاً، وتورعاً لأنه يعلم ذلك منهم والله أعلم[١].

وعند رجوع إخوة يوسف إلى أبيهم عرضوا الأمر عليه مبررين ذلك في منعهم الميرة إلا بوجود أخيهم الأصغر، فقد كان منعهم الميرة وسيلة ضغط على إخوة يوسف عليه السلام تمثل فيها ترغيب وترهيب في آن واحد، وقد تمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ {يوسف:٦٣} هنا تجددت الحسرة، ومشاعر الحزن، والكآبة في قلب يعقوب عليه السلام وما كان منه إلا أن تذكر يوم أن جاؤوا ليأخذوا يوسف عليه السلام حيث يقول الله على لسانه: ﴿ **قَالَ هَلْ آَمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ {يوسف:٦٤} ولما فتح إخوة يوسف عليه السلام متاعهم، وجدوا بضاعتهم رُدت إليهم، وقد كان هذا الأمر فيه الترغيب لإخوة يوسف عليه السلام في الرجوع ليكتالوا من يوسف عليه السلام مرة ثانية.

وألحّوا عليه في الطلب فما زالوا يحرجونه بالتلويح بمصلحة أهلهم في الحصول على الطعام وذلك في قوله تعالى: ﴿ **...وَنَمِيرُ أَهْلَنَا...** ﴾ {يوسف:٦٥} ومرة بتأكيدهم على حفظ أخيهم في قوله تعالى: ﴿ **...وَنَحْفَظُ أَخَانَا...** ﴾ {يوسف:٦٥} ومرة بترغيبه بزيادة الكيل وذلك في قوله تعالى: ﴿**...وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ...** ﴾ {يوسف:٦٥} حينئذ استسلم يعقوب عليه السلام لرغبتهم وترغيبهم، واشترط على أبنائه بأن يأخذوا المواثيق على أنفسهم بإعادة أخيهم بنيامين معهم إلا أن يُخاطر بهم، ولا تكون لهم حيلة في تخليصه، أو إرجاعه، واستنفاد كل طاقتهم في المدافعة عنه وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ {يوسف:٦٦}.

وعندما قدم إخوة يوسف عليه السلام إلى مصر، ودخلوا على يوسف عليه السلام، ومعهم شقيقة بنيامين أكرمهم، وأحسن ضيافتهم، واختلى بأخيه بنيامين، وعرّفه على نفسه وأطلعه على شأنه، وما جرى له، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده معززاً مكرماً، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ {يوسف:٦٩}[٢] ولما جهزهم، وحمل لهم أبعرتهم طعاماً أمر فتيانه أن يضعوا السقاية وهي إناء من فضة في قول أكثر المفسرين، وقيل من ذهب وكان يشرب فيه يوسف عليه السلام، ويكيل للناس به بوزن رطل وربع أو ثلث من عزة الطعام[٣] فوضعها في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد ثم نادى

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٨/ج١٣/ص١١، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٢٤٦، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص١٤٦.

(٢) جامع البيان، للطبري، مج٨/ج١٣/ص١٨، ١٩، وانظر: (التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٢/ص١١٢٥.

(٣) انظر: (التحرير والتنوير)، لابن عاشور، ج١٣/ص٢٧.

مناداٍ بينهم أنهم سارقون لصواع الملك الذي يكيل به، وقد اتهم إخوة يوسف عليه السلام بالسرقة كما في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾ {يوسف:٧٠} فدافع إخوة يوسف عن أنفسهم، وعرّفوه بسيرتهم وقد أقسموا أنهم ما جاؤوا ليفسدوا في الأرض ولا هم من يوصفوا بالسرقة لأنهم أولاد نبي وما جاءوا إلا من أجل الكيل، فقال لهم الفتيان فما جزاء السارق إن كان منكم؛ فردوا عليهم جزاؤه أن يسترق كما في شريعتهم، شريعة يعقوب عليه السلام لأن في دين الملك السارق جزاؤه الضرب ويغرّم ضعف ما سرق ولكن الله سبحانه وتعالى متم ما قدر له فهم التزموا بما في شريعتهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾{يوسف:٧٥}(١).

ثم بدأ يوسف عليه السلام بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه للتورية وحتى لا يتهم؛ ثم استخرج السِّقاية من وعاء أخيه بنيامين فأخذ منهم بمقتضى اعترافهم، وإلزاماً منهم بمقتضى شريعتهم، فلولا هذه الطريقة لم يتمكن يوسف عليه السلام من إبقاء بنيامين معه، وقد روي أن يوسف عليه السلام كان كلما فتش وعاءً من أوعية إخوته استغفر الله على قذفه لهم إلى أن وصل إلى رحل أخيه بنيامين فقال ما أظن هذا أخذ شيئاً فقالوا: والله لا نتركك حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فلما فتح متاعه وجد صواع الملك وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ {يوسف:٧٦}(٢).

عندئذ نكّسوا رؤوسهم حياءً، وأقبلوا على أخيهم بنيامين يلومونه وبذلك تم ليوسف عليه السلام ما أراد، وما كان ذلك إلا بتدبير الله ووحيه ليوسف عليه السلام وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ **...كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ...** ﴾ {يوسف:٧٦} وفي هذا دليل على مشروعية التدبير في الخفاء لمصلحة مطلوبة يترتب عليها خير ومصلحة في المستقبل دون إضرار أحد(٣).

يقول الأستاذ سيد قطب في ذلك: "استولى يوسف عليه السلام على أخيه بتحكيم إخوته لدينهم هم، وهذا هو تدبير الله الذي ألهم يوسف أسبابه، وهو كيد الله له والكيد المطلق على التدبير في الخفاء

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٧، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٥/ج١٣/ص٣٧، و(تفسير الشعراوي)، للشعراوي، ج١/ص٤٤٥٣، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص٦٣٨، ٦٣٩.

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير ج٢/ص٤٦٧، و(الكشاف)، للزمخشري، ج٢/ص٣٣٥، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص١٨١، ١٨٢.

(٣) انظر: (الكشاف)، للزمخشري، ج٢/ص٣٣٥، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٢/ص١١٢٦، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٣/ص١٨١.

للخير أو الشر سواء وإن كان الشر قد غلب عليه وظاهر الأمر هنا أنه شر يحل بأخيه، وهو شر يحل بإخوته لإحراجهم أمام أبيهم وهو سوء ولو كان مؤقتاً لأبيه فلهذا اختار تسميته كيداً على إجمال اللفظ وبالإلحاح إلى ظاهره، وهو من دقائق التعبير"[1].

هذه المحنة لم يتوقع أحد من إخوة يوسف عليه السلام أن يقعوا بها فراحوا يسترحمون يوسف عليه السلام باسم أبيهم النبي ويستعطفون ويذكرون له أنه شيخٌ كبير، وعرضوا على يوسف بأن يأخذ أحداً منهم مكانه فرفض يوسف عليه السلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ**﴾ {يوسف:٧٩} وذلك أنه لم يأخذ إلا من وجد الصواع في متاعه مبرراً قوله أنه من الظلم أخذ البرئ بدلاً من فاعل الفعلة، عند ذلك عرفوا وأيقنوا أنه لا جدوى من المحاولة ومن تخليص بنيامين وقد التزموا بميثاق وعهود مع أبيهم برده إليه فماذا سيصنعون في هذه المحنة؟ وما المخرج منها؟ كلما عاهدوا أباهم عهداً نكثوا به، ولكن هذه المرة رغماً عنهم، فماذا سيقولون لهذا الشيخ: وكيف سيستقبل هذا الخبر؟ في المرة الأولى فجعوه في ابنه يوسف وهو أحب أبنائه إليه بحجة أن الذئب أكله، والآن سيفجعوه بابنه بنيامين وهو أحب أبنائه إليه بعد يوسف بحجة أنه سرق ولم يستطع إخوة يوسف استرقاق قلب يوسف، حينئذ قرر أخوهم الأكبر البقاء في مصر على أن يأذن له أبوه بالرجوع، أو يحكم الله له بخلاص بنيامين وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ**﴾ {يوسف:٨٠}[2].

قد قضى يوسف عليه السلام أعواماً طويلة والشوق إلى أبيه وأخيه سر في قلبه لا يستطيع أن يبوح به لأحد، والآن جاءت هذه الفرصة بتقادير الله عز وجل وكأنها تمهيد للقاء آخر طالما أُسر في قلب يوسف عليه السلام، وهو لقاء أبيه ولكن الله عز وجل يقدر كل شيء بميعاد ولم يئن هذا الميعاد بعد، ولم يأذن الله بلقاء يوسف عليه السلام بأبيه بعد، وما زال الحنين والشوق في قلب يوسف عليه السلام لأبيه لحكمة لا يعلمها إلا الله.

إن محنة أسر بنيامين محنة اختبر بها إخوة يوسف عليه السلام وكانت بداية لمحن أخرى محنة فقد هذا الشيخ العجوز لابنه الآخر بنيامين وابنه الأكبر، ومحنة اتهام يوسف عليه السلام بالسرقة، فها هي تتجلى سنة الله في ابتلائه لأوليائه الصالحين كي يمحصهم ويعلي درجتهم

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، مج٥/ج١٣/ص٣٤.

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٨، و(الكشاف)، للزمخشري، ج٢/ص٣٣٦، ٣٣٧، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٥/ج١٣/ص٣٩.

بابتلائهم، وقد سطروا في صبرهم أجل المواقف، وأرفع التعابير، اللهم اجعلنا نقتدي بهم ونهتدي بهديهم وصبّر ذوي الابتلاء وارفع درجاتهم.

المطلب السابع: محنة يــوسف عليه السلام وابتلاؤه باتهام إخوته له بالسرقة:

عندما أخرج صواع الملك من عير بنيامين شعر إخوة يوسف عليه السلام بالحرج الشديد وقد حرك هذا الحرج كوامن حقدهم على بنيامين وأخيه يوسف من قبله حيث وصفوا أن نقيصة السرقة في هؤلاء الأخوين وكأنها ملصقة في هذا الفرع من أبناء يعقوب عليه السلام، فسرعان ما وصفوا يوسف عليه السلام بالسرقة ليتبرءوا من فعله لأنه ليس من أمهم وقد جذبه عرق أخيه السارق[1].

وقد اختُلف في السرقة التي نسبوها ليوسف عليه السلام لتعدد الروايات التي ذكرت في هذا الشأن:-

١- فروي أنه كان لجده أبي أمه صنم يعبده فأخذه سراً وكسره وألقاه في الطريق لئلا يعبد.

٢- وقيل: أن يوسف جاءه سائل يوماً فأخذ بيضة من البيت فناولها السائل وقيل أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب عليه السلام فأعطاها سائلاً.

٣- وقيل: أن يوسف عليه السلام كان يخبئ الطعام من المائدة للفقراء.

٤- ورواية أخرى: كان عند عمته ابنة إسحاق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته، وأحبته حباً شديداً؛ فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فأتاها وقال: يأختاه سلّمي إليّ يوسف، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة، قالت: لا والله ما أنا بتاركه، فقالت: دعه عندي أياماً أنظر إليه لعلّ ذلك يسليني عنه، ففعل ذلك، فعمدت إلى منطقة لإسحاق كانوا يتوارثونها بالكبر، فكانت عندها، لأنها كانت أكبر ولد إسحاق فحزمت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وهو صغير، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، اكشفوا أهل البيت فكشفوها فوجدوها مع يوسف، فقالت: والله إنه لسلم لي حيث كان في شريعتهم من يسرق يسترق، فقال يعقوب: إن هو فعل ذلك فهو سلم لك فأمسكته حتى ماتت، ولم تفعل هذا الأمر إلا لمحبة يوسف والرغبة في إبقائه عندها[2]، وبهذا عيّره إخوته في قولهم: ﴿..**إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَــرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ...**﴾ {يوسف:٧٧}، ولكن لم يتوقع يوسف عليه السلام بأن قلوبهم ما زالت تحمل كل هذا الحقد والغيرة والكراهية

---

(١) انظر: (التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٢/ص١١٢٨.

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٧، ٤٦٨، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص١٥٦، و(الدر المصون)، للسمين الحلبي، ج٦/ص٥٣٥، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٣/ص١٨١، ١٨٢.

تجاهه خاصة بعد رميهم له بالجب فحقدهم لم تطفئه السنون فما زال في قلوبهم وكأن يوسف عليه السلام ما زال بينهم[1] وقد أثر هذا الاتهام في نفس يوسف عليه السلام فلم يكفهم ما فعلوا به وكادوا له فما زالت قلوبهم تُملأ بالحقد والكذب والافتراء عليه؛ فكان وقع هذه التهمة مريراً على نفسه وكيف سيتصرف حين إلقاء التهمة عليه هل يعرّفهم على نفسه، ويدافع عنها أم سيمتثل لأمر الله تعالى ولا يطلعهم على نفسه إلا بأمر من الله سبحانه وتعالى فكانت هذه المحنة ابتلاءً ليوسف عليه السلام فكتم غيظه وقال سراً في نفسه: ﴿ ...أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا... ﴾{يوسف:٧٧}، أي منزلاً عند الله ممن رميتموه بالسرقة وذلك لصنيعكم بيوسف لأن يوسف عليه السلام لم يسرق في الحقيقة وأنتم من سرقتموه حضن والده فأنتم السارقون بالفعل ويوسف وأخوه برآء مما وصفا به[2].

هذه هي حقيقة الإيمان في الامتثال لطاعة الله فيما أمر فلم ينتصر نبي الله لنفسه عندما سمع هذه التهمة فكتم غيظه، ولم يبد على نفسه أي شيء من معالم الضيق هذا ما أمره الله به ولم يضيع الله له هذا الصنيع فكان هذا التدبير من الله سبحانه وتعالى، وتمهيداً للقاء يوسف بأبيه، وقرب تفريج الكرب والهم؛ فبهذا الأمر تم رجوع إخوة يوسف مرة ثالثة إلى مصر ثم الجمع بينه وبين أبيه وإخوته، ونهاية هذا الفراق الأليم.

المطلب الثامن: محنة يعقوب عليه السلام وابتلاؤه بولده الثاني بنيامين:

تفجّر عن محنة احتجاز بنيامين واسترقاقه محن عديدة، قد أصابت يوسف عليه السلام باتهامه بالسرقة، وأصابت يعقوب عليه السلام بفراقه لابنه بنيامين، وابنه الأكبر، فلم تكن المحنة تخص بنيامين وإخوته فقط، ولكن هذه المحنة كانت بمثابة الابتلاء لعائلة يعقوب عليه السلام جميعها مبدوءة بمحنة الخوف الذي انتاب إخوة يوسف من مساءلة أبيهم، وعدم الوفاء بوعدهم له برده إليه، فهم أخذوا بنيامين بعد إلحاح كبير، واستعطاف لجلب الميرة في وقت الجدب والحاجة فسمح يعقوب عليه السلام لأبنائه بأخذهم بنيامين بعد أن أخذ عليهم المواثيق بإرجاعه، ولكن لم يستطع إخوة يوسف بالوفاء بهذا الوعد وأرغموا على ذلك بقدر من الله سبحانه وتعالى وإرادته، فهم من حكموا بأفواههم بحكم الرق لمن سرق ولم يتوقعوا أن هذا الحكم سوف ينفذ بأخيهم لاستبعادهم مثل هذه التهمة عنهم[3].

---

(١) انظر: (قصص القرآن)، لفضل عباس، ص٤٣٩.

(٢) انظر: (معالم التنزيل)، للبغوي، ج٣/ص١٨٢، و(قصص القرآن)، لفضل عباس، ص٣٩.

(٣) انظر: (معالم التنزيل)، للبغوي، ج٣/ص١١٧، و(أحكام القرآن)، للرازي، ج٣/ص٢٥٦، ٢٥٧، و(قصص القرآن)، لفضل عباس، ص٤٣٥.

ولم يكن من أخيهم الأكبر إلا أن بقي في مصر ليحاول إرجاعه بتخليصه من هذا الرق أو يأمر أبوهم برجوعه إلى أرض كنعان، وقد أمر إخوته أن يرجعوا إلى أبيهم ويخبروه بحقيقة ما حدث مبررين بأنهم لم يعلموا بأن أخاهم سوف يسرق صواع الملك ولو كان هناك أمر دُبِّر فهم لا يعلمون الغيب فهم شهدوا بما رأوا وإن شك في حديثهم فليسأل يعقوب عليه السلام أهل القرية التي كانوا فيها وليسأل القافلة التي كانوا فيها ويقول الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ ۞ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۞ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ {يوسف:٨٠-٨٢}، فعندما رجع إخوة يوسف عليه السلام وأخبروا أباهم ردَّ عليهم بكلمات يستشعر كل إنسان ذي لب مدى الفجيعة واللوعة التي تكون في قلب نبي الله يعقوب معلقاً على حديثهم بالكذب والافتراء وأن هذا الأمر الذي حدث لأخيهم من افترائهم وما زينت لهم أنفسهم من السوء اتجاه أخيهم ووكل أمره إلى الله كعادته وشكا وجعه وألمه للذي لا يرد شكوى مظلوم حيث قال: ﴿ **...فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...** ﴾ {يوسف:٨٣}، صبر ليس فيه شكوى للبشر إنما شكواه لله رب العالمين وهو يعي تماماً جزاء الصابرين وكانت عبارته كلها أمل في الله تعالى أن يكشف عنه هذه الغمة ويفرج كربه ويجمعه بأبنائه كلهم، وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾ {يوسف:٨٣}[(١)] هذا الشعور لا يعيه إلا كل من كان قلبه متعلقاً بالله أشد التعلق ويعي تماماً أن الله قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن الله عز وجل في الحديث القدسي: [**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي**][(٢)] فسبحان الله العظيم أيقن يعقوب عليه السلام أن الفجر يبزغ عند اشتداد الظلام وحلكته وبهذا الخبر المفجع تولد الأمل في لقائه بأولاده، هكذا الأنبياء في الابتلاءات والمحن كلماتهم يجب أن تسطر في كل قلب مؤمن وعقله ويعيها تماماً ليكون نهج

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٨، ٤٦٩، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٥/ج١٣، ص٤١.

(٢) الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، للنيسابوري، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث ٢٦٧٥، ص١٣٩٥.

هؤلاء الأنبياء نبراساً لحياتنا، وشموعاً تضيء طريقنا ونأمل بالفرج القريب خاصة عند استحكام الظلم، واشتداد حلكته ونتقبل قضاء الله وقدره بتمام التسليم كما سلّم يعقوب عليه السلام.

ثم تولى هذا الأب المفجوع بفراق أولاده وشعوره بالوحدة وبمصابه يندب فجيعته في ولده الحبيب يوسف عليه السلام الذي لم تنسه السنون حبه ويقول كما في قوله تعالى: ﴿ **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ {يوسف:٨٤}.

فكان فقد بنيامين قد أيقظ المحنة الأولى وهي فقده ليوسف عليه السلام وتجددت الأحزان ولوعة الفراق بالماضي وتجلّد بالصبر وكظم غيظه حتى ابيضت عيناه من شدة الحزن فأصيب بصره بغشاوة بيضاء أفقدته بصره وحجبت رؤيته[1].

ولكن إخوة يوسف عليه السلام لم يرحموا مشاعر هذا الأب الحنون والشيخ العاجز بل بلغ منهم الحقد أن يجاهروه بالقول أنه ما زال يذكر يوسف عليه السلام حتى يهلك من وجهة نظرهم أن ذكر يوسف على جدوى منه لأنهم يعلمون أنه ذهب ولن يعود فيرد أبوهم عليهم بأن يتركوه فإنه لا يشكو لأحد من خلقه وهو على صلة بربه غير صلتهم به ويعلم حقيقة ما لا يعلمون فهو عبد صالح وأمله في الله كبير ويدرك فرجه واستجابة دعائه، يقول الله تعالى: ﴿ **قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ {يوسف:٨٥-٨٦}[2].

عند الابتلاء تزداد القلوب المؤمنة إيماناً وتتعلق بالله سبحانه وتعالى واثقة بالله في تفريج كرباتها مستمدة ذلك من وعد الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿ **...وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾ {الطّلاق:٢}، ولم ييأس نبي الله يعقوب بل أمر أبناءه بالأخذ بالأسباب من خلال البحث وتحسسهم أخبار أخوتهم متأملاً في الله أن يجمعه بهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ**﴾{يوسف:٨٧}، فذهب إخوة يوسف عليه السلام إلى مصر بعد أن اشتد عليهم الجدب وقلة الطعام، فلما دخلوا على عزيز مصر قالوا: أيها العزيز، أصابنا وأهلنا الشدة والجدب والقحط وجئنا ببضاعة رديئة مذمومة كناية عما حل بهم من القحط والفقر فأظهروا له الذل والانكسار

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٩، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٢/ص١١٢٩، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٥/ج١٣/ص٤٣.

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٧، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٢/ص١١٢٩، ١١٣٠، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٥/ج١٣/ص٤٣٠، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص٦٤٠.

استرحاماً، واستعطافاً ليتم لهم الكيل؛ ولا ينقصه لرداءة بضاعتهم وطلبوا منه أن يتصدق عليهم برد أخيهم لهم، وبالمسامحة والصفح عنه وعنهم، فيقول الله ﷻ: ﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ** ﴾ {يوسف:٨٨}، وقد روي في بعض الروايات أن يعقوب عليه السلام كتب كتاباً ليوسف عليه السلام يسترحمه فيه برد بنيامين إليه[١] عندئذ رق قلب يوسف عليه السلام لحال إخوته وأبيه ولم يتمالك من البكاء ففاجأهم بسؤاله لهم هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه في حال شبابكم وطيشكم وقد تمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ** ﴾ {يوسف:٨٩}، فعرفوا أنه يوسف عليه السلام فقالوا: إنك يوسف فعرّفهم على نفسه وقال: هذا أخي بنيامين قد منّ الله علينا بالخلاص من بلاء الجب والسجن والخلاص من التهمة التي نسبت لبنيامين فعزّنا الله بعد المذلة وجمعنا بعد الفرقة فإنَّ من يتق الله ويصبر على البلاء والمحن فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ {يوسف:٩٠}.

فاعترفوا بذنبهم وأقروا بأن الله فضّله عليهم بصبره وحلمه وتقواه، فما كان من يوسف عليه السلام إلا أن صفح عنهم فرفع العتاب والعقوبة عنهم، ودعا الله أن يغفر لهم وأن يرحمهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۞ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ {يوسف:٩١-٩٢}[٢]، قد تجلت أخلاق الأنبياء في مواقفهم وسلوكهم فها هو يوسف عليه السلام يعفو عن إخوته، ويصفح عنهم، ويكظم غيظه، ويفوض أمره إلى الله، ويحاول إدخال السرور والسعادة على قلب أبيه بتبشيره أنه ما زال حياً فأعطاهم قميصه وأمرهم بأن يلقوه على وجهه ليرتد بصره إليه فارتداد بصر يعقوب معجزة من معجزات الله ثم يأتوا بأبيه، وبجميع بني يعقوب وقد تمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ {يوسف:٩٣}[٣].

ولما خرجت العير من مصر منطلقة إلى بلاد الشام هاجت ريح فجاءت إلى يعقوب عليه السلام فـقال يـعقوب عليه السلام لمن في قرابته إني لأشم رائحة يوسف فقالوا من في قرابته: ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ** ﴾ {يوسف:٩٥} أي في خطأ وذهاب عن طريق الصواب

---

(١) انظر: (معالم التنزيل)، للبغوي، ج٣/ص١٨٦.

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٧١، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٢/ص١١٣١، ١١٣٢.

(٣) انظر: (الكشاف)، للزمخشري، ج٢/ص٣٤٣.

معللين ما أصابه من كثرة إفراطه في محبة يوسف ولهجه بذكره، وقد قال المفسرون: هذه الريح التي وجدها يعقوب عليه السلام من مسيرة ثمانية أيام وقيل من مسيرة ثمانين فرسخاً، فلما جاءه المبشر بالخبر السار وقد حمل قميص يوسف ألقاه على وجه يعقوب عليه السلام فارتد بصيراً فقال يعقوب عليه السلام ألم أخبركم بأني أعلم ما لا تعلمونه من حياة يوسف وأن الله سيرده عليّ من تحقيق الرؤيا، فيقول عز وجل: ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ۞ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾{يوسف:٩٥-٩٦}، عند ذلك اعترف إخوته بخطئهم لما ارتكبوه في حق يوسف وأخيه وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم فيقول عز وجل في ذلك: ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**﴾ {يوسف:٩٧}.

فلما دخل يعقوب وأبناؤه وأهلوه على يوسف ضمَّ إليه أبويه، وقال لهم: ادخلوا مصر آمنين من كل مكروه وأجلس أبويه على سرير الملك فخروا سجداً له أبوه وأمه وإخوته وكان السجود عندهم تحية وكرامة وليست عبادة حيث قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ۞ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ {يوسف:٩٩-١٠٠}(١).

وبهذا اللقاء كانت نهاية محنة يعقوب عليه السلام فقد جمعه الله بهم جميعاً، وأقر عينيه برؤياهم، فلم يفتر، ولم يقنط، ولم ييأس، وقد كان متيقناً من فرج الله سبحانه وتعالى آملاً في استجابة الدعاء، وقد حقق الله له ذلك، وجعله جزاءً لصبره وثباته وقربه إلى الله في كل حين.

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٧٢.

المبحث الثاني

المحن والابتلاءات في سورة القصص

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: محنة بني إسرائيل وابتلاؤهم بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم.

المطلب الثاني: محنة أم موسى وابتلاؤها بإلقاء موسى عليه السلام في اليم.

المطلب الثالث: محنة موسى عليه السلام بقتله القبطي وفراره إلى مَدْين.

المطلب الرابع: ابتلاء موسى عليه السلام بالفقر.

المطلب الخامس: محنة موسى عليه السلام وابتلاؤه عند تكليفه بالرسالة.

المطلب السادس: محنة قوم قارون من خلال استعلائه عليهم بالمال والجاه والسلطان

المطلب السابع: محنة تكذيب النبي عليه السلام من قبل المشركين.

المبحث الثاني

المحـــن والابـــتلاءات في ســـورة القـــصـــص

المطلب الأول: محنة بني إسرائيل وابتلاؤهم بذبح أبنائهم واســـتحياء نسائهم.

إن الله ﷻ يمتحن عباده في مواضيع كثيرة، فقد يمتحن العباد في دينهم وثباتهم على الحق، وقد يمتحن العباد في شكرهم على نعم الله ﷻ وقد امتحن الله بني إسرائيل في هذا الموضع حيث ابتلوا بمحنة عظيمة محنة تقشعر لها الأبدان من هولها وذلك لما رأى الطاغية فرعون من فناء سلطانه، وزوال ملكه لمجرد تنبؤ سواء كان لرؤية رآها أو تنبؤ كهنة ومنجمين، ومن هذا المنطلق أذاق فرعون بني إسرائيل سوء العذاب فكان يذبّح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، وسنفصل هذه المحنة التي كان يعيشها بنو إسرائيل في مصر من ذبح وقتل واستضعاف واستعباد.

والتي تجسدت في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ **{القصص:٤}**.

تجسد هذه الآيات الكريمة محنة بني إسرائيل، وذلك من طغيان فرعون وفساده وعلوه في الأرض واستكباره وتجبره بغير الحق على أهل مصر وخاصة بني إسرائيل، حيث كان يستخف عقولهم، ويبث العداوة فيهم فلم يكن مهتماً بجلب مصالحهم، ورفع الضرر عنهم، وكان مستغلا منافعهم لنفسه، وكان يستخدمهم في أخس الصنائع وأردأ الحرف؛ وذلك لاستضعافهم حتى يقروا له بالعبودية، ولا يجرؤ احد منهم على نزع سلطانه(١).

وقد وصفوا بأنهم مستضعفين لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم(٢).

ولم يكتف بذلك بل جعلهم فرقاً متناحرة حيث كان يستعبد ويذل فريقاً منهم وهم بنو إسرائيل الذين كانوا عبيداً مستخدمين لدى القبط الملوك.

ويقول الإمام الطبري راوياً عن قتادة في تفسيره **[شِيَعَاً]**: "إن فرعون قسمهم فرقاً متناحرة حيث كان يذبح طائفة منهم ويستحيي طائفة ويعذب طائفة ويستعبد طائفة"(٣).

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٣/ص٢٦٥، و(التحرير والتنوير)، لابن عاشور، ج٢٠/ص٦٨.

(٢) معالم التنزيل، للبغوي، ج٤/ص٣٢٦ (بتصرف).

(٣) جامع البيان، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٣١.

ولا شك في أن جعل الأمة الواحدة عدة طوائف فيه مصلحة عند من يفعل ذلك فمن مصلحته أن يزرع الخلاف بينها، ويشغل بعضها ببعض حتى لا تستقر بينهم الأمور، وبالتالي لا يقدرون على مواجهته، ونزع ملكه فيظلون في خلاف وتشاجر فتضعف قوتهم ويتشتت شملهم فتتم السيطرة عليهم، وهذا تماما ما أراده فرعون حيث يبين المفسرون في سبب جعل فرعون الناس طوائف تستعبد كل منها الأخرى إن بني إسرائيل كانوا في خدمة من أزال حكم الفراعنة وهم ملوك الرعاة فلما طرد ملوك الرعاة من مصر كان من الطبيعي ممن يحكم مصر أن يستعبد بني إسرائيل لأنهم والوا أعداءه.

ويقول الإمام الشعراوي: "إن القرآن الكريم حينما تحدث عن ملوك مصر في القديم وفي الحديث يسميهم فراعنة كما قال تعالى: ﴿ **وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ**﴾ {الفجر:١٠} وهنا في قصة موسى قال أيضاً فراعنةً أما في قصة يوسف عليه السلام لم يأت ذكر للفراعنة إنما قال الملك وهذا من مظاهر الإعجاز القرآني لأن الحكم في مصر أيام يوسف كان لملوك الرعاة ولم يكن للفراعنة"[١].

ثم يستدل الإمام الشعراوي من جعل فرعون أمته شيعاً دليلاً على بطلان ألوهيته لأن المألوهين ينبغي أن يكونوا جميعاً عند الإله سواء[٢].

ولم يكتف فرعون بتفرقتهم وجعلهم شيعا بل كان يقتل أبناء بني إسرائيل الذكور ويترك الإناث على قيد الحياة، وقد قام بذبحهم سنين عدة ولكنه رأى في ذلك أنه يقطع نسلهم فصار يذبح عاماً ويستحي عاماً فورد هارون في عام الاستحياء، وولد موسى في عام الذبح، ولقد اختلف العلماء في عدد من قتل من الأطفال فمنهم من قال: سبعون ألفاً، ومنهم من قال: ستة عشر، ومنهم من قال: غير ذلك[٣].

وقد قال المفسرون في سبب تقتيله لهم: إنه رأى في منامه أن ناراً عظيمةً أقبلت من بيت المقدس وجاءت إلى أرض مصر فحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل فسأل المنجمين عن ذلك فقالوا إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون ذهاب ملكك على يديه فما أن سمع بذلك حتى همّ بتذبيحهم[٤].

---

(١) تفسير الشعراوي، للشعراوي، ج١/ص٦٨١٦.

(٢) المرجع السابق، ج١/ص٦٨١٦ (بتصرف).

(٣) انظر: (المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٦٠، و(النكت والعيون)، للماوردي، ج٤/ص٢٣٤.

(٤) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٣١، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج١٣/ص١٦٥.

ويعلق المفسرون على ذلك بأن ذلك دليل على حمق فرعون حيث إنه إن صدّق الكاهن لم ينفعه القتل وان كذّب فما معنى القتل؟.[1]

أما بالنسبة لاستحيائه النساء فيقول ابن عاشور: "إن فرعون كان يستبقي حياة الإناث من الأطفال فأطلق عليهن اسم النساء باعتبار المآل إشارة إلى أنه يستحييهنّ ليصرن نساء فيصلحن إلى ما تصلح له النساء وهو أن يصرن بغايا إذ ليس لهن أزواج فليس لهن حظ في الرجال إلا قضاء الشهوة وباعتبار هذا المقصد انقلب الاستحياء مفسدة بمنزلة تذبيح الأبناء".[2]

وترى الباحثة أن التاريخ يعيد نفسه ولكن على منحى أكثر عدداً من فرعون فالآن تنهج الدول الاستعمارية اليوم ما نهجه الطاغية فرعون في القتل والتدمير والتجبر والتفريق وتشتيت الأمة الإسلامية، حيث اتخذت شعار فرّق تسد فجعلت من العالم الإسلامي دولاً متفرقةً متشتتةً، ومن نفس الدول فرقاً متناحرة وذلك من خلال وضع الحدود وزرع الفتن بين طوائف المسلمين حتى يصبحوا في ضعف وهوان، فيظل المسلمون في قبضة المستعمر الكافر ونذكر بشكل خاص ما صنعته دولة الكفر إسرائيل والأصح أنه الاحتلال الصهيوني حيث احتلت أرض فلسطين وقامت بالقتل والتشريد لأهل فلسطين ودنست المقدسات ووضعت الحدود بين الأراضي الفلسطينية، وكان أشد ما فعلته الحصار الذي فرضته على الشعب الفلسطيني منذ سنوات، ولم تكتف بذلك بل قامت بزرع بذور الفتن بين أبناء الشعب الفلسطيني الواحد؛ فلم يسلم منها بشر ولا شجر ولا حجر وهذا تجسد أخيراً في حرب الفرقان، وكل ذلك خوفاً من زوال ملكها على أرض فلسطين واني لأرى أن حاضرنا كثر فيه الفراعنة وليس فرعوناً واحداً حيث القتل والتدمير والتشريد والحصار والتجويع والتفريق بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة، وقد أشار المصطفى ﷺ إلى ذلك فقال: **[يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ]**[3].

ومن هنا يؤكد ديننا الإسلامي على أن الاتحاد قوة والفرقة ضعف ولكننا لم نفهم ذلك جيداً ولم تعيه قلوبُنا لذلك نجح الاستعمار في تفرقتنا، وزرع الفتنة بيننا، ونتيجة لذلك ضعفنا وذهبت ريحنا وذهبت هيبتنا من نفوس أعدائنا وأعداء الإسلام وكانوا هم من قرروا مصيرنا في

---

(١) انظر: (مدارك التنزيل)، للنسفي، ج٣/ص٣٢٦-٣٢٧، و(أنوار التنزيل)، للبيضاوي، ج٤/ص٢٨٢-٢٨٣.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٢٠/ص٦٩.

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، ج١، ص: ٧٦٩، حديث ٤٢٩٧، صححه الألباني.

الحياة وصدق عز وجل حيث قال ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ {الأنفال:٤٦}، في المقابل أمر الله ﷻ عباده بالاعتصام بحبله فقال: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...** ﴾ {آل عمران:١٠٣}.

وإني أذكر ذلك من قبل التحذير لمآل الأمة الإسلامية إن ظلت على سكرتها ولا أنكر أنه ما زالت هناك طائفة قائمة على الحق لا تفرط في أي جزء من ثوابتها سواءً كان في الدفاع عن الدين أو الوطن أو النفس أو المال أو العرض، وتفدي في ذلك الغالي والرخيص من الأنفس والثمرات والمال، وكل ما تملك فأدعو الله ﷻ أن يقوي شوكتهم كما قوّى شوكة موسى عليه السلام ويمكّن لهم كما مكّن لموسى عليه السلام وستكون العاقبة للصابرين بإذن الله.

المطلب الثاني: محنة أم موسى وابتلاؤها بإلقاء موسى عليه السلام في اليم.

لقد عانى بنو إسرائيل من ظلم فرعون، وتجبره، حيث كان يقتّل أطفالهم، ويستحيي نساءهم، وكان لأم موسى جانب كبير من هذه المحن والابتلاءات، فما جرى على بني إسرائيل من هذه المحنة سوف يجري عليها فقد ولدت موسى عليه السلام في عام الذبح، وهذا الأمر اضطرها لقذف ولدها في اليم خوفا عليه من الذبح والقتل، وكان ذلك بوحي من الله ﷻ فقال: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ {القصص:٧}.

وقد صوّر القرآن الكريم هذه المحنة بأسلوب مؤثر، وألفاظ معبرة يدرك قارئ القصة مدى المعاناة والمصيبة التي امتحنت بها أم موسى عليه السلام، وأبرز معاناتها الشديدة التي تمثلت في مشاعرها التي كادت إن تبدي ما في قلبها، وتكشف أمرها من شدة خوفها، وهي تنتظر ماذا سيحل بابنها إذا وقع في يد فرعون رغم وعد الله لها بأنه سيرده إليها سالماً، وأنه سيجعله من المرسلين وذلك في قوله تعالى: ﴿ **...إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ {القصص:٧}.

تعرض الآية الكريمة محنة أم موسى وابتلاءها بإلقاء ولدها في اليم، وذلك التصرف كان نتيجة الخوف عليه من بطش فرعون ووحي الله لها بالطريقة التي سينجو بها من هذا البطش[1]، فقد ولدت أم موسى موسى عليه السلام واشتدت المحنة عليها في كيفية المحافظة على حياة هذا الابن من بطش فرعون حيث إنه ولد في عام الذبح ولكن الله ﷻ برعايته لأوليائه ورسله وتقديره بمشيئته التي تغلّبت على كل شيء يسّر السبل للحفاظ على حياة هذا النبي منذ ولادته

---

(١) اسمها لوحا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب، وقيل يوخابيل، وقيل يوحانة، وقيل يوحانذ بنت لاوي، وذكر المفسرون لها أسماء لا يوثق بصحتها، انظر:: (المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٦٣، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٢٧.

إلى أن يشتد عوده، وتقوى شوكته، ويقمع الظلم، والقائمين عليه؛ فأوحى إلى أم موسى أن ترضعه وإذا خافت عليه أن تلقيه في اليم، وقد أجمع العلماء على أن أم موسى لم تكن نبية، أي لم يكن وحي نبوة.

وقد اختلف العلماء في كيفية الإيحاء إليها، فقال بعضهم: بأنه كان قولاً في منامها، وقال آخرون: كان إلهاماً، وقيل كان ملكاً يَمْثُل لها، وقيل: قُذفَ في قلبها.[١]

وقد اختلف العلماء أيضاً في زمن الإيحاء لها فمنهم من قال: إن الوحي كان قبل الولادة، ومنهم من قال: بعد الولادة، وكان مبرر القول الثاني أن الخوف كان عقيب الولادة.[٢]

فبعد أن منّ الله على أم موسى، ونجت من المعرفة بحملها وذلك لما ذكر في إحدى الروايات أنه حين اقترب موعد ولادتها وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية لها، فقالت لها: لينفعني حبك اليوم معالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت: ما جئتك إلى قتل مولودك وأخبر فرعون، ولكني وجدت لابنك حباً ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش عقلها، فطلبه فلم يلقوا شيئاً فخرجوا وهي لا تدري مكانه، فسمعت بكاءه من التنور وقد جعل الله عليه النار برداً وسلاماً[٣].

ونجت بذلك أم موسى من البلاغ عنها إلى فرعون ونجا طفلها[٤]، فأوحى الله ﷻ أن ترضع ابنها موسى عليه السلام.

وقد اختلف العلماء في مدة الرضاعة فمنهم من قال: ثلاثة أشهر، وقال بعضهم: أربعة أشهر، وقال آخرون: ثمانية أشهر.[٥]

وقد ذكر الإمام الطبري تبرير من قال: أن مدة الرضاعة كانت أربعة أشهر وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبي بعد حال سقوطه من بطن أمه، فإذا بلغ أربعة أشهر

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٣١، و(المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٦٢، و(النكت والعيون)، للماوردي، ج٤/ص٢٣٥، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٢٦، و(التحرير والتنوير)، لابن عاشور، ج٢٠/ص٧٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج١٣/ص١٦٦.

(٣) انظر: (التحرير والتنوير)، لابن عاشور، ج٢٠/ص٨٠-٨١، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج١٣/ص١٦٦، ١٦٧، و(الكشاف)، للزمخشري، ج٣/ص١٦٦.

(٤) انظر: (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج١٣/ص٢٥١، و(الكشاف)، للزمخشري، ج٣/ص٣٩٨، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٢٠/ص٣٢٧، و(التحرير والتنوير)، لابن عاشور، ج٢/ص٨٠-٨١.

(٥) انظر: (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج١٣/ص١٦٦، و(النكت والعيون)، للماوردي، ج٤/ص٢٣٦، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٢٨، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ص١٩٠٥.

وصاح وابتغى من الرضاع أكثر من ذلك فألقيه حينئذ في اليم فذلك قوله: ﴿ ...**فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ**﴾ {القصص:٧}[(١)].

فبعد انتهاء مدة الرضاعة التي لا يخشى افتضاح أمر موسى عليه السلام فاقذفيه في اليم ولا تخافي وذلك بوحي الله لها، وقد فسر العلماء قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَخَافِيْ**﴾ أي لا تخافي عليه القتل لأنه إذا صاح فانه يخاف أن يسمع صوته أحد فينمّوا عليه إلى فرعون فقد أمّنه على حياته بقذفه في اليم.

أما القول الآخر: أي لا تخافي عليه الغرق والضياع بعد قذفه في اليم، ومجمل القول: أن الله عز وجل نهاها عن الخوف عليه وذلك لمّا تعهّد الله بحفظه ورده إليها بالإبقاء على حياته وعودته إلى رعايتها.

أمّا الحزن في قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَحْزَنِيْ**﴾ أي لا تحزني على فراقه، ومن العلماء من قال لا تحزني أن يقتل.[(٢)]

وقد فرّق العلماء بين الخوف والحزن حيث يقول الإمام ابن عاشور في الفرق بينهما: "إن الخوف توقع أمر مكروه، أما الحزن حالة نفسية تنشأ من حادث مكروه للنفس كفوات أمر محبوب، أو بعد الحبيب أو فقده أو نحو ذلك، لذلك نهى الله عن كليهما ووعدها برده إليها"[(٣)].

فقد أمر الطاغية فرعون بقتل من يولد من الأطفال ويرجع ذلك لتصديقه لقول الكهنة والمنجمين بأن طفلاً سيولد وسيكون ذهاب ملكه على يديه فجهز نفسه لمواجهة هذا الخطر القادم وقام بذلك الأمر دون أدنى رحمة أو شفقة، إضافة إلى أنه كان مقسماً رعيته إلى فرق متناحرة يتسلط بعضهم على بعض، ويزرع الخلاف بينهم حتى يشغلون ببعضهم البعض، وبالتالي يبقى قادراً على استعبادهم دون أن يقدروا على نزع ملكه، ولم يكتف بذلك بل وصل به التجبر بأن يدعي أنه الإله المعبود الذي لا اله غيره، وأنه ينبغي على الجميع أن يقروا له بالعبودية ويطيعونه ولا يخالفون أوامره.[(٤)]

وكلا الشعورين سواء الشعور بالخوف أو الحزن مرافقان للإنسان عند وقوع المصيبة واشتداد المحنة عليه، وقد تملّك أم موسى هذان الشعوران رغم نَهيُ الله عز وجل لها إلى أن أصبح

---

(١) جامع البيان، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٣٦، (بتصرف).
(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري مج١١/ج٢٠/ص٣٥، و(النكت والعيون)، للماوردي، ج٤/ص٢٣٥- ٢٣٦، و(مدارك التنزيل)، للنسفي، ج٣/ص٣٢٨.
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج٢٠/ص٧٥
(٤) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٣٩، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٣٠.

قلبها فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى ﷺ والحزن عليه والتأوه والهم لما حدث له، وهذا قول أكثر المفسرين، حتى كادت أن تبدي ما بداخلها وينكشف أمرها.

وقد ذكرت رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وأرضاه أن أم موسى كادت أن تقول وا ابناه[١] فيكشف أمرها، وقد رجح بعض العلماء كالإمام البيضاوي، وابن كثير، والنسفي، والشعراوي أن أم موسى لم تكن جَلَدَة على تنفيذ ما أراده الله حيث إنها كادت أن تبدي أمرها من شدة الخوف عليه، ولكنها في آخر الأمر نفذت ما أوحي إليها وألقته في النيل[٢].

وفي صبيحة يوم أقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى فرآه آل فرعون فالتقطوه، فعندما فتحوا التابوت رأوا فيه طفلاً صغيراً فإذا هو غلام يخرج من عينيه نور ثم يهيئ الله امرأة فرعون لتكتمل مشيئة الله في حفظ موسى عليه السلام، حيث إن الله ﷻ دفع محبته في قلبها؛ فانشرح صدرها له حينما نظرت إليه فطلبت أن يبقيه ولا يقتله حتى يكون قرة عين لهما، فوافق فرعون على طلبها رغم أن أعوانه وحاشيته حذّروه من ذلك[٣] إلا أنّ مشيئة الله ﷻ لا يعجزها شيء إذا أراد الله شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ثمّ يُعرض موسى عليه السلام على المراضع فلم يقبل بأي مرضعة، ويقول ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ...** ﴾{القصص:١٢}، أي تحريماً قدرياً وذلك لكرامته عند الله ﷻ وصيانته له من أن يرتضع من غير أمه[٤].

ثمّ يقدر الله ﷻ أن تخرج أخت موسى عليه السلام بأمر من أمها في تتبع أثره وترشد آل فرعون على مرضعة له، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **...فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ** ﴾ {القصص:١٢}، وتكون هذه المرضعة هي أمها ليتم وعد الله لأمه ويرده إليها كما وعدها في قوله تعالى: ﴿ **...إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ {القصص:٧}، وكذلك لتعلم أنّ وعد الله حق فما وعدها به تحقق وعلى وجه يليق بها، " فقد روي أن امرأة فرعون أحسنت إلى أم موسى وأعطتها عطاءً جزيلاً وهي لا تعرف أنّها أمه، فقط لأنّه وافق ثديها فأجرت عليها وعلى موسى النفقة، والكساوي، والإحسان الجزيل"[٥]، فرجعت أم موسى بولدها إلى بيتها راضية مرضيّة حيث أبدلها الله خوفها أمناً وأوفى بوعده ﷻ.

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٤٢.
(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٣/ص٣٦٨، و(أنوار التنزيل)، للبيضاوي، ج٤/ص٢٨٤، و(مدارك التنزيل)، للنسفي، ج٣/ص٣٢٩، و(تفسير الشعراوي)، للشعراوي، ج١/ص٦٨٢.
(٣) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٣٥، ٣٦.
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٣/ص٣٦٧.
(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٣/ص٣٦٧.

فالله ﷻ يثبّت المؤمنين ويلهمهم الصّبر والسلوان عند الابتلاء ويجعل لهم بعد كل هم فرجاً وبعد كل ضيق مخرجاً وييسر لعباده سبل الفرج والخلاص من المصائب، والهموم، والابتلاءات أياً كانت شدّتها، فتكون هذه الشدّة مرحلة مؤقتة ثمّ يأتي بعدها الفرج، فبإذنه طمس بصيرة فرعون المتجبّر وهو واحد من نماذجٍ كثيرة تجسّد فيه الطاغوت والجبروت وهيّأ لموسى ﵇ السبل لكي ينجو من بطشه ويتربّى في بيته، ليشبّ ويقوى ويصبح عدوّه الذي سيحق الحقّ به ويزهق الباطل، وكذلك أيضاً جعل عاطفة الأمومة تتلاشى وتزول أمام إرادته ومشيئته، بالمقابل يسّر الله ﷻ كل سبل الحفاظ على موسى ﵇ وحمايته إلى أن يبلّغ رسالته وينصر به المستضعفين في الأرض في زمنه.

قد يكون هذا الأمر ظاهره مكرهاً للنفس ويجعل الله فيه الخير الكثير وصدق ربُنا في قوله تعالى: ﴿ **...وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...** ﴾ {البقرة:٢١٦}، فقد يكون على إثر هذه المحن والابتلاءات استقامة المجتمعات ونشر دعوة الله ونصرة المستضعفين وردّ حقوقهم ولكنّ الله ﷻ لم يجعل هذا الأمر وتنفيذه يسيرا فابتلى هؤلاء الناس ومحصّهم للفوز بالجزاء من الله ﷻ وبما بشرهم به فيقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ {البقرة:١٥٥-١٥٦}.

المطلب الثالث: محنة موسى عليه السلام بقتله القبطي وفراره إلى مدين.

إن أشد الناس ابتلاءً أكثرهم إيماناً فكان الأنبياء من أشد الناس ابتلاءً وذلك أن الله تعالى جعلهم قدوةً ونبراساً للتائهين ولأصحاب الابتلاءات والمحن فكانت محنهم من أشد المحن وأجلّها على مختلف أشكالها، فها هو موسى عليه السلام يبتلى بمحنة القتل الخطأ وما يترتب عليها من الشعور بالآلام النفسية والندم والقلق والخوف فما اضطره ذلك إلى ترك بلده فاراً إلى مدين للنجاة من بطش فرعون وجنوده بعد إرسالهم في طلبه وتقديمه للقتل، كما يقول الله تعالى:

بدأت هذه المحنة منذ دخول موسى عليه السلام المدينة وقد تعددت الروايات في تحديد هذه المدينة فقال بعض المؤرخين: إنها مدينة تسمى منف[1] تبعد فرسخين عن مصر، وقيل: هي مدينة عين شمس[2] [3].

وفي قوله تعالى: ﴿ **عَلَى حِيْنِ غَفْلَةٍ**﴾ اختلفت الروايات في تحديد وقت الغفلة على قولين: أن موسى عليه السلام دخلها ما بين العشائين، والقول الآخر: أنه دخلها وقت القائلة[4]، كذلك تعددت الروايات في سبب دخول موسى عليه السلام على غفلة من أهل المدينة:

١. أنه كان يوم عيد لهم وهم مشتغلون فيه بلهوهم.

٢. أن موسى عندما شبَّ وبلغ أشده بدأ يتكلم بالحق، فأخافوه وخافهم فصار لا يدخل المدينة إلا متخفياً وعلى غفلة من أهلها.

٣. لما على موسى فرعون بالعصا في صغره فأراد فرعون قتله؛ قالت امرأته هو صغير فترك قتله وأمر بإخراجه من المدينة ولم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشده فكانوا في غفلة بسبب نسيانهم خبره وأمره لبعد عهدهم به.

---

(١) منف بالفتح ثم السكون وفاء: اسم مدينة فرعون بمصر، أصلها بلغة القبط مافه، فعربت فقيل منف، وهي المقصود في قوله تعالى: ﴿ **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا** ﴾، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، ج٥، ص٢١٣-٢١٤.

(٢) عين شمس بلفظ الشمس التي في السماء: اسم مدينة فرعون بمصر، بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ، وكانت مدينة كبيرة، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، ج٤، ص١٧٩

(٣) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٤٨، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٣٢، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ص١٩٠٧.

(٤) القائلة: وقت الظهيرة، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ج٤، ص٣٧٩٦

٤. أن موسى عليه السلام كان يسمى ابن فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوماً ما ولبس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له إن فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض منف فدخلها في نصف النهار وليس في طرفها أحد[١].

وحينما دخل موسى عليه السلام المدينة رأى رجلين يتخاصمان، أحدهما من شيعته أي من شايعه على دينه من بني إسرائيل، والآخر من مخالفيه القبط، لأنه لم يكن على دينهما وكان من أعوان فرعون وأعداءً لبني إسرائيل وقد عرف عن موسى في ذلك الوقت أنه حافظٌ لبني إسرائيل لقرابته لهم من الرضاعة فهذا ما عرفوه عنه وقد كان الإسرائيلي يتسخر لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون، فطلب الإسرائيلي من موسى أن ينصره فقام موسى فنصره ووكز القبطي فقتله وقيل الوكز بأطراف الأصابع وقيل بجميع الكف وقيل إنه وكزه بعصا كانت معه فقتل القبطي على إثر هذه الوكزة ولكنه لم يتعمد قتله[٢].

فلما قتل موسى القبطي زاد غضبهم وكراهيتهم لبني إسرائيل لذلك علل موسى ما حدث أنه عمل من الشيطان فوصفه بأنه عدو مضل مبين، فهو يزين للإنسان فعل السوء حتى يوقع الإنسان في الخطأ فكانت الوكزة من عمل الشيطان لما أثار عن موسى عليه السلام من الغضب فدفعه ذلك لهذا العمل فأثار في نفسه الندم والأسف على ما فعل[٣].

فاستغفر الله من هذا الذنب وأخذ يستعطف الله عز وجل ويدعوه بما أنعم عليه من النعم ويقر له بأنه ظلم نفسه بهذا العمل ويعاهد الله ويتوب إليه وألا يكون ظهيراً ومعينا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين صحبته فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده، وأما مظاهرته للإسرائيلي الملعونة المؤدية إلى قتل نفس، وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ**﴾{القصص:١٧}، وأصبح موسى عليه السلام خائفاً يترقب ما سيحدث له من مكروه، وخائفاً من مطاردة فرعون وأعوانه له لكي يقتلوه، وفي اليوم التالي فإذا بالرجل الذي طلب النصرة من موسى عليه السلام فنصره وكان السبب في ارتكاب موسى الإثم بالقتل، إذ هو يستنصره مرة أخرى، فقال له موسى إنك لغويٌ مبين، وقد وصفه موسى بالغي لأنه كان السبب في قتل القبطي وهو يقاتل الآن رجلاً آخر وكأن طابع هذا الرجل الشر والظلم

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٤٩، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٣٣، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ص١٩٠٧

(٢) انظر: (معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٣٣، و(الكشاف)، للزمخشري، ج٤/ص١٦٩، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج١٣/ص٦٧١، و(الدر المنثور)، للسيوطي، ج٦/ص٤٠٣، و(مدارك التنزيل)، للنسفي، ج٣/ص٣٣٤.

(٣) انظر: (المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٧٥، و(تفسير الشعراوي)، للشعراوي، ج١/ص٦٨٣١.

فيقول الله ﷻ: ﴿ **فَأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ**﴾{القصص:١٨}، رغم ذلك إلا أن موسى عليه السلام أراد أن ينصره وعزم على قتل القبطي وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ**﴾ {القصص:١٩}، ويذكر ابن كثير: "أن الإسرائيلي لضعفه وذلته اعتقد أن موسى يريد قصده أي قتله؛ فلما سمعه يقول: إنك لغويٌّ مبين قال يدفع عن نفسه: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين".[١]

وقد أخذ كثير من المفسرين بهذه الرواية لأن قول موسى للرجل: إنّك لغويٌّ مبين دليل على ندم موسى واستيائه من هذا الرجل ممّا تبادر إلى فهم الإسرائيلي أنّ موسى رقّ للقبطي غصب عنه، فقال ما قال دفاعاً عن نفسه وتذكيره بأنّه سوف يكون من المجرّمين لأنّه كان في عقيدتهم من قتل أكثر من اثنين كان من الجبّارين، وأيضاً لعدم معرفة أحد بقتل موسى للرجل في يوم أمس إلا موسى والإسرائيلي فقال هذه العبارة ناهية عن قتله، فلمّا سمعها القبطي ذهب إلى فرعون وأخبره بذلك فاشتدّ حقد فرعون وعزمه على قتل موسى وبعث وراءه أعوانه لكي يحضروه لقتله[٢]، وقيل سمعهم رجل ما فذهب إلى أصحاب القتيل فأخبرهم ثم ذهبوا إلى فرعون ليبلغوه وذلك لأنهم عندما قتل الرجل ذهبوا إلى فرعون وطالبوه بالنصرة لهم بقتل من قتل الرجل فطلب فرعون منهم البينة[٣]، يقول الله ﷻ: ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ {القصص:٢٠}.

بعد ما عرف فرعون وشيعته بقتل موسى عليه السلام للقبطي تداولوا فيما بينهم الإمساك بموسى عليه السلام ثم قتله فجاء رجل من أقصى المدينة، وقيل أن الرجل مؤمن من آل فرعون وكان ابن عم فرعون، وقيل هو رجل آخر، وقال لموسى عليه السلام ناصحاً له بالخروج من مصر حيث علم أن أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون على قتله ويتشاورون ويرتئون ذلك فجاء محذراً وناصحاً لموسى عليه السلام وقد جاء على عجل حتى ذكر أنه دخل من طرق فرعية للوصول إلى موسى عليه السلام بأقصى سرعة خشية وصول آل فرعون والإمساك به فخرج موسى عليه السلام إلى مدين خائفاً على نفسه فزعاً يتلفت ويترقب متابعة أحد له وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ {القصص:٢١}.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٣/ص٣٧٠.

(٢) انظر: (معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٣٥.

(٣) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٥٦.

ومدين[1] هي قرية شعيب عليه السلام ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام وكان موسى لا يعرف الطريق إليها فطلب من الله عز وجل أن يهديه سواء السبيل وأن ينجيه من القوم الظالمين، ولم يصطحب أحداً معه واثقاً بالله متوكلاً على الله، داعياً الله تعالى وسائله النجاة، وقيل أن الله هيأ له ملكا سدده الطريق[2]، فاستجاب له ربه ووصل إلى مدين ليتم لهذا النبي الكريم ما وعده الله له من التمكين في الأرض والنصرة على القوم الكافرين.

المطلب الرابع: ابتلاء موسى عليه السلام بالفقر.

عندما خرج موسى عليه السلام من مصر متجهاً إلى مدين خرج خائفاً فزعاً شريداً لا يعرف الطريق ولا يمتلك أي شيء لا زاد ولا مال كل غايته حينئذ أن ينجو من هؤلاء الظالمين لم يفكر في زاد سفر ولا في راحلة يركب عليها فخرج ماشياً على رجليه مسيرة ثماني ليالي متواصلة حتى لحق به الجهد والعناء والتعب والجوع والفقر إلى أن وصل إلى مدين حتى سقط نعل رجليه من المسير[3].

فكان هذا الابتلاء بداية النصر والتمكين حيث قاد موسى عليه السلام إلى مرحلةٍ جديدة في حياته حماه الله وحفظه من القوم الظالمين، يقول الحق تعالى: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ {القصص:٢٣}، عندما وصل موسى عليه السلام إلى مدين ورد بئراً كان جماعة من الناس مجتمعين عليه يسقون مواشيهم وقد رأى بعيداً عن هذه الجماعة امرأتين تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهم البئر فتسقيا أغنامهما فقال موسى عليه السلام لهما سائلاً ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس تنتظران أن تسقيان من فضول ما في صياصي[4] الرعاء فقالتا: نحن لا نستطيع أن نزاحم الرجال وأبونا شيخ كبير لا يقدر أن يمشي ذلك من نفسه ولا يسقي ماشيته فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا فأخذت موسى عليه السلام الرأفة والرحمة بهما ولضعف حالهما وشدة حياتهما فتقدم ليسقي لهما، وبعد أن فرغ من السقاية لهما تولى إلى ظل شجرة ذكر أنها من شجر

---

(١) مَدْيَن: مدينة تقع بين وادي القرى والشام اتجاه تبوك بين المدينة والشام، وبها استسقى موسى، وقيل مدين اسم قبيلة، انظر: معجم البلدان، ج ٥، ص: ٧٧-٧٨.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٥٨، ٥٩، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٣٥-٣٣٦، و(المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٨٢.

(٣) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٥٩، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٣٦.

(٤) صياصي: الشاربة عند الحوض، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ج٣، ص: ٢٥٣٧.

الطلح[1] تدعى سَمُرة[2] فقال مناجياً الله ﷻ قائلاً: ﴿ **...رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ {القصص:٢٤}[3].

يقول ابن عطية فيما ذكر: "أن الخير الذي طلبه موسى عليه السلام هو الطعام لما أصابه من الشدة والجوع"، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان قد بلغ من الجوع واخضر لونه من أكل البقل وضعف حتى لصق بطنه بظهره ورؤيت خضرة البقل في بطنه، وإنه لأكرم الخلق يومئذ على الله ﷻ"[4].

وقد ذكر أن نبي الله موسى عليه السلام ذكر هذا القول وهو يجهد جهداً شديداً وعرّض ذلك للامرأتين تعريضاً لهما لعلهما تطعماه مما به من شدة الجوع.

فقد بلغت قمة الجوع والفقر ما بلغت من نبي الله موسى عليه السلام وهو لا يعلم أن هذه المحنة وهذا الابتلاء ستكون نهايته الخير الوفير من عند الله ﷻ ولكن الصبر على هذا الابتلاء كان من شيم الأنبياء والصالحين ولنا بهم الأسوة الحسنة فها هو أحب الناس إلى الله يومئذ وأكرمهم على الله ﷻ يتضور ألماً من شدة الجوع، نبي الله لا يحتكم لا درهماً ولا ديناراً ولا شقة من تمر ولا قطعة من خبز بلغ منه الجوع حتى التصق بطنه بظهره واخضرّ لونه من أكل البقل، يا له من ابتلاء عظيم ونبي الله يُعرض تعريضاً طالباً للطعام منعه حياؤه وعفته أن يسأل الطعام من أحد ولكن الفرج لا يأتي إلا مع شدة الضيق هذه سنة الله في أوليائه الصالحين يأتيهم ما وعدهم به في قوله تعالى: ﴿ **...وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾ {البقرة:١٥٥}.

وقد كانت البشرى والفرج القريب من هذا الابتلاء لموسى عليه السلام في مقدم إحدى المرأتين إليه جاءته تمشي على استحياء ومستترة قد وضعت كم درعها على وجهها مُبلِّغةً عن أبيها دعوته إليه كي يأخذ أجر ما سقى لهما وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ {القصص:٢٥}.

---

(١) الطلح: شجرة حجازية جنائها كجناة السمرة ولها شوك، ومنابتها بطون الأودية، ولها ظل يستظل الناس بعد الإبل، ورقها قليل، انظر: لسان العرب، ج٣، ص٢٦٨٦

(٢) سمرة: بضم الميم من شجر الطلح، وقيل من الشجر صغار الورق، قصار الشوك، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ج٣، ص: ٢٠٩٢.

(٣) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٦٤، السمرة بضم الميم من شجر الطلح، وقيل: من الشجر صغار الورق قصار الشوك، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ج٣، ص: ٢٠٩٢ .

(٤) المحرر الوجيز، لابن عطية، ج١١/ص٢٨٧.

وقد اختلف المفسرون في اسم أبيها ومن هو على عدة روايات:

١- منهم من قال: أنه شعيب عليه السلام وهو رأي الجمهور.

٢- وقيل أنه ابن أخي شعيب واسمه ثروان، أو يثرون.

٣- وقيل رجل صالح ليس من شعيب بنسب.

٤- وقيل: إن الامرأتين إنما مرسلهما عمهما وهو كان صاحب الغنم وهو المزوج لكن عُبر عن العم بالأب في جميع الأمر إذ هو بمثابته[١].

فلما دخل موسى عليه السلام على أبيها شعيب عليه السلام على أرجح الروايات إذا بالعشاء مهيأ فطلب شعيب عليه السلام من موسى عليه السلام بتناول الطعام وقص عليه قصته مع فرعون وقومه من القبط فطمأنه وذلك أن مدين لم تكن في سلطان فرعون، وقال له: قد نجوت من القوم الظالمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **...فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ {القصص:٢٥}[٢] بهذا اللقاء فرج الله كرب موسى عليه السلام واستجاب دعاءه، واستبدل خوفه أمناً وأذهب عنه محنة الفقر والجوع، فقد اتفق شعيب عليه السلام وموسى عليه السلام أن يزوج موسى عليه السلام إحدى ابنتيه مقابل إجارته ثماني حجج وإن أتم عشراً فمن رغبته أي هو ملزم بالإجارة ثماني حجج حسب الاتفاق وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾{القصص:٢٧}[٣].

وبذلك مكّن الله لموسى عليه السلام في مدين ليعده الله سبحانه وتعالى إلى المهمة العظيمة التي أوكلت إليه وهي تلقي الرسالة والدعوة إلى دين الله ومواجهة الشرك والطغاة.

لم يبلغ الأنبياء هذه الدرجة من الأفضلية على سائر البشر إلا بما صبروا وتحملوا فكانوا أشد الناس ابتلاءً ليكونوا قدوة للبشرية جمعاء إلى أبد الدهر، فلا أعلم ما بال ملوك وزعماء عصرنا غيّبوا عن أنفسهم هذه النماذج العظيمة الذين رضوا بالعيش دون الطمع في مال أو جاه أو سلطان مخافة لله سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٦٩، و(المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٨٩.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٦٧.

(٣) انظر: (المرجع السابق)، مج١١/ج٢٠/ص٧٢.

المطلب الخامس: محنة موسى عليه السلام وابتلاؤه بالتكليف بالرسالة.

ما زال الإعداد الإلهي لموسى عليه السلام قائماً لتلقي رسالة ربه وتكليفه بمهامها وأعبائها لمجابهة فرعون وملأه ولقمع الظلم والطغيان ونشر دين التوحيد على الأرض وإنقاذ البشرية من ظلمات الشرك والعبودية فيكون موسى عليه السلام لفرعون وهامان وجنودهما عدواً وحزناً وتكون نهايتهم على يديه كما وعد الله عز وجل بنصره أوليائه الصالحين، وكذلك نصرته للمستضعفين وتمكينه لهم في الأرض، فيقول الله عز وجل: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ**﴾ {القصص:٥} أمضى موسى من حياته في قصر فرعون وقد عاش في رفاهية وترف كما يعيش أبناء الملوك والأغنياء، وذلك ليتم له النجاة من قتل فرعون وبطشه وهو صغير ثم أمضى فترة من حياته قاسى فيها التشرد والفقر والمطاردة حين فر هارباً من مصر إلى مدين خائفاً فزعاً من مطاردة فرعون وجنوده لهما حينما كشف الإسرائيلي أمره وعلم فرعون بقتله للقبطي.

وجاء طورٌ آخر في حياته عاش حياة الرعاة والخدم فرعى غنماً لشعيب عشر سنين مع خدمته له، كل هذه الفترات تطلبت سمات خاصة ونوعية صقلت شخصية موسى عليه السلام وأعدته لمرحلة جديدة في حياته، فاختلاف الأطوار والتجارب المتباينة والمشاعر المختلفة لجميع طبقات المجتمع ولّدت عند موسى عليه السلام المعرفة والعمق لجميع طبقات المجتمع مع العيش بمشاعرهم وأحاسيسهم وكذلك صقلت في شخصيته سمة التحمل والصبر والقوة والتعايش في أصعب الظروف، وأشقاها، فكانت هذه التجارب بمثابة التدريب والتمرين لحمل الرسالة التي سيكلفه الله بها ليواجه بها أعتى ملوك الأرض في زمانه وأقدمهم عرشاً وأثبتهم ملكاً، فلن يكون الطريق سهلاً إلى ذلك، وما زال الإعداد قائماً، وهذا ما نلمسه فيما امتحن به موسى عليه السلام من الخوف والفزع كي يستطيع مجابهة فرعون بعزم، وحزم، وهمة عالية، فقال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الوَادِ الأَيْمَنِ فِي البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ ۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الوَادِ الأَيْمَنِ فِي البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ ۞ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآَمِنِينَ ۞ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ**

إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ {القصص:٢٩-٣٢}[١] لما أتم موسى عليه السلام أكمل العدتين وأوفاهما برعي غنم شعيب وقد كانت المدة عشر سنين وقيل أنه عاش عشر سنين بعدها في مدين[٢] أراد أن يسير بأهله إلى مصر ليرجع إلى قومه فسار في ليلة مظلمة شاتية باردة فأخطأ الطريق، واشتد عليه وعلى أهله البرد، ولم يكن معه رفاق لمساعدته فقد كان موسى عليه السلام رجلاً غيوراً لا يصطحب الرفاق فإذا بموسى عليه السلام يرى ناراً، وقيل هو من نور الله القبس في شجرة من العوسج وقيل شجرة من العليق وقيل شجرة عناب وقيل شجرة زعرور وكان لونها سمراء خضراء تبرق فلما رأى موسى هذه النار طلب من أهله أن يبقوا في مكانهم عسى أن يأتيهم بخبر الطريق أو يأتيهم بقطعة من النار في عود كبيرة لا لهب لها أي جمرة لعلهم يستدفئون من البرد[٣] وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾** {القصص:٢٩} فلما أتى موسى ذلك الضوء الذي رآه نودي من جانب الوادي عن يمين موسى عند الطور من ناحية الغرب في بقعة مباركة لما امتازت بالمكان الذي نادى الله رب العالمين موسى عليه السلام وكلفه برسالته فيها.

وكان هذا النداء قد تضمن تعريف موسى بربه رب العالمين رب الإنس والجن فقال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الوَادِ الأَيْمَنِ فِي البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾** {القصص:٣٠} وقد كان هذا النداء في ليلٍ ساكن وموسى عليه السلام وحيداً ثم طلب منه الله سبحانه وتعالى أن يلقي بعصاه التي في يده فألقاها موسى عليه السلام فصارت حية عظيمة تسعى كأنها الجانّ والجانّ واحد من الجنان وهي نوع معروف من أنواع الحيّات وهي من الحيّات العظيمة فجمعت هول الثعبان ونشاط الجانّ وتتلوى فلما رأى العصا تتحرك بهذه السرعة والخفة؛ فما أن رأى موسى عليه السلام هذا المنظر المريب حتى ولى هارباً لم يرجع ولم يلتفت إلى ما وراءه.

فكان هذا الخوف موافقاً للطبيعة الانفعالية البشرية حيث إن هذا الأمر غير متوقع وهو أن عصاه التي في يده تصبح حية عظيمة فالمنظر مخيف للغاية، وتملك موسى الخوف والفزع وكانت هذه المحنة شديدة على نفس موسى عليه السلام فارتعد وارتجف من شدة الخوف فناداه الله

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٧٦، وانظر: (المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٩٣.

(٣) انظر: (معالم التنزيل)، للبغوي، مج٤/ج٢٠/ص٣٤٢.

ﷻ قائلاً: ﴿ **...يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ**﴾ {القصص:٣١} بذلك النداء اطمئن موسى ﵇ وأمن على نفسه من الضرر إلا أنه ما زال شعور الخوف والفزع يتملكه.

ثم تأتي الآية الثانية في نفس اللحظات ويأمر الله ﷻ موسى ﵇ أن يضع يده في جيبه ثم يخرجها والجيب فتحة في الجبة أعلى الثوب من جهة الرأس وهو مكان لحفظ الأموال في داخل الثياب حتى لا تسرق، فخرجت يده كأنها المصباح بيضاء تشع نوراً من غير مرض ولا سوء[1] فأيقن موسى أنه كلّم ربه وهذه الآيات برهانٌ لتصديقه ودليلٌ على نبوته وتأييدٌ لرسالته إلى فرعون وقومه.

ثم أمر الله موسى ﵇ بوضع يده على صدره لإذهاب الخوف والفزع الذي ألمّ به وزيادة له في التأمين على نفسه وذلك في قوله تعالى: ﴿ **اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾ {القصص:٣٢} كل هذا الفزع والخوف الذي تملك موسى ﵇ كان تدريباً له لكسر حاجز الخوف والفزع الذي سيلقاه في دعوته لفرعون وقومه، ومجابهة هؤلاء الطغاة المتجبرين، ورغم كل ما اطمئن له موسى ﵇ من حفظ الله له وتأمينه إياه إلا أنه ما زال خائفاً فقد ابْتُلي موسى ﵇ بمحنة الخوف والفزع الشديدين أثناء تكليفه بالرسالة وبعد التكليف فموسى ﵇ أرسله الله إلى فرعون وقومه وقد قتل موسى ﵇ القبطي فكيف سيواجه فرعون وقومه الذين فيما مضى فر منهم سنوات طويلة، فيطلب موسى ﵇ من ربه ﷿ أن يعينه بأخيه هارون ليشدد به أزره فيؤيده، ويظهر حجته، ويزيل عنه الشبهات معللاً ذلك بأن هارون أفصح منه لساناً وأقدر على البيان منه، فقد كان موسى ﵇ يعاني من عقدة في لسانه فخشي ألا يبين معها ما يريد من الكلام وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ**﴾ {القصص:٣٤}، كذلك اجتماع موسى وهارون عليهما السلام على الخبر فيه تصديق أكثر من خبر الواحد وأسكن للنفس[2].

فاستجاب الله ﷻ لطلب موسى ﵇ مبشراً موسى ﵇ أنه سيجعل لهما سلطاناً وسيكونا هما الغالبين ومن اتبعهما فلن يستطيع فرعون ومن معه من النيل منهم وهذا فيه تثبيتٌ

---

(١) انظر: (المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٩٧، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ص١٩١٥، و(تفسير الشعراوي)، للشعراوي، ج١/ص١٠٩١٨.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٨٢، ٨٣، و(معالم التنزيل)، للبغوي، مج٤/ج٢٠/ص٣٤٣، و(المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٩٩.

لأنبياء الله وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ** ﴾ {القصص:٣٥}، وما خشي منه موسى عليه السلام قد وقع فكذبوه ورموه بالسحر وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ** ﴾ {القصص:٣٦}، فراع موسى عليه السلام تكذيبهم له فرد الأمر إلى الله عز وجل وهو خير ناصر وخير معين.

كانت هذه المحن المتوالية على موسى عليه السلام من أجل إظهار رسالة الله رب العالمين وتوحيده وكسر جبروت الظلم، والطغيان، وإنقاذ البشرية من ظلمات الشرك، والعبودية فأسند الله هذا الأمر لأولي البأس والعزم والقوة الذي تمثل في شخص موسى عليه السلام فهو من الرسل أولي العزم والقوة والبأس الشديد فكانت صناعته على عين الله عز وجل، وإعداده بعناية ربانية تلاءم هذا الإعداد بكسر حاجز الخوف تجربة بعد تجربة، حتى يكون موسى عليه السلام مهيأً لاستقبال الفزع والرعب في تصديه لطغيان فرعون وملأه.

المطلب السادس: محنة قوم قارون.

لقد امتحن قوم موسى عليه السلام بظلم الطغاة والاستعلاء عليهم، فكان فرعون النموذج الأول والآن نعرض نموذجاً آخر لهذا الظلم والاستعلاء والاستكبار، فقد امتحن الله قوم موسى بمحنة البغي عليهم من قبل قارون، ولم يذكر القرآن الكريم فيم كان البغي تحديداً ليدعه مجهولاً يشمل صوراً شتى كما ورد في كتب التفسير، فربما بغى عليهم بظلمه لهم بغصب أرضهم وأشيائهم كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان، وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال وهو حق الفقراء في مال الأغنياء، كي لا يكون هذا المال دولة بين الأغنياء وحدهم ومن حولهم محتاجين إلى شيء منه؛ فتفسد قلوبهم وتفسد الحياة.

وبكل الأحوال في الأسباب التي بغى عليهم كانت هذه المحنة التي ابتلي بها قوم قارون ممحصة لهم فمنهم لم تأخذه زينة الحياة الدنيا وكان مدركاً أن ما عند الله خيرٌ وأبقى، ومنهم من غرّته هذه الزينة وتمنى لو أعطي مثلما أعطي قارون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾ {القصص:٧٦}، وقال تعالى: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ** ﴾{القصص:٧٩-٨٠}، لقد كان قارون من قوم موسى

عليه السلام وهو ابن عم موسى عليه السلام، فيُدعى قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وعلى هذا أكثر أهل العلم.

وقارون ممن آمنوا بموسى عليه السلام وكان من أقرأ الناس للتوراة، فكان يدعى المنوّر لحسن صوته في التوراة[1] وجمال شخصه، وكان قارون عند موسى عليه السلام من العبّاد المؤمنين فلحقه الزهو والإعجاب بنفسه؛ فبغي على قومه، ونافق كما نافق السامري؛ فكفر بموسى عليه السلام واستخف به وطالب موسى عليه السلام بأن يجعل له شيئاً من المكانة والنفوذ والمشاركة في شئون السلطة على الناس وتجاوز الحد في بغيه حتى أنه حاول التشهير بموسى عليه السلام بامرأة مومس فاجرة ذات جمال تدّعي أمام الملأ من بني إسرائيل أن موسى عليه السلام يتعرض لها في نفسها ويكافؤها على ذلك وتستنجد به؛ فلما وقفت بين الملأ أحدث الله بها توبة وفضحت قارون في محاولاته تلك[2].

وقد قيل أنه بغى على قومه فأطال ثيابه شبراً استكباراً واستعلاءً عليهم، وبغى عليهم أيضاً بأن الله سبحانه وتعالى آتاه كنوزاً كثيرة من الأموال، ومن كثرة عدد مفاتيح الكنوز والخزائن لتثقل على العصبة عند حملها فتميل كما يميل البعير عند حمل الأثقال وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾ {القصص:٧٦}، فكان كل مفتاح على خزانة والمفتاح في حجم الأصبع ويصنع من الجلود، فإذا ركب حُمّلت المفاتيح على ستين بغلاً أغر محجلين، وقيل: أربعين بغلاً؛ فتجاوز بهذه الثروة الكبر والتجبر عليهم[3].

مما سبق نستدل أن بغي قارون كان على قومه في أمور شتى قد تكون بالشرك والكبر والمال والعلم، مما دفع قومه بالمبادرة إلى نصحه وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ {القصص:٧٧}.

لم يتوان قوم قارون في تقديم النصح له بعدم البطر والتبهرج والكبر والإسراف والفرح بنعيم الدنيا المُنْسي للآخرة، فهذه النعم يجب شكر الله عليها ويجب التصرف في هذه الأموال وفق المنهج الرباني

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١١٤، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٥٩، و(تفسير الشعراوي)، للشعراوي، ج١/ص١١٠٢١

(٢) انظر: (معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٥٥، ٣٥٦، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ص١٩٣٧، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٣٧٢.

(٣) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١١٥-١١٨، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٥٦.

والسعي إلى مرضاة الله من خلالها بالإنفاق في سبيل الله للفوز بالآخرة معللين قولهم بأن الله ﷻ لا يحب البغاة والعصاة الناكرين لنعم الله عليهم والناسين للآخرة فيجب العمل بهذه الأموال للآخرة به خلال الإحسان إلى خلق الله فدعوه للوسطية في هذا الأمر بأن يعمل لآخرته، ويستخدم هذه الأموال في طاعة الله، ولا ينسي حظه منها بادخار أجره على إنفاقها في سبيل الله في الآخرة بما أنعم الله عليه دنيا وآخرة، وإن لم يتبع هذا المنهج القويم في استعماله لهذا المال سيكون من المفسدين في الأرض الذين لا يحبهم الله ﷻ ويبوء عند ذلك بغضب من الله ﷻ ويستحق العذاب بذلك[1] وكما عهدنا منهج تفكير ومنطق هؤلاء المتجبرين البغاة في الصبر والاستكبار والبغي والتطاول والإعراض والتعالي عن العظة والإصرار على الفساد والاغترار بالمال والبطر يقعد النفس عن الشكر، فقال قارون أنه اكتسبها بفضل علمه في طرق كسب المال وأن الله علم عنه ذلك فاستحق هذا المال وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ**﴾ {القصص:٧٨}، وبهذا جحد قارون نعمة الله عليه ونسبها إلى علمه فكان من المجرمين الذين استحقوا عقاب الله وسخطه، ولم يكتف قارون بذلك فخرج بزينته على قومه في ثياب حمر وصفر في موكب من الفرسان والجواري المزينات، فأُبهر بهذه الزينة حتى تمنى بعضهم أن يؤتوا مالاً كما أُوتي قارون، فقد استهوت فريقاً منهم هذه الزينة، وتمنوا أن لو كان لهم حظٌ مثل قارون فلم يكن مقياسهم طاعة الله وإرضائه على حين يستيقظ الإيمان في قلوب بعضهم الآخر، فيغترون بالإيمان ويفضلونه على فتنة المال وزينة قارون مقرين أن ما عند الله من الثواب والجزاء خيرٌ من كل ذنب ولا يفوز إلا من صبر عن زينة الحياة الدنيا وأطاع الله ﷻ[2] وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ**﴾{القصص:٧٩-٨٠}.

تلك المحنة امتحن فيها قوم قارون فمنهم من غرّته هذه الزينة ولم يعبأ برضا الله أو بسخطه فكان ميزانهم الوحيد هو امتلاك الثروة كما امتلك قارون ومنهم من استمسك بدينه وإيمانه ولم تغره أو تستهويه هذه الفتنة وهذه الأموال ولكن الله ﷻ لن يمد هؤلاء البغاة في بغيهم حتى لا يفسدوا في الأرض، فبادرهم بعذابه وسخطه لما استحقوا بجحودهم لنعم الله عليهم، وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ**﴾ {القصص:٨١}[3]

(١) انظر: (المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٣٣٥-٣٣٨، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ص١٩٣٧-١٩٣٨، و(تفسير الشعراوي)، للشعراوي، ج١/ص١١٠٢٠.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١٢٤، ١٢٥، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٥٨، و(في ظلال القرآن)، لسيد قطب، ج٢٠/ص٣٧٦-٣٧٧.

(٣) انظر: (جامع البيان) للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١٢٥، (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٣/ص٣٨٧، (التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ص١٩٣٩.

فلقد حادوا عن المنهج القويم في التصرف في نعم الله، وغفلوا أن هذا المال ابتلاءٌ من الله لهم فإما أن يكون مهلكهم، أو يستحقوا به رضا الله ﷻ لما أنفقوا منه في صلاح الدنيا والآخرة فيستحقوا حسد الناس لهم وذلك في قول حبيبنا المصطفى ﷺ: **[لا حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ]**.(١)

فلم يكن الحسد في امتلاك الأموال بل في كيفية التصرف فيها، وإنفاقها حسب المنهج الرباني الذي أوجبه الله ﷻ على خلقه فمن حاد عن هذا المنهج كان هذا المال سبب هلاكه وخسرانه في الدنيا والآخرة وقد كان قارون من هؤلاء الناس، فأهلك بماله فخسف الله به الأرض وبأهل داره.

لقــد كان قارون وأمثاله عبرة لكل من تمنى أن يكون مكانه، وكان موعظة لمن عاش بعده فسنن الله باقية في خلقه، ولا أحد بمأمن من عذابه، فكل ما أوتي للإنسان من نعم ما هي إلا زيــنة الدنيا ومـــا عند الله خير وأبقى، والكيّس من لم تنسه دنياه الآخرة فعمل لها كما يعمل لدنياه وزيادة.

المطلب السابع: محنة تكذيب النبي ﷺ من قبل المشركين.

إن عناد الكفار يحملهم على شتى أنواع الكفر، والضلال، والتكذيب، وظهر ذلك جلياً في مشركي مكة حين جاءهم الحق من ربهم الذي لا مرية فيه مؤيداً لصدق رسول الله ﷺ، فقد كان يتلو عليهم رسول الله ﷺ من أنباء الغيب وكأنه شاهد عيان رحمة بقومه أن يصيبهم العذاب بما هم فيه من جاهلية الشرك والمعصية موضحاً مآل الأمم السابقة التي أنكرت الإيمان بالله وما آلت إليه من سخط الله وغضبه عليها، كذلك أيضاً موضحاً من خلال ما يتلى من وحي الله ﷻ المنهج والعقيدة السليمة لأهل الإيمان وكل ذلك كي يقطع الله ﷻ على المشركين حجتهم في عدم الإيمان من إنكارهم للحق الذي بلّغهم به رسول الله ﷺ وقد تمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آَيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من نفسه أو غيره فعمل بها، حديث ٨١٥، ص٣٨٧.

سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾{القصص:٤٤-٤٧}، فإذا جاء الرسل مؤيدين بالحجة الدالة على صدقهم لم يعد أمام الناس إلا الإيمان بالله ﷻ وبما جاء من عند الله ﷻ.

ولكن واقع الأمر مع مشركي مكة كان أمامهم طريقان:

أولهما: الإخلاص للحق والخلو من الهوى وعندئذ لابد من الإيمان والتسليم.

ثانيهما: وهو اتباع الهوى، وما نشب عن ذلك من التكذيب والشقاق والعناد، وهنا لا يكون الخلل في الحجة أو نقص في الدليل كما يزعمون، فقد أُيّد رسول الله ﷺ بمعجزة القرآن الكريم الدالة على صدقه، وهم أعلم الناس بالحق الذي جاء به فهم أهل الفصاحة والبلاغة ولهم المقدرة على التمييز إن كان حقاً أو غير ذلك[١].

ويستدل على إقرارهم بمعرفته أنه الحق بما دار بين زعماء قريش من اتفاق حول الكلمة التي اتفقوا أن يقولوها للعرب الحجيج في ذلك الموسم حين أبرم زعماء قريش مجلساً بهذا الشأن، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة يتداولون تلك الكلمة، فقال لهم الوليد: أجمعوا فيه رأيا واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً قالوا: فأنت فقل وأقم لنا رأياً نقول به، قال: بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا: نقول: كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزَمزَمة[٢] الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه ما هو بخَنْقِه ولا تَخَالُجِه ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رَجَزَه[٣] وهَزَجَه[٤] وقريضَه[٥] ومَقبوضَه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عَقْدهم، قالوا: فما نقول؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٣٥٥

(٢) الزمزمة : هي صوت خفي لا يكاد يفهم، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ج٢، ص: ١٨٦٦.

(٣) الرجز، شعر ابتداء أجزائه سببان ثم وتر، وهو وزن يسهل في السمع ويقع في النفس وقد اختلف فيه فزعم قوم أنه ليس بشعر وأن مجازه مجاز السجع وهو عند الخليل شعر صحيح، انظر: لسان العرب لابن منظور، ج٢، ص١٥٨٨.

(٤) هزجه: بفتحتين، الهزج ضرب من الأغاني وفي ترنم وبابها طرب. انظر: مختار الصحاح، للرازي، ج ١، ص: ٧٠٥.

(٥) قريضه: الشعر وهو الاسم كالقصيد. انظر: لسان العرب، ج٤، ص: ٣٥٩٠.

وإن عليه لطلاوة[1] وإن أصله لعَذق[2] وإن فَرْعَه لجناة[3] وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل[4].

فهذا إقرار من زعمائهم أنه الحق، فلم يكن كفرهم وتكذيبهم للحق إلا عناداً واتباعاً للهوى فلم يذعنوا للحق واستمسكوا بالنغلات[5] الباطلة التي تملكت عقولهم وقلوبهم وأعمت بصيرتهم من اتباع الحق فأودت بهم إلى سخط الله ﷻ عليهم في الدنيا والآخرة.

فها هو عم رسول الله أبو طالب الذي كان الحصن الحصين للدعوة الذي قال فيه رسول الله ﷺ: **[ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب]**[6]، فلم يكن كذلك إلا لمعرفته أنه أنه الحق ورغم ذلك يتوفى على الشرك بسبب هذه النعرات الباطلة التي تملكت عليه في احتضاره ونستدل من ذلك بما روي عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَاللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي طَالِبٍ: **[يَا عَمِّ قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَا وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: [مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ...]** {التوبة:١١٣}][7].

وأنزل الله في أبي طالب قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ {القصص:٥٦}، وعن أبي هريرة أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ: **[قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ لَوْلاَ أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ**

---

(٦) طلاوة: بضم الطاء وفتحها، الحسن، انظر: مختار الصحاح، للرازي، ج١، ص: ٤٠٣.

(٧) العذق: النخلة. لسان العرب، لابن منظور، ج٣/ص٢٨٦١، مختار الصحاح، للرازي، ج١/ص٤٢١.

(٨) الجناة: كل ما يُجنى فكل ثمر اشتير جني، ويقال للعسل إذا اشتير: جني، وكذلك للذهب والعسل. انظر: (لسان العرب)، لابن منظور، ج١/ص٧٠٧، ٧٠٨، مختار الصحاح، للرازي، ج١/ص١١٤.

(٩) انظر: (سيرة ابن هشام)، لابن هشام، ج١/ص٥٧١، و(الرحيق المختوم)، للمباركفوري، ص٨٥، ٨٦.

(١) الأنساب الفاسدة ومنه قوله: فلان نَغِل إذا كان فاسد النسب، ونغل قلبه على أي ضغن ويقال نغلت نياتهم: أي فسدت، انظر: (مختار الصحاح)، للرازي، ج١/ص٦٧٠، وانظر: (لسان العرب)، لابن منظور، ج٥/ص٤٤٩٠.

(٢) سيرة ابن هشام، ج١/ص٣٠٢، الكامل، لابن الأثير، ج٢/ص٩٠-٩١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة القصص، ص١٩٣٠، حديث ٤٧٧٢.

اللَهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ... ﴾ {القصص:٥٦}][1]، وعن العباس بن عبد المطلب أنه قال: [**يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ قَالَ نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ لَوْلا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ**][2]، فرسول الله ﷺ أحب عمَّه أبا طالب حباً شديداً وتمنى موته على الإسلام ولكن الله ﷻ علم أن أبا طالب أحبه بعصبية القرابة وحباً لأبيه لا حباً للعقيدة فلم يقدر له الهداية وجعل الله الهداية بإرادته ﷻ وما على الرسول إلى البلاغ في شيء فلا عذر للكفر مهما حسن العمل.

وتتمادى قريش في عنادها لرسول الله ﷺ ويطلبون من رسول الله أن يأتي بمعجزات مادية كما أوتي موسى عليه السلام من نزول التوراة جملة واحدة ومعجزة العصا ويد موسى عليه السلام وشق البحر وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ**﴾{القصص:٤٨}، فيحاججهم الله ﷻ فيقول: ﴿ ...**أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ...** ﴾ وذلك أن خبر محمد ﷺ وصفته جاء في التوراة فاستفتى مشركي مكة نفر من أهل الكتاب فيما جاءهم به فأفتوهم بما يفيد أنه الحق، فطابق القرآن التوراة في خبر نبينا محمد ﷺ ونبأ موسى عليه السلام فادعوا لأجل هذا التطابق أنهما سحران، وقالوا كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ...**قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ**﴾ {القصص:٤٨}، أي أن موسى عليه السلام ومحمد ﷺ تعاونا على السحر فهما ساحران، وما جاؤوا به سحر أي القرآن والتوراة على قولهم فكذبوا بمحمد ﷺ وموسى عليه السلام، وبما جاؤوا به[3].

ويقول الشيخ الشعراوي في رد جميل: "أما الذين قالوا عن محمد ﷺ أنه ساحر فالرد عليهم بسيط، فلماذا لم يسحركم أنتم أيضاً كما سحر المؤمنين"[4].

كذلك أيضاً كان في الجزيرة العربية يهود، وكان معهم التوراة فلم يؤمن العرب بما بين أيديهم من التوراة، ولم يصدقوا بما فيها[1]، فهو إذن المراء واللجاجة لا طلب الحق ولا نقصان في البراهين.

---

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع، ص٤٠، حديث ٢٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب كنية المشرك، ص١١٩٥، حديث ٦٢٠٨.

(١) انظر: (المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٣٠٧، ٣٠٨، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ص١٩٢٤، ١٩٢٥.

(٢) تفسير الشعراوي، ج١/ص١٠٩٤٩.

إن محنة تكذيب النبي ﷺ كانت من أجل المحن على نفسه فلم يتوقع رسول الله ﷺ منهم هذا العناد والصد والتكذيب، فتحداهم الله في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ {القصص:٤٩}، ومفاد الآية الكريمة أن يطلب منهم رسول الله ﷺ أن يأتوا بكتاب من عند الله يكون أهدى من القرآن والتوراة، فيتبعه رسول الله ﷺ إن كانوا صادقين في قولهم والله ﷻ يعلم أنهم لا يستجيبون لهذا الطلب لفسادهم لهم وتفكيرهم ولكن كي يلزمهم الحجة ويحاجهم بها، فما هم إلا متبعين لأهوائهم، ولا أحد أضل ممن اتبع هواه، فحادوا عن طريق الحق بعنادهم وتكذيبهم وكفرهم، فلم يهتدوا إلى الحق وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ {القصص:٥٠}، ويعرض الله ﷻ في كتابه العزيز حجة أخرى احتجت بها قريش واتخذت منها ذرعاً ومبرراً لعدم الإيمان بما جاء به حبيبنا المصطفى ﷺ فيقول الله ﷻ: ﴿ **وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ {القصص:٥٧}، قالت قريش: إن نتبع الحق الذي جئتنا به ونتبرأ من الأنداد والإلهة يتخطفنا الناس من أرضنا بإجماعهم علينا وحربهم لنا بما خالفناهم به من تركنا لعبادة الأوثان(٢).

فيرد الله عليهم بحجة تبطل حججهم بقوله تعالى: ﴿ ...**أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ فيبرز الله ﷻ نعمه على المشركين حتى لا يكون لهم أي عذرٍ أمامه ذاكراً لهم في كتابه العزيز ما حباهم من نعمة الأمن والأمان حيث حرّم على الناس سفك الدماء في حرمهم؛ فلا يغزون ولا يخافون ورزقهم فيه فتجبى إليه الثمرات من كل بلد وبذلك مكّن لهم فيه، ومع ذلك يكفرون بمن حباهم هذه النعم ويشركون ولا يشكرونه(٣).

فأي عناد وجحود يكفرون بمن له الفضل والمنة عليهم، ويتبعون أهواءهم بعبادة الأوثان التي لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً يكفرون بالله ويكذبون نبيه، ويُعرضون عما جاء به من عند ربه ولكن الله ﷻ يوم يبعث الناس سيُشهد عليهم الرسل، فكل نبي سيكون شاهداً على أمته يقيم الله ﷻ عليهم الحجة بإرساله لهم الرسالة التي تضمنت المنهج القويم، والعقيدة السليمة المتجردة عن الأهواء طالباً منهم أن يأتوا بحججهم لعدم إيمانهم به، ثم ينالوا من الله ﷻ العذاب الأليم جزاءً لكفرهم وعنادهم وضلالهم عن سواء السبيل، قال تعالى: ﴿ **وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا**

---

(٣) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢٠/ص٣٥٦.

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١٠٢.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١٠٣، (المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٣٢٨،

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الحَقَّ للهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ {القصص:٧٥}[1]، لقد كانت قريش تتفانى في خلق الحجج والمبررات حتى تجد لنفسها ذريعة لعنادها وكفرها وتكذيبها لرسول الله ﷺ، وتجهل أن الله ﷻ له مآل كل شيء، وسيحاسبون على ما اقترفوا من ذنب في حق ربهم ورسوله، فاستحقوا بذلك سخط الله عليهم.

---

(٣) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١١٣.

الفصـــل الثـــالـــث

المـــنهـــج القـــرآني في التـــصـــدي للطـــغيان

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المنهج القرآني في التصدي للطغيان في ضـــوء سورة يوسف.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حفظ اللـــه ليوســـف عليه السلام مـــن قـــتل إخـــوته لـــه.

المطلب الثاني: صـــرف الله الكـــيد عن يوسف عليه السلام في بـــيت العـــزيز.

المطلب الثالث: كـــيد اللـــه ليوسف عليه السلام من إخوته ومـــعاقبتهم على أفـــعالهم.

المبحث الثاني:المنهج القرآني في التصدي للطغيان في ضوء سورة القصص.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: العناية الإلهية بموسى عليه السلام في طفولته وحفظ الله له من فرعون.

المطلب الثاني: تمكين الله لموسى عليه السلام في بلاد مدين وتزوجه من إحدى بنات شعيب عليه السلام.

المطلب الثالث: هـــلاك فـــرعون وقومه وقـــارون وخـــزائنه.

المبحث الأول

المنهـــج القـــرآني فـــي التصـــدي للطغـــيان في ضوء سورة يوســـف

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حـــفظ اللـــه ليوســـف عليه السلام مـــن قـــتل إخـــوته لـــه.

المطلب الثاني: صـــرف اللـــه الكـــيد عن يوســـف عليه السلام في بـــيت العـــزيز.

المطلب الثالث: كـــيد اللـــه ليوسف عليه السلام من إخوته ومـــعاقبتهم على أفـــعالهم.

المبحث الأول

المنهج القــرآني فـــي التصدي للطغــيان فـــي ضــوء ســورة يوسف

المطلب الأول: حــفظ اللـــه ليوســف عليه السلام مـــن قــتل إخــوته لـــه.

وقد تجلت آيات الله في حفظه لأوليائه في الأرض، وفي هذا الموطن تم حفظ الله سبحانه وتعالى ليوسف عليه السلام من قتل إخوته له بأربعة أمور مجتمعة كل منها يتمم الآخر.

الأمر الأول: أجمع أخوة يوسف عليه السلام على التخلص من يوسف عليه السلام وقد اختلفوا في الرأي فصرف الله تفكيرهم لعدة آراء ثم اعتمادهم أحسن الآراء في مصلحة يوسف عليه السلام وذلك عندما أشاروا بالقتل، أو تغريبه في الأرض ضياعه أرشد الله من يدلي برأي ثالث فيقول تعالى على لسانه: ﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ {يوسف:١٠}.

وهو بإلقائه في الجب فوجههم الله إلى أحسن الآراء وأخفها على سيدنا يوسف عليه السلام وذلك أن إلقاءه في الجب كان بمأمن ليوسف من الهلاك، وبذلك صرف عنه القتل وقد هيأ الله له من ينقذه من الجب ويسر له من يشتريه حتى تكون هذه بداية المنعة والتمكين ليوسف عليه السلام في الأرض[١].

الأمر الثاني: فهو بتثبيت يوسف عليه السلام بالإيحاء إليه في الجب والبشرى له أنه لن يمكث في الجب طويلاً، وسيحصل على الخلاص، وسيرفعه الله عليهم ويكون في يومٍ ما سلطاناً عليهم ويتولى أمورهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾{يوسف:١٥}.

---

(١) انظر: (الكشاف)، للزمخشري، ج٢/ص٣٠٥، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص٩٥، و(مدارك التنزيل)، للنسفي، ج٢/ص٣٠٧.

وهذا فيه تأنيس، وتسكين لنفسه، وإزالة الهم والغم والوحشة عن نفسه التي لو سيطرت مشاعر القهر والوحدة والوحشة على نفسه لقتلها، وهذا من لطف الله ﷻ ورحمته لأوليائه[(١)].

وكان للإمام الرازي مسائل في ذلك يلتمس منها بعض الحكمة من إخفاء يوسف عنهم عندما ينبئهم بصنيعهم (وهذا من باب أيضاً حفظ يوسف من القتل).

"المسألة الأولى: المراد أن الله تعالى أوحى إلى يوسف إنك لتخبرنّ إخوتك بصنيعهم بعد هذا اليوم، وهم لا يشعرون في ذلك الوقت إنك يوسف، والمقصود تقوية قلبه بأنه سيحصل له الخلاص من هذه المحنة ويصبح مستولياً عليهم ويصيرون تحت قهره وقدرته وهذا فيه تسكين لنفس يوسف عليه السلام والتسلية عن قلبه في هذا الظرف.

المسألة الثانية: أن المراد من وحي الله إلى يوسف عليه السلام في البئر بأنه سينبئ إخوته بهذه الأعمال، وهم ما كانوا يشعرون بنزول الوحي عليه، والفائدة في إخفاء نزول ذلك الوحي عنهم أنهم لو عرفوه فربما ازداد حسدهم فكانوا يقصدون قتله.

المسألة الثالثة: إذا حملنا قوله: ﴿ **وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾{يوسف:١٥} على التفسير الأول، كان هذا أمراً من الله تعالى نحو يوسف في أن يستر نفسه عن أبيه وأن لا يخبره بأحوال نفسه، فلهذا السبب كتم أخبار نفسه عن أبيه طول تلك المدة، مع علمه بوجود أبيه خوفاً من مخالفة أمر الله تعالى، وصبر على تجرع تلك المرارة، فكان الله ﷻ قد قضى على يعقوب عليه السلام أن يوصل إليه تلك الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليكثر رجوعه إلى الله تعالى، وينقطع تعلق فكره عن الدنيا فيصل إلى درجة عالية في العبودية لا يمكن الوصول إليها إلا بتحمل المحن الشديدة"[(٢)].

الأمر الثالث: فهو توجيه يوسف عليه السلام إلى الدعاء والتضرع إلى الله خلال هذه المحنة فكان سبيلاً من سبل النجاة وذلك ما روي أنه كان يدعو في الجب فيقول يا شاهداً غير غائب ويا قريباً غير بعيد ويا غالباً غير مغلوب اجعل لي في أمري فرجاً ومخرجاً فقد قيل إن جبريل عليه السلام من علّمه هذا الدعاء ليكون وسيلة بالمقربة إلى الله والتماس الخلاص والنجاة من المحنة.

كذلك أيضا ما روي في أن جبريل عليه السلام ألبسه قميصاً من حرير الجنة يحفظ جسمه به[(٣)].

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٢، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص٩٩، ١٠٠، و(القصص القرآني)، للكبيسي، ص٧٢، و(قصص الأنبياء)، لابن كثير، ص١٧٩.

(٢) التفسير الكبير، للرازي، ج١٨/ص١٠٠، (بتصرف).

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص٩٥.

الأمر الرابع: إرسال السيّارة ليخرجوه من البئر، ثم يقيض الله ﷻ له عزيز مصر كي يشتريه وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ {يوسف:١٩}.

فقد روي أن يوسف عليه السلام مكث في الجب ثلاثة أيام، ورواية أخرى لما ألقاه إخوته جلسوا حول البئر يومهم ذلك ينظرون ماذا يصنع به فساق الله له سيّارة فنزلوا قريباً من تلك البئر وأرسلوا واردهم وهو الذي يتطلب لهم الماء؛ فلما جاء ذلك الوارد وأدلى دلوه تشبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجه واستبشر كما قال الله تعالى: ﴿ ...**قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ...** ﴾ {يوسف:١٩} عندما رأى حسنه وجماله فقد تلفظ بالبشرى من شدة السرور والفرح، ثمّ أخفوا أمره عن الناس ليبيعوه في أرض مصر كالبضاعة، وقد أسرّ الواردون إلى البئر عن بقيّة السيّارة وقالوا: اشتريناه وتبضعناه من أصحاب الماء مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره.

ورواية أخرى يعود فيها الضمير في قوله تعالى: ﴿ ...**وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً...** ﴾ {يوسف:١٩} على إخوة يوسف فهم أسروا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم، وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته فاختار البيع وكان ذلك لنفاذ قدر الله في نجاة يوسف عليه السلام من قتل إخوته[1].

فكل تلك الأمور مجتمعةً ساهمت في نجاة يوسف عليه السلام من القتل والهلاك وكان ذلك بتدبير الله ﷻ وبمشيئة قدرته.

المطلب الثاني: صرف الله الكيد عن يوسف عليه السلام في بيت العزيز.

يقول الله ﷻ: ﴿ ...**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾{يوسف:٢٤}.

نبدأ مستأنسين بآيات الله ﷻ وما تُجلي من الهم والكدر عن النفس وتُرخي أستار الصبر على القلب وتُشعر بالاطمئنان، والاستئناس بوعد الله ﷻ فتكفل الله ﷻ بصرف السوء عن عباده المخلصين فيه بشرى بالنصر، فلن يهنوا ولن يحزنوا وسيكونون هم الأعلون كما وعد الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ...** ﴾ {آل عمران:١٣٩}.

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٧/ج١٢/ص١٩٤، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٣، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج٩/ص١٠١، و(التفسير الكبير)، للرازي، ج١٨/ص١٠٥، و(صفوة التفاسير)، للصابوني، ج٢/ص٦٢٠.

وأمام هذا النموذج من صرف البلاء عن نبي من أنبياء الله وقع في شراك امرأة العزيز وفتنتها حيث راودته عن نفسه فتحرزت بكل الاحتياطات التي تمكنها مما تريد من يوسف عليه السلام، ولكن إرادة الله ومعيته لا تتخلى عن عباده المخلصين؛ فصرف هذا البلاء والكيد بأكثر من أمر:

الأمر الأول: بتعليمه الحكم والعلم وتربيته على الخوف من الله، وتجلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ {يوسف:٢٢} وهذا إخبار عن اصطفاء يوسف عليه السلام للنبوة، وقد ذكر ذلك بمبدأ حلوله بمصر وذلك طريقٌ إلى تمكينه[1].

بهذا امتلك يوسف العلم والحكم الذي يستطيع أن يميز به بين الحق والباطل، فمن مشاعر الإيمان والتقوى والإخلاص إلى الله عز وجل، ومخافته مهما عرضت عليه العروض، فتبقى الخشية والحياء من الله عز وجل هو أسمى ما يتسم به الإنسان فتلك التربية الربانية آتت أكلها في مثل هذه المحنة فلم تستجب فطرته وطبيعته النفسية مع جريمة مثل جريمة الزنا ولا مع الغدر لأوفى الناس له.

بل لم يكن إلا تذكيره إياها بالله عز وجل، والاستغاثة به، وتذكيرها بعقابه وسخطه على من يفعل مثل هذه الجريمة النكراء وذلك في قوله تعالى: ﴿ **...مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ {يوسف:٢٣}.

أما الأمر الثاني: فكان في رؤية برهان ربه وفيه أقوال في ماهية هذا البرهان وهذا الأمر فيه تلطفٌ رائع من الله عز وجل لعباده المخلصين حيث إنه يروى أن يوسف عليه السلام رأى كتاباً في حائط البيت يكتب فيه كما ذكر في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ {الإسراء:٣٢}.

وقيل إنه رأى ثلاث آيات من كتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ**﴾{الانفطار:١٠}، وقوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ...** ﴾ {الرعد:٣٣}، وزاد آية رابعة: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا...** ﴾ {الإسراء:٣٢}.

وروي أنه رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يعض على أصابعه، فدفع في صدره، فخرجت شهوته من أنامله، وروي أنه يحتمل أن يكون صورة الملك، وجائز أن يكون ما رآه مكتوباً من الزجر عن ذلك، والصواب أن يقال إنه رأى من آيات الله تزجره عما كان همَّ به، وفي كل حال هو برهان سواء كان حجة نظرية قبّحت له هذا الفعل أو وحياً إلهياً أو حفظاً إلهياً أو مُشاهدات تمثّلت له ليصرف الله

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٧/ج١١/ص٢١١، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٦، و(التفسير المحيط)، لابن حيان، ج٥/ص٢٩٣، و(التحرير والتنوير)، لابن عاشور، ج٢/ص٢٤٨.

عنه هذه الفاحشة فهو من المجتبين المتطهرين المصطفين الأخيار وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿...**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ**﴾{يوسف:٢٤}(١).

أما الأمر الثالث: فبراءته من هذه الجريمة، ومعرفة العزيز بمكر زوجته ليوسف عليه السلام وكان ذلك من خلال الشاهد الذي شهد ببراءته فيقول عز وجل: ﴿ ...**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا...** ﴾.

فقد أمر الشاهد بالنظر إلى القميص إذ كان قد قدّ من الدبر فهي كاذبة وهو صادق، وإن كان قدّ من أمامه فهي صادقة وهو كاذب، وتجلى هنا دليل البراءة ليوسف لأن القميص قد قدّ من الدبر يقول تعالى: ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ۞ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾ {يوسف:٢٦-٢٨}.

فأمر العزيز امرأته بكتم هذا الحديث، وأمرها بالاستغفار إلى ربها، معلناً أنها هي التي راودته وهي التي تسببت في هذا الذنب فيقول تعالى على لسانه: ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخَاطِئِينَ**﴾ {يوسف:٢٩}(٢).

أما الأمر الرابع: في صرف هذه المحنة فكان لجوئه إلى السجن هروباً من ملاحقتهن له ولصرف كيدهن عنه حيث يقول سبحانه: ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ**﴾ {يوسف:٣٣}.

فقد أظهر الله عز وجل لهم أن المصلحة فيما رواه أنهم يسجنوه إلى حين أي إلى مدة وقد ذكر المفسرون ثلاثة مبررات لسجنه:

المبرر الأول: سجنوه لما شاع الحديث إيهاماً أنه راودها عن نفسها وأنهم سجنوه على ذلك وتعليل ذلك عندما طلبه الملك امتنع من الخروج حتى تتبين براءته مما نسب إليه من الخيانة مستدلين بقوله تعالى: ﴿ **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ للهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ {يوسف:٥١}.

المبرر الثاني: سجنوه لئلا يشيع ما كان منها في حقه ويبرئ عرضه ويفشى أمرها.

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج٧/ج١٢/ص٢٢٢، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٧، و(التحرير والتنوير)، لابن عاشور، ج١٢/ص٢٥٤.

(٢) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٥٦، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٣/ص١٦٢.

المبرر الثالث: عندما عرفوا براءته، واستيقنوا منها وظهرت الأدلة على صدقه وعفته ونزاهته فسجنوه حفاظا على نفسه.

أما الأمر الخامس: فبظهور براءته أمام الملك، واعتراف زوجة العزيز والنسوة ببراءته وذلك بناءً على طلب يوسف عليه السلام يقول تعالى: ﴿ **وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾ {يوسف:٥٠}.

فما كان من هؤلاء النسوة إلا أن قلن عندما سألهن الملك عن يوسف عليه السلام هل راودتن يوسف عن نفسه إلا أن يجبن بحاشا لله أن يكون يوسف متهماً والله ما علمنا عليه من سوء فعند ذلك قالت امرأة العزيز: ﴿ **...الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ...** ﴾ {يوسف:٥١} أي ظهر واعترفت بمراودتها له عن نفسه واعترفت بصدقه كما ذكر في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ للهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ {يوسف:٥١}.

وقد نسب قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ** ﴾{يوسف:٥٢} إلى امرأة العزيز على قول المفسرين وذلك نفياً عن وقوع الفاحشة، أما قول آخرين من المفسرين أنه نسب إلى يوسف عليه السلام فهو لتمام البراءة باعترافه أنه لم يخن سيّده أبداً ولم تقع هذه الفاحشة(١).

بهذا انتهت هذه المحنة وصرفها الله سبحانه وتعالى عن نبيّه فأذهب جميع أدلة الاتهام عنه واعترفوا بصدقه وبراءته أمام الجميع فقصة يوسف عليه السلام في هذه التجربة لم تكن غريبة عن الطبيعة البشرية ولا محلقة في جو ملائكي محض إنما جاءت علاجاً لواقع البشر فالعلاج لا يمكن أن يتم إلا بذكر جانب الضعف والخطأ على طبيعته ثم يذكر الجانب الآخر وهو الواقع المتسامي متمثلاً في الرسل المؤمنين والذي تؤول إليه القصّة بعد الصبر والمكابدة والجهاد والمرابطة حتى ينتهي المطاف لعلاج النقص والضعف والتردي في مهاوي الشرك أو حماة الرذيلة علاجا ينهض بالهمم ويدفع بالنفس للسمو ما استطاعت إلى أعلى القمم حيث تنتهي القصة بانتصار الدعوة الإلهية المتمثلة في شخص المؤمنين الذين استجابوا لنداء ربهم فزكّوا أنفسهم وترفّعوا عن الرذيلة من أجل الله سبحانه وتعالى حتى كانوا قدوةً وعبرة لأولي الألباب فجزاهم الله عنا خير الجزاء وصلى اللهم عليهم جميعاً.

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٢/ص٤٦٢، و(المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج٣/ص٢٦٢، و(أحكام القرآن)، لأبي بكر الرازي، ج٣/ص٢٥٤، ٢٥٥.

المطلب الثالث: كيد الله ليوسف عليه السلام من إخوته ومعاقبتهم على أفعالهم.

لقد نجحت خطة يوسف عليه السلام في استدراج مجيء إخوته مرة تلو الأخرى وفق تعاليم الله تعالى وإرادته فجعل الأسباب وقدرها ودبر الأمور؛ ليتم ليوسف عليه السلام ما أعد له من تفريج كربه، وهمه، والإحسان إليه بما صبر وأطاع الله في قوله وعمله، والآن جاءت ثمرة هذا الصبر وحان أكلها، برفع يوسف عليه السلام وتمكينه في الحكم حيث يقول الله تعالى ﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾{يوسف:٥٦} ثم معاقبة من تسبب في إيذائه خاصة إخوته فقد أساؤوا إلى يوسف عليه السلام بجهلهم وتفريطهم وتآمرهم السابق على أخيهم إلا أن الله تعالى خير حافظ لعباده وأوليائه الصالحين.

فقد تم كيد الله ليوسف عليه السلام من إخوته ضمن خطة محكمة ووفق منهج متقن أعد له الله تعالى منذ خروج يوسف من السجن، ثم التمكين، وجعله على خزائن مصر، وهذا ما أتاح ليوسف عليه السلام إمكانية النيل منهم بسلطانه، واستدراجهم في القدوم إلى مصر مرة تلو مرة، لمعاقبتهم على أفعالهم، ثم يكون الإعداد لانتهاء مرحلة الحزن والأسى لفراق والده، وجمع شمله على أسرته، وكل ذلك بتدبر من الله تعالى ليعلي درجته، ويرفع شأنه.

حلت سنوات القحط والجدب بأرض مصر، وما حولها من البلاد بهول لم يعهد الناس مثله، ولكن يوسف عليه السلام دبر في جمع الطعام بأحسن التدبر، وبنى الحصون والبيوت الكثيرة لتخزين الطعام لسنين القحط والجدب، وبدأت الوفود تتوافد إلى مصر لشراء القمح ولم يجد إخوة يوسف عليه السلام بداً إلا التوجه لأرض مصر لشراء القمح والقوت منها، فلقد أصاب القحط بلادهم ونزل بهم ما نزل بالناس، فتوجهوا إلى مصر لشراء القمح والطعام لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمنه.

وقد جاء إخوة يوسف وكانوا عشرة، وتم لقاء يوسف عليه السلام بهم عندما دخلوا عليه وهو في مكانته ومنزلته العالية، فعرفهم بأول ما نظر إليهم، وقيل عرّفوه بأنفسهم فعرفهم.

ولكن إخوة يوسف لم يعرفوه وهذا ما ذكر في قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**﴾ {يوسف:٥٨} وقيل إنهم لم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك وعلى رأسه تاج الملك ويرتدي زي ملوك مصر، وقيل: لمفارقتهم له وهو صغير،

والملامح في حال الصغر تتغير كثيراً مع النمو والكبر، ولأنهم قدّروا هلاكه ولم يفكروا لحظة أن يوسف سيكون في هذه المنزلة[(١)].

وقد دار الحديث بين يوسف وإخوته حيث سألهم عن سبب مجيئهم وسألهم عن بلادهم وأهلهم وأبيهم وجميع أولاده، فأخبروه بأنهم اثنا عشر ولداً هلك أصغرهم في البرية، وبقي شقيقه عند أبيه ليتسلى به، ويعينه على أحوال المعيشة، فأمر يوسف بإنزالهم منزلاً كريماً وبإكرامهم كرماً عظيماً، وأوفى لهم الكيل فقد قيل حمّلهم من القمح عشرة أحمال وزادهم حملين لأبيهم وأخيهم وطلب منهم أن يأتوا بأخيهم بنيامين وإلا سيمنع عنهم الكيل ولن يدخلهم بلاده فوعدوه بالاجتهاد في إحضاره ومراودة أبيهم على ذلك وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ۞ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ**﴾{يوسف:٥٩-٦١}، وقد أمر يوسف عليه السلام فتيانه أن يجعلوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم في أوعيتهم ترغيباً منه في رجوعهم إليه وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ {يوسف:٦٢} بالإضافة إلى ما ذكّرهم به من إيفائه للكيل، والإحسان إليهم في ضيافته لهم وإكرامه لهم ذاكراً فضله بأنه خير المضيفين[(٢)].

كل هذه الأمور مجتمعة كانت بمثابة الترغيب والترهيب من يوسف عليه السلام لإخوته حتى يجتهدوا في تحقيق ما طلب منهم بإحضار أخيهم بنيامين إليه لإبقائه عنده ليقر عين يوسف عليه السلام برؤية أخيه، وليجمع الله بينه وبين أبيه فيما بعد، ويتم الله ما أراده ليوسف بمعاقبة إخوته على ما فعلوه به.

عندما فتح إخوة يوسف عليه السلام متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم، وهذا ما دفع إخوة يوسف بالإلحاح على أبيهم لأخذ بنيامين وشراء الميرة مرة أخرى من مصر، فلم يفسروا هذا الفعل إلا دليلاً على كرم يوسف عليه السلام معهم، وإحسانه لهم، فما كان من الأب يعقوب عليه السلام إلا أن وافق على طلبهم بعد أخذ المواثيق عليهم بحفظه والمحافظة عليه مهما بلغ الأمر إلا أن يحاط بهم، ويعجزوا من تخليصه، ثم توكل يعقوب عليه السلام على الله بعد أخذه بالأسباب، وأوكل أمره في أولاده لله رب العالمين وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۞ وَقَالَ**

---

(١) انظر: (معالم التنزيل)، للبغوي، ج٣/ص١٧٤، ١٧٥، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٢/ص١١١٨، و(قصص القرآن الكريم)، لفضل عباس، ص٤٣٣.

(٢) انظر: (فتح القدير)، للشوكاني، ج٣/ص٥٤.

يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ﴾ {يوسف:٦٦-٦٧}(١).

جاء إخوة يوسف إلى مصر مرة ثانية مصطحبين معهم أخاهم بنيامين، وبذلك نجح يوسف عليه السلام باستدراج إخوته بالقدوم إلى مصر مرة ثانية ومعهم شقيقه بنيامين بتوفيق، وتدبير من الله تعالى، ولما دخلوا على يوسف قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، فأكرمهم وأحسن ضيافتهم، وانفرد بأخيهم بنيامين وعرّفه على نفسه وطمأنه عما سيكون بشأنه من الحفظ والرعاية والإكرام والإحسان له مؤكداً عليه بعدم إعلامهم بشيء مما حدث بينهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**{يوسف:٦٩} فلما جهز يوسف إخوته بجهازهم، وأوفى كليهم، وحمل لهم بعيراً بعيراً ولبنيامين بعيراً باسمه أمر يوسف بسقاية الملك فجعلت في رحل بنيامين وللمفسرين في ذلك قولان: الأول: أن السقاية جعلت في رحل بنيامين دون علمه ولم يشعر بذلك.

أما القول الثاني: لما قال له يوسف ﴿ **...إِنِّي أَنَا أَخُوكَ...** ﴾ {يوسف:٦٩} قال بنيامين أنا لا أفارقك فاعلمه يوسف بما سيفعل في رحله لاستبقائه عنده.

لقد كان استبقاء بنيامين حدثاً مؤلماً بالنسبة لإخوة يوسف وأبيهم، حيث كان ذلاً وهواناً وعقاباً لإخوته الذين أخذوا على أنفسهم المواثيق بإعادته معهم وحفظه، والآن كيف سيواجهون أباهم بما حدث وقد أضناه الحزن والأسى على فراق يوسف والآن فراق بنيامين كيف سيتحمل ألم فراقه، كذلك أيضاً كان الحدث مؤلماً ليوسف عليه السلام بما تسبب في ذلك لأبيه من آلام وأحزان، ولكن لأمر لا يعلمه إلا الله كتم يوسف عليه السلام ما حدث في شأن أخيه فهذا أمر دبره الله وجعل له المسببات، فما كان من يوسف إلا الطاعة والانقياد لما أمره الله به تعالى.

وقد كان يوسف ينظر إليهم وينظر إلى ما أحل بحالهم من ذل وانكسار، فهم الذين شرعوا في قتله وأوجعوه ضرباً حتى كادوا أن يقتلوه، ورموه في البئر وباعوه بثمن بخس دون شفقه ولا رحمة، ثم اتهموه بالسرقة، والآن هم يتوسلونه ويسترحمونه فلا يملكون ما يطعمهم ويطعم أهلهم من الميرة، وأخوهم مسترق لديه فما كان من يوسف عليه السلام إلا أن رقّ لحالهم وواجههم بذنوبهم كي يشعروا باستقباح ما فعلوه تجاه أخويهم وما تسببوا به من قطيعة الأرحام والقربى وعقوق أبيهم وبذلك تعرّفوا على يوسف عليه السلام فلا أحد يعرف تفاصيل جريمتهم إلا يوسف عليه السلام عندئذ تعرفوا عليه فعرّفهم على نفسه مُقراً بفضل الله عليه وعلى أخيه مؤكداً أن هذا جزاء من صبر واتقى وأحسن العمل عند الله.

---

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٥/ج١٣/ص٢٨، ٢٩.

وبهذا الخلق والصفح الجميل ضرب يوسف عليه السلام المثل الأعلى في صفحه وإحسانه لإخوته، وقد أتمّ الله له هذا الأمر كي يتمكن من لقاء أبيه وتتحقق رؤياه في سجود أبويه وإخوته له، وتم جمع شمل هذه العائلة بعد فراق دام طويلاً وبذلك نجح يوسف عليه السلام في الابتلاء بالنعمة كما نجح من قبل في الابتلاء في الشدة فمكّن الله له في الأرض وأبدله من الخوف في الجب أمناً ومن الإهانة في السجن بعز وملك على الأرض وقد اقتدى به نبينا محمد ﷺ في يوم فتح مكة فقال في الخطبة أمام قريش وهو في البيت الحرام بعد ما منّ الله عليه بالفتح فقال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعلٌ بكم، قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء[1].

ها هم الأنبياء ما أجلّ أخلاقهم وأحسنها، وما أقدرهم على الصفح الجميل وكظم الغيظ والعفو عند المقدرة والإحسان إلى الناس اللهم صل عليهم جميعاً وارزقنا نهجهم وأرفقنا بهم.

---

(١) انظر: (سيرة ابن هشام)، لابن هشام، ج٤/ص٣١٩، و(زاد المعاد)، لابن القيم، ج٣/ص٤٠٠، و(الرحيق المختوم)، للمباركفوري، ص٣٤٨.

المبحث الثاني

المنهج القرآني في التصدي للطغيان في ضوء سورة القــصص

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العناية الإلهية بموسى عليه السلام في طفولته وحفظ الله له من فرعون.

المطلب الثاني: تمكين الله لموسى عليه السلام في بلاد مدين وتزوجه من إحدى بنات شـــعيب عليه السلام.

المطلب الثالث: هلاك فرعون وأتباعه وقارون وخزائنه.

المبحث الثاني

المنهج القرآني في التصدي للطغيان في ضوء سورة القصص

المطلب الأول: العناية الإلهية بموسى عليه السلام في طفولته وحفظ الله له من فــرعون.

إن الله تعالى كتب على نفسه العدل، وأبى الظلم لعباده، ومن مظاهر هذا العدل أنه تعالى يهيئ لعباده المظلومين المقهورين من يقودهم إلى الهداية والدفاع عن أنفسهم عندما يتعالى الظلم عليهم، فهو الخالق والقادر على كل شيء وعلى نصرة عباده المستضعفين مهما بلغوا من الضعف، فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى فبقدرته الإلهية القوية العادلة ينصر الحق ويحفظ أهله ويضع الموازين الحقيقية للفصل بين قوى الطغيان وقوى الإيمان ويقر القوى الحقيقية على هذه الأرض وهي قوة الإيمان، ولنا في قصة موسى عليه السلام المثل الأعلى، فقد حفظته العناية الإلهية وهو في بطن أمه إلى أن كبر، واشتد عوده، ونصره بالقوة التي تفتك بالطغاة المتجبرين الذين عاثوا في الأرض فساداً أو تجبراً واستكباراً وقد تمثلت هذه العناية في عدة نقاط:-

١- حفظه من القتل عند ولادته:

ابتكر فرعون طريقة خبيثة للقضاء على الخطر الذي يتوقعه من مولد من يزيل ملكه من بني إسرائيل وتمثلت في قتل ذكور بني إسرائيل وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ {القصص:٤} لما أكثر فرعون القتل في بني إسرائيل خافت القبط أن يفنى بنو إسرائيل فيكون ما كان يلونه من الأعمال الشاقة يكلّفوا به من بعدهم، فقالوا لفرعون إنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم وغلمانهم بالقتل، ونساؤهم لا يمكن أن يقمن بما يقوم به رجالهم من الأعمال فيخلص إلينا ذلك، فأمر بقتل الولدان عاماً، وتركهم عاماً، فولد هارون عليه السلام في السنة التي يترك فيها الولدان، وولد موسى في السنة التي يقتل فيها الولدان، ولكي يسيطر فرعون على جميع الذكور الذين يولدون في هذا العام أوكل هذه المهمة لقوابل من الأقباط يدورون على النساء فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط، فإن ولدت جارية تركنها وذهبن، وإن ولدت غلاماً يدخل الذباحون من جنود

فرعون ويقتلون الغلام بأيديهم التي لا تعرف الرحمة، ولكن بمشيئة الله ﷻ وحفظه لم يعلم أحد من القوابل بحمل أم موسى طوال فترة حملها[١].

ونستدل ببعض الروايات على ذلك حيث يقول وهب بن منبه: "لما حملت أم موسى بموسى فكتمت أمرها عن جميع الناس، فلم يطلع على حملها، وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمنَّ على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي يولد فيها بعث فرعون القوابل يفتشن النساء تفتيشاً لم يفتش من قبل ذلك مثله، وحملت أم موسى فلم ينتأ بطنها ولم يتغير ولم يظهر لبنها، فكانت القوابل لا تتعرض لها، فلما كانت الليلة التي وُلِد فيها ولدت ولا رقيب عليها، ولا قابلة ولم يطّلع عليها أحد إلا أخته مريم، فأوحى الله إليها أن أرضعيه"[٢].

وفي رواية: "عندما أوكل فرعون القوابل بحبالي بني إسرائيل، فعندما جاءت إحداهما إلى أم موسى لكي تقوم بتوليدها أوقع الله حب موسى في قلبها وقالت: ما جئت إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكني بصرت لابنك حباً ما وجدت مثله قط فاحفظيه، وقد تمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي...** ﴾ {طه:٣٩} وهذا فيه دليل على محبة موسى عليه السلام من خلق الله وبهذه المحبة حماه الله من الهلاك ويسر أمره، وقيل إن هذه القابلة كانت مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فقالت: قد نزل بي ما نزل فلينفعني اليوم حبك فعالجت قبالتها[٣].

وتبرز العناية الإلهية أيضاً في: قصة النجار الذي قصدته أم موسى ليصنع لها التابوت حين نمّ إلى فرعون وجنده فبعث معه من يأخذه فطمس الله على عينيه وقلبه، فلم تُعرف الطريق الموصلة إلى أم موسى عليه السلام[٤].

تلك بعض الروايات التي ذكرت في هذا الأمر في كتب التفسير وكل هذه الروايات لا تتعارض مع النتيجة التي آل إليها أمر موسى عليه السلام وهي العناية الإلهية لحفظه منذ اللحظات الأولى من ولادته ليتم الله وعده بنصرته لعباده المؤمنين المستضعفين وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾ {القصص:٥-٦}.

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٣/ص٣٦٦.

(٢) معالم التنزيل، للبغوي، ج٤/ص٣٢٧.

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ج١٣/ص١٦٦، ١٦٧، و(الكشاف)، للزمخشري، ج٢٤/ص٢٢٧، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٢٧.

(٤) انظر: (معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٢٧.

٢- عدم افتضاح أمر أم موسى وابنها وذلك أن الله ربط على قلب أم موسى وثبتها وألهمها الصبر والسلوان فلم يكشف أمرها ولا أمر وليدها وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ {القصص:١٠}(١).

٣. العناية الإلهية لموسى عليه السلام وهو في اليم وذلك أن الله عز وجل أوحى إلى أم موسى أن تلقيه في اليم إن خافت عليه من خطر فرعون ووعدها بأنه سيرده إليها ويجعله من المرسلين إلى من تخاف عليه منهم وهو فرعون وأتباعه وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ {القصص:٧}، يقول ابن كثير: "وذلك أنه كانت دار أم موسى على حافة النيل فاتخذت تابوتا ومهدت فيه مهداً، وجعلت ترضع ولدها فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته في ذلك التابوت، وسيّرته في البحر، وربطته بحبل عندها، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعته في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت إن تربطه فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجواري فاحتملنه فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه، فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه(٢).

بهذا الأمر حفظ الله عز وجل موسى عليه السلام من الغرق والضياع، وتمّ بمشيئة الله عز وجل التقاط آل فرعون للتابوت كي يُربى موسى عليه السلام في بيت فرعون وهو آمن، ويكون عدواً وحزناً له وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** ﴾ {القصص:٨}، كذلك يُروى أن الله عز وجل رزقه طعاماً تمثل في إبهامه فقد كان يرتضع من إبهامه لبناً وذلك للحفاظ على حياته داخل التابوت وبذلك تم حفظ الله لموسى داخل التابوت وخارجه إلى أن التقطه فرعون"(٣).

٤. العناية الإلهية له بعد خروجه من اليم ووقوعه في يد فرعون – شاء الله أن يلتقط آل فرعون التابوت في صبيحة اليوم التالي، فعندما فتحوا التابوت رأوا فيه طفلاً صغيراً، فإذا هو غلام من أحسن الخلق يخرج من عينيه نور، ثم يهيئ الله امرأة فرعون لتكتمل مشيئة الله في حفظ موسى عليه السلام حيث إن الله قذف محبة موسى عليه السلام في قلبها فانشرح صدرها

---

(١) انظر: (المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٦٨-٢٦٩، (التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ص١٩٥٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٣/ص٣٦٧-٣٦٨.

(٣) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٣٤، ٣٥، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٣/ص٣٦٧.

له حينما نظرت إليه فطلبت من زوجها أن يبقيه ولا يقتله حتى يكون قرة عين لهما فوافق فرعون على طلبها وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ {القصص:٩} وقد ذكرت إحدى الروايات عن ابن عباس عن النبي ﷺ حينما قرأ الآية قال: **[والذي يُحلفُ به لو قال فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله كما هدى به امرأته ولكن الله حرم ذلك]**[(١)].

فقد حمى الله موسى عليه السلام من القتل بإلقاء محبته في قلب زوجة فرعون وهذا من أعظم ما قدره الله لحفظ موسى عليه السلام، فيربى في بيت فرعون ويكون هلاك فرعون ومن اتبعه على يديه ما أعظم قدرة الله ومشيئته التي لا تتحداها أي قدرة.

كذلك أيضاً من ضمن العناية الإلهية أيضاً طمس الله تعالى لقلب فرعون وإعماء بصيرته رغم ما أخبرهم به أعوانه من أن هذا الطفل لبني إسرائيل، وإنه متوقع أن يكون هو المولود الذي سيهدم ملكه إلا أن إرادة الله ومشيئته في حفظه تتم رغم كل شيء

ويعلق الإمام الشعراوي على هذا فيقول: "إن هذا دليلاً على بطلان ألوهيته حيث إنه بعد أن أمر بقتل الأولاد يأتيه تابوت في البحر به طفل رضيع فلا يخطر بباله أن أهلَّه القوة في البحر لينجو من فرعون فكيف فاتته هذه المسألة وهو إله لم يعرفها بألوهيته ولا عرفها حتى بذكائه وفطنته[(٢)].

٥. تيسير الله السبل لموسى عليه السلام بقدرته الإلهية كي يتربى في حجر أمه، ويرتضع من لبنها دون خوف أو هم، فلا أحد يستطيع أن يحتضن ويحنو على الابن أكثر من أمه، وبذلك تجلَّت أعلى درجات العناية الإلهية لموسى أنه ردّه إلى والدته كي ترضعه وتحتضنه وهو وليد، فهذه الفترة من أكثر الفترات التي يكون فيها الوليد محتاجاً للرعاية والاهتمام من الأم، فبعد أن عُرِض على موسى المراضع لم يقبل لأي مرضعة وكان ذلك الامتناع بإرادة الله ﷻ وذلك في قوله: ﴿ **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**﴾ {القصص:١٢}.

كي تستكمل مشيئة الله في إرضاعه من لبن أمه، فحينما طلبت الأم من أخته أن تقتفي أثره فوجدته عند آل فرعون فقالت لهم: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم فكانت هي الدليل

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٣٨، وصححه الحاكم.

(٢) تفسير الشعراوي، للشعراوي، ج١/ص٦٨٢٠-٦٨٢٢

بأمر الله ﷻ على إيجاد المرضعة التي ترضع موسى عليه السلام وهي أمها وقد رزق الله أخت موسى الفطنة في الرد عليهم عندما شكوا في أمرها مبررة عرض هذه الخدمة، حيث كان دليلاً على صدقها أن هل لأمك ابن قالت نعم: هارون، وكان هارون قد ولد في سنة لا يقتل فيها الأطفال فصدقوها ثم أتت بأمها فما أن أدخلوها عليه حتى أعطته ثديها فالتقمه بسرعة فاستغرب فرعون من ذلك وبذلك رجعت الأم بولدها إلى بيتها راضية وبذلك تم وعد الله وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ {القصص:١٣}(١).

٦. تربية ونشأة موسى في بيت فرعون وتوفير سبل الحياة التي ستُعدُّه إلى المرحلة المقبلة من إعداده لتحمل رسالة ربه والدفاع عنها وعن المستضعفين، فقد كان موسى عليه السلام بمقام الابن لفرعون حتى أنه كان يدعى بابن فرعون، وعيشه في القصر قد ترتب عليه عدة أمور كانت في مصلحة موسى عليه السلام ومن هذه الأمور:-

- توفير كل سبل الحياة اللازمة لإعداده طيلة هذه الفترة العمرية.
- مكن له وتم حفظه من متابعة فرعون وجنوده مما أتاح له العيش بطمأنينة إلى أن يبلغ أشده وهذا تمام العناية الإلهية لحفظ موسى وفي هذه الرحلة من حياته(٢).
- حمل الرسالة السماوية ونشر دين الله على الأرض ونصرة المستضعفين والدفاع عنهم من بني إسرائيل فالله خير حفيظ وهذه سنة الله في الأرض لحفظه لأوليائه مهما علت قوة الطغيان واستحكمت إلى أن يهيئ أسباب الانتصار، فإذا أرد الله أمراً إنما يقول له كن فيكون.

---

(١) انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٣/ص٣٦٨، و(أنوار التنزيل)، للبيضاوي، ج٤/ص٢٨٥.

(٢) انظر(المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٧٣.

المطلب الثاني: تمكين الله لموسى عليه السلام في بلاد مدين وتزوجه من إحدى بنات شعيب عليه السلام.

كانت البشرى والفرج القريب في مقدم إحدى الامرأتين إلى موسى عليه السلام ويصور القرآن الكريم المظهر الذي قدمت به هذه الامرأة فيقول الله تعالى: ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ {القصص:٢٥} فجاءت المرأة إلى موسى عليه السلام تمشي في استحياء مستترة تضع كمّ درعها على وجهها مبلّغة عن أبيها دعوته لموسى عليه السلام كي يأخذ أجر ما سقى لهما.

فقد قيل أن شعيباً عليه السلام عجب من مجيء ابنتيه سريعاً بالغنم فسألهما الخبر والسبب فقصّت عليه ما فعل موسى عليه السلام من أجلهما فبعث إحداهما لتدعوه إليه كي يأخذ أجر ما سقى لهما.

فلبى دعوته فكان يمشي خلف هذه المرأة فرأى الريح تصف ردفها فاستحيا موسى عليه السلام وكره ذلك فطلب منها أن تمشي خلفه وتدله على الطريق إن أخطأ ففعلت ذلك وفهمت أن موسى عليه السلام رجل أمين وعفيف وحيي(١).

فلما دخل موسى عليه السلام على أبيها شعيب عليه السلام على أرجح الروايات إذا بالعشاء مهيأ فطلب شعيب عليه السلام من موسى بتناول الطعام وقصَّ موسى عليه السلام قصته لشعيب عليه السلام فطمأنه وأعلمه بنجاته من فرعون وملئه، ﴿ **...فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ {القصص:٢٥}، ولما فرغ كلامهما قالت الابنة التي دعته يا أبت استأجره لرعاية الغنم والإشراف على إصلاحها وصلاحها، ووصفته بالأمانة، والقوة وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ**﴾ {القصص:٢٦}، فسألها أبوها وما علمك بقوته وأمانته؟ فقالت: أما قوته فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة رجال وقيل أربعون، فرفعه وحده، فقد ذكر عدة روايات في كيفية سقيا موسى عليه السلام لغنم الامرأتين فقد قيل أن موسى عليه السلام أتى إلى البئر فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما موسى دلواً فأروتا غنمهما فرجعا سريعاً.

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٦٩، و(المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٨٩، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٣٨.

وقيل أخذ موسى عليه السلام يغرف في الدلو ماءً كثيراً حتى كانتا أول الرعاء رياً فانصرفتا إلى أبيهما بغنمهما.

وقيل زاحم القوم على الماء حتى أخرهم عنه ثم سقى لهما(١).

وأما أمانته فإنه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك فغض البصر عني فعند ذلك قال شعيب لموسى عليهما السلام أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين وذلك في قوله تعالى: **﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** {القصص:٢٧}، فقيل أنه زوّجه ابنته الصغرى التي دعته على أرجح الروايات، وأن اسمها صفورة، على أن يكون موسى عليه السلام أجيراً لشعيب ثمان سنين، بمعنى أن إجارة موسى عليه السلام ثواب زواجه من إحدى بناته، وإن أتمّ عشر سنين ذلك تفضلٌ من موسى عليه السلام وليس مُلزماً بإتمامها فوافق موسى عليه السلام داعياً الله أن يكون حسن الصحبة والوفاء لما التزم به(٢).

وكما كان لقاء موسى عليه السلام بشعيب عليه السلام فيه الخير الكثير لموسى أيضاً كان فيه الخير الكثير لشعيب عليه السلام وابنتيه فقد خفف موسى عليه السلام عبء المسئولية عن كاهل شعيب عليه السلام بقيام موسى عليه السلام بواجبات ابنتيه وتزوجه إحداهما ورعاية غنمه لمدة ثمان حجج أو عشر حجج.

ولا شك أن في رعي الغنم له فائدة في صقل شخصية الراعي وتعويده على الصبر، فلقد كان من سمت الأنبياء رعي الأغنام، ليقودهم بعد ذلك لقيادة الأمم، فقد أثر رعي الغنم في شخصية موسى عليه السلام، فقد اكتسب الصبر والحفظ والاهتمام والأمانة والنشاط والتفكر فيما خلق الله في الطبيعة؛ ليؤهله الله سبحانه وتعالى فيما سيتولى من تحمل الأمانة وأداء الرسالة.

فقد روي عن عبد الله ابن مسعود قال: **[إِنَّ أَفْرَسَ النَّاسِ ثَلاثَةٌ: الْعَزِيزُ حِينَ تَفَرَّسَ فِي يُوسُفَ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، وَالْمَرْأَةُ الَّتِي رَأَتْ مُوسَى عليه السلام، فَقَالَتْ لأَبِيهَا: يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ، وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]**(٣) وبذلك وفق شعيب عليه السلام بالأخذ برأي ابنته بإجارة موسى عليه السلام، وهذا فيه استدلال بأن من الدين الأخذ بمشورة

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٦٤.

(٢) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٦٩، و(المحرر الوجيز)، لابن عطية، ج١١/ص٢٨٩-٢٩٠.

(٣) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة يوسف، ج٢/ص٣٧٦، حديث ٣٣٢٠، وهذا صحيح على شرط البخاري ومسلم، وصححه الذهبي.

المرأة إن أصابت الرأي، فقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشورة أم سلمة في صلح الحديبية، وهذا بخلاف الذين لا يرون خيرا في مشورة المرأة .

فقد وفق الله ﷻ هذه الابنة بهذا الاختيار الصحيح المناسب فقد رأت هذه الابنة السمات التي يجب أن تراها كل فتاة وتضعها نصب عينيها عند اختيارها الزوج المناسب أو من يقوم على رعاية مصالحها فاختارته لما اتسم بصفات حميدة صفة الأمانة والعفة والحياء والقوة لم يختاره لماله أو جاهه أو سلطانه، فهذه السمات التي اتصف بها موسى عليه السلام هي الأساس الذي بنت عليه هذه الابنة صلاح حياتها ومعاشها مع هذا الزوج وإني أرى أن مقومات الحياة الزوجية لكل فتاة مسلمة تريد أن تنعم بهناء العيش في دنياها لا تقوم إلا بتوفر هذه السمات في زوجها، فكل امرأة تتمنى أن تنعم بالأمن والثقة والاستقرار مع من ملّكته نفسها وسيكون رباً لبيتها فبهذا الاختيار تحفظ البيوت من التردي والهلاك وتقام نواة المجتمع قياماً صحيحاً يحفظ للأمة هيبتها وقوتها وكرامتها.

وبذلك مكّن الله لموسى عليه السلام في مدين بالزوجة الصالحة، والبلدة الآمنة، والحرفة التي يسترزق منها وينفق على نفسه وعوّضه بالأهل الذين وجد بينهم الاطمئنان والأنس والأمان بعد التشرد والجوع والفقر والخوف ليعده الله ﷻ لمرحلة تكليفه بالدعوة واستعداده لمجابهة فرعون ومن معه.

المطلب الثالث: هـــلاك فـــرعون وأتـــباعه وقـــارون وخـــزائنه.

جرت سنة الله في خلقه الظالمين بأخذهم بعذاب منه وسخط في الدنيا والآخرة ولم يمهلهم الله ﷻ إلى الآخرة بل باغتهم في الدنيا بعذابهم كي يكونوا عبرة وموعظة للناس، فالله ﷻ يمهلهم إلى أجل مسمى حتى إذا أخذهم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

فقد روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **[إِنَّ اللَّهَ عز وجل يُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** {هود:١٠٢}][1].

وقد عُرض في القرآن الكريم كثير من نماذج تجسد فيها الظلم والطغيان سواء كانت هذه النماذج لأشخاص مثل فرعون وقارون أو لأقوام كاملة مثل قوم لوط عليه السلام، وقوم صالح عليه السلام، وقوم هود عليه السلام وقوم نوح عليه السلام، فتلك القرى خُسِفَت بالأقوام الضالين عليهما[2].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص١١٣٥، حديث ٢٥٨٣.

(٢) انظر: (التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ص١٩٢٠.

فسنة الله في خلقه أنه يملي لهم ويبعث فيهم الأنبياء كي لا يكون لهم حجة في ذلك فإذا أصروا على الظلم والطغيان أهلكهم بذنوبهم وقد تمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** ﴾ {القصص:٥٩}.

أولاً: هلاك فرعون وأتباعه:

كما علمنا ما جاء عن ظلم فرعون وأتباعه واستبداده وطغيانه لبني إسرائيل وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ {القصص:٤} فقد تمادى فرعون في طغيانه وفساده وظلمه حتى بعث الله إليه موسى عليه السلام نبياً يدعوه إلى عبادة الله عز وجل وقد تمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ** ﴾ {القصص:٣٦} ولكن فرعون كعادته في الاستعلاء، والاستكبار، والتكذيب، والكبرياء قد تجسد في شخصه منطق هؤلاء المتغطرسين فاتهم موسى عليه السلام بالسحر وكذب بما جاء به وتعالى فرعون على عبادة الله عز وجل ورفض الإقرار لله عز وجل بألوهيته وادعاها لنفسه لقال عز وجل على لسانه: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ {القصص:٣٨}، فلم يكن من ملأه إلا أن تلقى هذه الكلمة الفاجرة الكافرة بالإقرار والتسليم لفرعون إلا أن فرعون مع هذا يتظاهر بالشك ويريد أن يبحث عن الحقيقة وينقب عليها ليصل إليها، ولذلك كانت حلقة المباراة مع السحرة"[(١)].

فلما تبين لفرعون الحق أصر على استكباره، واستعلائه، وتجاهل لقاء الله له يوم القيامة وعذابه، وقال بسخرية واستهزاء أوقد لي يا هامان على الطين أي يطبخ له الآجر ويبني به صرحاً فيرتقي فوقه معللاً أنه يريد أن يذهب إلى السماء وينظر إلى إله موسى الذي يعبده وتجلى ذلك في قول الله عز وجل على لسانه: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ {القصص:٣٨}.

(١) انظر: (في ظلال القرآن)، لسيد قطب، مج٦/ج٢/ص٣٤٩، ٣٥٠.

فعندما ارتقى فرعون فوق الصرح أمر بنشابه فرمى بها إلى السماء، فردت وهي متلطخة دماً فقال: قد قتلت إله موسى فتعالى الله عما يقولون [1].

فقد استكبر فرعون وجنوده بغير الحق واتبعوا أهواءهم، فضلُّوا ثم ادعى فرعون الألوهية لنفسه ظاناً أنه لن يرجع إلى الله ﷻ يوماً ما وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ**﴾ {القصص:٣٩}.

فاستحق بهذا الكبر، والاستعلاء، والشرك، والافتراء على الله، وعلى خلقه وادعاؤه الألوهية عذاباً وسخطاً من الله ﷻ؛ فجمع الله فرعون وجنوده من القبط فأطبق عليهم البحر فأغرقهم جميعاً في صبيحة يوم واحد[2].

وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**﴾ {القصص:٤٠}، وقد نجى الله بدن فرعون حتى يكون عبرة لمن لم يعتبر إلى يوم الدين وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آَيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**﴾ {يونس:٩٢} وما زالت جثة فرعون محفوظة في المتحف القومي بمصر إلى هذا العصر دون أن تبلى، تلك سنن الله في الذين خلوا من قبل يهلكهم الله بظلمهم كي يكونوا عبرة للناس وموعظة في الدنيا والآخرة واستحقوا بذلك لعنة الأنبياء والمؤمنين عليهم كذلك استحقوا الخزي في أقوالهم وأفعالهم حتى طردوا من رحمة الله ﷻ وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ۝ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ هُمْ مِنَ المَقْبُوحِينَ**﴾ {القصص:٤١-٤٢}.

إن الله ﷻ يورث أرضه لعباده المؤمنين فمهما علا الطغيان والاستبداد فإن فرج الله قريب وهو ناصر المستضعفين.

ثانياً: هلاك قارون وأتباعه وخزائنه.

لم يستمع قارون لنصيحة المؤمنين من قومه وتعالى في تكبره وطغيانه وغروره وعجبه بنفسه حتى أصبح فتنة في الأرض حيث خرج في زينته يستعرض نفسه، وثراءه على قومه إلى أن تمنى بعض القوم أن يكونوا مثله ويدعون الله أن يأتيهم كما أوتي قارون، فقد عاث قارون في الأرض فساداً واستكباراً ولم يبال بنصح قومه وكذلك لم يبال من تحذيرهم إياه من سخط الله عليه، فصدّ عن هذا النصح وأفرط في زينته واستعراضه لماله وملكه تكبراً وغروراً وجحوداً لنعمة الله عليه ولكن الله ﷻ يمهل للظالمين حتى يمتدوا في طغيانهم ليستحقوا بذلك الطغيان عذاب الله وسخطه ثم تجري عليهم سنن الله كما جرت على من قبلهم من القرون.

---

(١) انظر: (جامع البيان) للطبري، مج١١/ج٢٠/ص٨٦، و(معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٤٥.

(٢) انظر: (التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ص١٩٢٠.

لقد كان قارون من هؤلاء الطغاة الذين نفذ فيهم أمر الله، وعذابه لتجاوزه في بغيه وظلمه لقومه وفي ذات يوم خرج عليهم كعادته بزينته المبهرة مستعرضاً حاله من مالٍ وسلطان وثيابٍ وخزائن فتزيّن بأفخر الثياب والحُلي فخسف الله به، وبأهل داره الذين كانوا معه من جلسائه الذين كانوا مثل الذي عليه قارون من النفاق والمؤازرة على أذى موسى عليه السلام وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ**﴾ {القصص:٨١}[1].

فما أغنى عن قارون ماله ولا جمعه، ولا خدمه، ولا حشمه ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه، فلم تنفعه نفسه ولم ينفعه غيره وقد ذكر أن هلاك قارون كان بدعوة من موسى عليه السلام وقد اختلف في سببها فقد قيل أنه قد رمى موسى بالزنا فجزع موسى من ذلك فدعا موسى عليه السلام ربه أن يغضب له ويجعل الله له الأرض طواعاً، فأوحى الله إليه أني قد فعلت فقال موسى عليه السلام يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أقدامهم، ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم إلى مناكبهم ثم قال أقبلي بكنوزهم وأموالهم قال: فأقبلت بها حتى نظروا إليها ثم أشار موسى بيده ثم قال: اذهبوا لبني لاوي[2].

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: [**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**][3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خُسف بهم الأرض السابعة فاستوت بهم الأرض"[4].

ومن شدة الخسف والعذاب أصبح الذين تمنوا بالأمس أن يكون لهم من الأموال ما لقارون يحمدوا الله على نجاتهم من هذا الابتلاء لأنهم لو كانوا مثل قارون لخسف بهم، وبذلك أقروا بحقيقة فضل الله عز وجل عليهم، وحمدوا الله على إيمانهم بالله عز وجل، وأقروا بأن الله عز وجل يبسط رزقه لمن يشاء وأنه لا يفلح إلا من آمن بالله وعمل صالحاً ووضع اليوم الآخر أمام نصب عينيه وصبر على ما آتاه الله إن قُدر عليه رزقه وينفق مما آتاه الله إذا وسع في رزقه وتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ**﴾{القصص:٨٢}[5].

عندما نصح المؤمنون قارون بعدم تجبره وتكبره فقال: إنما أوتيته عن علم عندي فجاءه التهديد قبل تمام الآية رداً على مقولته الفاجرة المغرورة وقد تمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ**

---

(١) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١٢٥، و(تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، ج٣/ص٣٨٧، و(التفسير الوسيط)، للزحيلي، ج٣/ ص٢٩٣٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٣/ص٣٨٧، معالم التنزيل، للبغوي، ج٤/ص٣٦١.
(٣) صحيح مسلم، باب بينما رجل يتبختر قد أعجبته نفسه خسف به، ص٢٠٨٨، حديث ٤٩.
(٤) جامع البيان، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١٢٦، ١٢٧.
(٥) انظر: (جامع البيان)، للطبري، مج١١/ج٢٠/ص١٢٩، ١٣٠.

إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ {القصص:٧٨}.

فإن كان ذا قوة وذا مال، فقد أهلك الله من قبله أجيالاً كانت أشد منه قوة، وأكثر منه مالاً وكان عليه أن يعلم ذلك حتى يكون له عبرة، ولكن حدث ما هو عكس ذلك فقد علم قارون سنة الله في أرضه وعلم هلاك القرون الأولى كما جاء في التوراة من أنبائهم فهو ادعى العلم ولم يعلم به كما أمر الله، ولم ينتصح، ولم يخف من سخط الله، وظل مصراً على كبره وجبروته حتى جعله الله عبرة للناس[١].

إننا نرى فجراً مشرقاً في ظل هذه السنن لمن ظلم وتجبر على هذه الأرض، وها نحن نرى بأعيننا إسقاط الحكومات الظالمة الفاسدة مع سوء خاتمتهم فسنن الله باقية، ولا دوام للظلم على هذه الأرض.

---

(١) انظر: (معالم التنزيل)، للبغوي، ج٤/ص٣٥٦، ٣٥٧.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم النبوات والرسالات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

أحمد الله تعالى أن هداني إلى الكتابة في موضوع من موضوعات كتابه ويسّر لي جمع معلوماته والوصول إلى نهايته وخاتمته فله الحمد في الأولى والآخرة وله الشكر من قبل ومن بعد.

فهذا بحث قيّم يتحدث عن المحن والابتلاءات في ضوء سورتي يوسف والقصص له علاقة وطيدة بالواقع المعاش توصلت الباحثة من خلاله إلى نتائج وتوصيات.

أولاً: نتائج البحث:

١- إن العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحنة علاقة ترادف وتفصيل وأن العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للابتلاء هي علاقة اتفاق وترادف وتفصيل أيضاً.

٢- سورة يوسف ليس لها إلا اسم واحد وهو يوسف.

٣- أجمع العلماء على أن عدد آيات سورة يوسف مائة وإحدى عشرة آية ولم تجد الباحثة قولاً مخالفاً لذلك.

٤- سورة يوسف سورة مكيّة كلها وهذا هو القول الراجح.

٥- يدور محور سورة يوسف حول نموذج رائع من نماذج الإعجاز القصصي في القرآن الكريم والذي يدلل ويؤكد أن هذا القرآن من عند الله.

٦- من أهم مقاصد وأهداف سورة يوسف التسرية عن قلب رسول الله ﷺ وتهوين أمر المكذبين على نفسه وتوصيل رسالة إلى المشركين المعاندين تحمل في طياتها التذكير والنذير.

٧- لاحظت الباحثة المناسبة الواضحة الجلية بين سورة يوسف وما قبلها وما بعدها وهما سورتا هود ويونس حيث تشترك الثلاثة في أجواء النزول في مكة بعد حادثة الإسراء والمعراج والتي تعد من أحرج الفترات في تاريخ الدعوة.

٨- هناك تناسب في الإعجاز الغيبي بين سورتي يوسف وهود يمثل نموذجاً من نماذج هذا النوع من الإعجاز ودليلاً على صدق النبي محمد ﷺ.

٩- جاءت الآيات الكونية في سورة يوسف مجملة وجاءت في سورة هود مفصلة لها وبهذا لاحظت الباحثة أن بعض آيات سورة هود شارحة ومفصلة لبعض مقاطع من سورة يوسف من باب ذكر التفصيل بعد الإجمال.

١٠- لاحظت الباحثة وبالرجوع إلى كتب التفسير أن سورة القصص لم تختص إلا بهذا الاسم.

١١- عدد آيات سورة القصص تتردد بين سبع وثمانين وثمان وثمانين ومنبع الخلاف بين البصريين والكوفيين في اعتبار الحروف المقطعة في أول السورة آية أو عدم اعتبارها وتتبنى الباحثة رأي الكوفيين بأن عدد آياتها ثمان وثمانين وهو رأي جمهور المفسرين.

١٢- من خلال البحث في كتب التفسير القديمة والحديثة لم تجد الباحثة رواية صحيحة تتحدث عن فضل سورة القصص وكل ما ورد في فضلها في كتب التفسير روايات شديدة الضعف أو موضوعة حسب حكم العلماء عليها.

١٣- بعد الاطلاع والبحث في كتب التفسير وأسباب النزول لم تجد الباحثة سبب نزول عام للسورة ولكن بعض آيات السورة لها سبب نزول ذكرتها الباحثة في متن الرسالة.

١٤- سورة القصص من السور المكية التي تميّز طابعها بالاهتمام بالتوحيد وترسيخ العقيدة في نفوس أبناء الدعوة الإسلامية.

١٥- محور سورة القصص يدور حول الصراع بين الحق والباطل يمثل الحق في هذا الصراع موسى وهارون وأتباعهما ويمثل الباطل فرعون وهامان وجنودهما.

١٦- بالرجوع إلى كتب التفسير وجدت الباحثة أن هناك مناسبة بين سورة القصص وما قبلها وهي سورة النمل وما بعدها وهي سورة العنكبوت وأن سورة القصص شارحة لسورة النمل ومفصلة لبعض مجملها، كما أن سورة النمل مفصلة وشارحة لبعض مواضع من سورة القصص.

١٧- من خلال الاطلاع على كتب التفسير وجدت الباحثة أن سورة العنكبوت امتداد لأواخر سورة القصص.

١٨- الابتلاء يزيد القلوب المؤمنة الصابرة إيماناً ويجعل أصحابها يتعلقون بحبل الله واثقين بالله في تفريج كرباتهم.

١٩- إن الله يمتحن عباده في دينهم وثباتهم على الحق وقد يمتحن عباده أيضاً في شكرهم لنعمه واعترافهم بآلائه.

٢٠- إن أشد الناس ابتلاءً أكثرهم إيماناً لذلك فإن أنبياء الله قد امتحنوا بمحن من أشدِّ المحن وأجلها.

٢١- كان قارون وفرعون عبرة لمن عاش معهما وتمنى أن يكون مكانهما وعظة لمن عاش بعدهما وعلم بما حدث لهما وإن سنن الله باقية في خلقه ولا أحد بمأمن من عذابه.

٢٢- إن الخشية من عذاب الله والحياء من مراقبته هما أعلى وسام يتقلده المؤمن في هذه الحياة الدنيا.

٢٣- إن منهج القرآن الكريم في التصدي للطغيان هو منهج كامل وشامل ورادع ينتصر لأهل الحق ويسقط الباطل ولو بعد حين.

ثانياً: التوصيات:

أوصي طلاب العلم وطالبات الدراسات العليا خاصة وأهل العلم عامة بالتواصل مع موضوعات القرآن الكريم فبالرغم من كثرة ما تناوله الباحثون من موضوعات قرآنية يبقى القرآن الكريم زاخراً بالكنوز الوافرة والموضوعات الكامنة فما أحوج الأمة اليوم والإنسانية بشكل عام إلى الحلول القرآنية لمعالجة مشاكل البشرية التي جربت كل العلاجات واقتنعت بعد طـــول شقاء وقسوة تجربة بأن الإسلام هول الحل وأن القرآن هو البلسم والشفاء لأمراض الناس كافة.

الفهـــارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنيـــة

طــرف الآيــة	رقم الآية	الصفحة
﴿البقرة﴾		
[...وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]	١٥٥	٩٧
[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ...وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ]	١٥٥-١٥٦	٩٧
[...وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا...]	٢١٦	٩٧
﴿آل عمران﴾		
[وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ...]	١٠٣	٩٣
[وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا...]	١٣٩	١٢٠
﴿الأنفال﴾		
[وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ...]	٣٠	٢١
[وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ...]	٤٦	٩٣
﴿التوبة﴾		
[مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...]	١١٣	١١٢،٣٤
﴿يونس﴾		
[الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ]	١	١٤
[وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا القُرُونَ...]	١٣	٣٦
[وَمَا كَانَ هَذَا القُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى...إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]	٣٧-٣٨	١٩
[وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ...]	٦١	٧١
[فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ...]	٩٢	١٣٨
[قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ...]	١٠٨	٢٠
﴿هود﴾		
[الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ...]	١	٢٤
[فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ...]	١٢	٢٠
[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ...]	١٣	٢٤،١٩
[أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ...]	١٧	٢٠
[وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ...]	٢٩	٢١
[تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ...]	٤٩	٢٣
[وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ...]	٥٢	٢٣
[وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...]	٦١	٢٣
[وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ...]	٧١	٢٣
[قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ...]	٧٣	٢٣ ،٢٤
[ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ القُرَى...]	١٠٠	٢٣
[وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ...]	١٠٢	٢٢،١٣٦
[فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ...]	١١٢	٢١

طــرف الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
[إذْ قالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ...]	٧	٤٤
[وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ...]	١٤	٤٥
[فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً...]	٥٢	٤٧
[وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ...مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ]	٥٨-٥٤	٤٨
[أَمَّنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ...]	٦٤	٤٧
﴿النمل﴾		
[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ]	٦٨-٦٧	٤٧
[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا...عَاقِبَةُ المُجْرِمِينَ]	٦٩-٦٧	٤٣
[وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ...]	٧٠	٤٥
[وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ]	٧٧	٤٦
[وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ...]	٨٢	٤٢
[وَيَوْمَ نَحْشُرُ...لَا يَنْطِقُونَ]	٨٥-٨٣	٤٣
[وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ...]	٨٧	٤٧، ٤٢
[...لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]	٨٨	٥٦
[مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ...مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ]	٩٠-٨٩	٤٦، ٤٨
[وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ...]	٩٠	٤٢
[إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ البَلْدَةِ...]	٩١	٤٢
[وَأَنْ أَتْلُوَ القُرْآنَ...]	٩٢	٤٨
[وَقُلِ الحَمْدُ للهِ...]	٩٣	٩٣،٤٩
﴿القصص﴾		
[طسم ...الْكِتَابِ الْمُبِينِ]	٢-١	٢٦، ١٤٦
[طسم ...بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ]	٦-١	٤٣، ٥٥

طــرف الآيـــة	رقم الآية	الصفحة
[...سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ]	٥٥	٣٢
[إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...]	٥٦	٣٣، ٣٤، ٤٦
[وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِع الهُدَى...]	٥٧	٣٤، ٥٣، ٥٤، ١١٤
[إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ...]	٥٨	٣٢، ٣٤، ٥٦،٥٧
[وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى...]	٥٩	١٣٧
﴿القصص﴾		
[أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا...]	٦١	٣٤
[وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ...]	٦٢	٤٧
[قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ...لَا يَتَسَاءَلُونَ]	٦٣-٦٦	٤٧
[وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...]	٧٠	٤٢
[قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ...]	٧١	٥٤
[وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا...]	٧٥	١١٤
[إنّ قارون كان مِنْ قَوْمِ مُوسَى]	٧٦	١٠٧،١٠٨
[وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ ...]	٧٧	١٠٨
[قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ...]	٧٨	٣٦، ٤٣، ١٠٩، ١٣٩
[فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ...وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ]	٧٩-٨٠	١٠٧-١٠٩
[وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ...]	٨٠	٣٦
[فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ...]	٨١	٤٣، ١٠٩، ١٣٩
[وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ...]	٨٢	٥٣، ١٣٩
[مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ...]	٨٤	٤٦
[مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ...فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ]	٨٤-٨٥	٤٣
[إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ...]	٨٥	٤٦، ٥٠، ٥٦، ٥٧
[إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ...وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]	٨٥-٨٨	٥٥-٥٦
[وَمَا كُنْتَ تَرْجُو...]	٨٦	٤٦، ٥٤
[وَمَا كُنْتَ تَرْجُو...وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ]	٨٦-٨٧	٣٦-٥٥
[وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ...]	٨٧	٣٦، ٤٢، ٥١، ٥٥،٥٦،٥٤
[...كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ...]	٨٨	٣٣، ٣٧، ٤٧ ٥٦،٥٥،٥١،٥٠،٤٢،٤١
[وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ...وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]	٨٧-٨٨	٥٦
﴿العنكبوت﴾		
[الم ...لَا يُفْتَنُونَ]	١-٢	٥٠
[...فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا...]	٣	٥٠، ٥١، ٥٢

ثانياً: فهرس الأحاديث النــبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. **إتقان البرهان في علوم القرآن**، لفضل حسن عباس، ط١، دار الفرقان.
2. **الإتقان في علوم القرآن**، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدّين السيوطي، بدون طبعة، ١٣٩٤هـ - ٢٠٠٣م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
3. **أحكام القرآن**، للإمام أبي بكر أحمد الرازي الجصاص (ت٣٧٠هـ)، مراجعة: صدقي محمد جميل، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، دار الفكر، بيروت، لبنان
4. **أساس البلاغة**، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، بدون طبعة، ١٩٥٣م، مطبعة أورخان بالقاهرة.
5. **الأساس في السنة وفقهها**، لسعيد حوى، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار السلام.
6. **أسباب النزول**، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، اعتني به: وليد الذكري، بدون طبعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
7. **أسباب النزول**، للإمام السيوطي، ط١، ١٤١٣هـ - ٢٠٠٢م، دار الفجر للتراث، القاهرة.
8. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، بدون طبعة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار الفكر، بيروت.
9. **أسرار ترتيب القرآن**، للعلامة عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري بن الفخر السيوطي، ط١، ١٩٨٧م، دار الاعتصام، القاهرة.
10. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، بدون طبعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض.
11. **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، لخير الدين الزركلي، ط٥، مايو ١٩٥٠م، دار العلم للملايين، بيروت.
12. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ)، وبهامشه حاشية العلامة أبي الفضل القرشي الصديقي

الخطيب المشهور بالكازوروني، تحقيق: الشيخ عبد القادر عرفات، بدون طبعة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٣. **البحر المحيط**، لمحمد يوسف الشهير ابن حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤-٧٥٤هـ)، بدون طبعة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٤. **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بدون طبعة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت

١٥. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، لمجد الدين محمد ين يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١٦. **البيان في عد آي القرآن**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، ط١، مركز المخطوطات والتراث، الكويت.

١٧. **تاريخ الرسل والملوك**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط٦، ١١١٩م، دار المعارف، القاهرة.

١٨. **تاريخ الهجرة النبوية وبدء الإسلام**، لمحمود علي السلاوي، ط١، الأزهر، ١٣٤٦هـ – ١٩٢٧، مطبعة الاعتماد، الأزهر.

١٩. **التحرير والتنوير**، للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت٦٧١هـ)، بدون طبعة، ١٩٩٧م، دار مصر للطباعة، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٢٠. **تفسير الجلالين**، للسيوطي، تفسير الإمامين جلال الدّين بن أحمد المحلّي والعلاّمة جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت

٢١. **تفسير الشعراوي**، للإمام محمد متولي الشعراوي، ط١، أخبار اليوم، إدارة الكتب.

٢٢. **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، بدون طبعة.

٢٣. **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدّمشقي، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، دار الحديث، القاهرة.

٢٤. **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، للإمام الفخر الرازي، ط٢، دار الكتب العلمية، طهران.

٢٥. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، بون طبعة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا.

٢٦. **التفسير الوسيط**، د. وهبة الزحيلي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار الفكر، دمشق، بيروت.

٢٧. **التفسير الوسيط**، لمحمد سيد طنطاوي، بدون طبعة، ١٩٧٧م، مطبعة السعادة، القاهرة.

٢٨. **تهذيب الأسماء واللغات**، للإمام محي الدّين النووي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٩. **تهذيب سيرة ابن هشام**، لعبد السلام هارون، بدون طبعة، دار سعد للنشر.

٣٠. **جامع البيان عن تأويل آي القران**، للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣١. **جامع النقول في أسباب النزول وشروح آياتها**، لابن خليفة عليوي، ط١، ١٤٠٤هـ، مطابع الإشعاع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٢. **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بدون طبعة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٣. **جمل من أنساب الأشراف**، لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود البغدادي البلاذري، تحقيق: سهيل زكار، محقق مشارك: رياض زركل، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣٤. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: أبو أحمد الغماري الإدريسي الحسيني، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٥. **خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر**، لأحمد محمد عساف، بدون طبعة، ١٩٠٠م.

٣٦. **الدر المصون**، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخرّاط، بدون طبعة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، دار القلم، دمشق.

٣٧. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ضبط النص والتنقيح وإسناد الآيات ووضع الحواشي والفهارس بإشراف، بدون طبعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار الفكر، بيروت.

٣٨. **دراسة في السيرة**، لعماد الدين خليل، ط١، ١٤١٨هـ، دار النفائس، بيروت، لبنان.

٣٩. **الرحيق المختوم**، لصفي الرحمن المباركفوري، ط١٩، دار الوفاء، مصر.

٤٠. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، قرأه وصححه: محمد حسين عرب، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٤١. **زاد المسير في علم** التفسير، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٢. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن القيم شمس الدين أبو عبد الله بن بكر بن أيوب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، بدون طبعة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية

٤٣. **السراج المنير**، لمحمد بن أحمد الشربيني، ط٢، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤٤. **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت٢٧٥هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط٢، ١٤٢٧هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

٤٥. **سنن الترمذي**، للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتني به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠١م، مكتبة المعارف، الرياض.

٤٦. **سنن الدارمي**، للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (١٨١-٢٥٥هـ)، حققه وخرج أحاديثه وفهرسه: فواز أحمد زمرلي، ط٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٧. **سورة القصص: دراسة تحليلية وموضوعية**، إعداد محمود عبد الخالق خلّة، بدون طبعة، ١٤٢٣هـ، رسالة ماجستير غير منشورة،

٤٨. **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**، لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، بدون طبعة، المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان.

٤٩. **السيرة النبوية**، أبي عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق: جمال ثابت، محمد محمود، سيد إبراهيم، بدون طبعة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، دار الحديث، القاهرة.

٥٠. **السيرة النبوية**، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بدون طبعة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، عيسى البابي الحلبي وشركائه.

٥١. **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري، بدون طبعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٥٢. **صحيح السيرة النبوية**، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٤٢١هـ، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن.

٥٣. **صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، دار ابن رجب، المنصورة.

٥٤. **صفوة التفاسير**، لمحمد علي الصابوني، ط١، ١٤١٦هـ، دار السلام.

٥٥. **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، بدون طبعة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٥٦. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، تحقيق: عبد العزيز عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٧. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٥هـ)، ط٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، حققه وخرج أحاديثه: أبو حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث، القاهرة.

٥٨. **في ظلال القرآن**، لسيّد قطب، ط٥، ١٣٨٦هـ - ١٩٩٧م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٥٩. **القاموس المحيط**، للفيروز آبادي العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب، ط١، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦٠. **القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، لمحمد رشيد رضا، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٦١. **قصص الأنبياء والمرسلين**، للشيخ محمد متولي الشعراوي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، المكتبة العصرية للنشر، صيدا، بيروت.

٦٢. **قصص الأنبياء**، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م، دار البيان الحديثة، القاهرة.

٦٣. **قصص القرآن**، لفضل عباس، ط٢، ٢٠٠٧م، دار النفائس، بيروت.
٦٤. **القصص القرآني**، للدكتور أحمد الكبيسي، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة.
٦٥. **الكامل في التاريخ**، لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، بدون طبعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار صادر، بيروت.
٦٦. **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، بدون طبعة، دار الفكر.
٦٧. **لباب النقول في أسباب النزول**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، المكتبة القيمة، القاهرة.
٦٨. **لسان العرب**، لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب، هاشم محمد الشاذلي، بدون طبعة، دار المعارف.
٦٩. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، بتحرير: الحافظين العراقي وابن حجر، بدون طبعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.
٧٠. **مجموع الفتاوى**، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧١. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية، لبنان.
٧٢. **محيط المحيط**، للمعلم بطرس البستاني، بدون طبعة، ١٩٨٧م، بيروت، دائرة المعاجم، ساحة الرياض.
٧٣. **مختار الصحاح**، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرّازي، تحقيق: محمود خاطر، بدون طبعة، دار الفكر، بيروت.
٧٤. **مختصر سيرة الرسول ﷺ**، لمحمد بن عبد الوهاب بن سلمان التميمي، حققه عبد الرحمن بن ناصر البراك وغيره، جامعة الإمام محمد بن سعود، بدون طبعة، الرياض، السعودية.
٧٥. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، للإمام عبد الله بن أحمد النسفي (ت٧٠١هـ)، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار النفائس.
٧٦. **مدرسة الأنبياء عبر وأضواء**، لمحمد بسام رشدي الزين، ط١، ٢٠٠٠م، دار الفكر بيروت، ودار الفكر، سوريا.

٧٧. **مرويات الإمام أحمد بن حنبل**، جمع وتخريج: أحمد أحمد البنورة، محمد بن رزق بن الطرهوني، حكمت بشير ياسين، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، مكتبة المؤيد، السعودية.
٧٨. **المستدرك على الصحيحين**، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٩. **المستدرك على الصحيحين**، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، بدون طبعة، دار المعرفة، بيروت.
٨٠. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (ت٢٤١هـ)، رقّم أحاديثه: محمد عبد السلام الشافعي، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٨١. **معالم التنزيل في التفسير والتأويل**، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، بدون طبعة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٨٢. **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٣. **المعجم الكبير**، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، دار إحياء التراث العربي.
٨٤. **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، حققه: عبد السلام هارون، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار الجيل، بيروت.
٨٥. **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، للراغب الأصفهاني، ط٣، ٢٠٠٢م، دار القلم، دمشق.
٨٦. **المفردات في غريب القرآن**، لابن فارس، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط١، دار المعرفة.
٨٧. **مناهل العرفان**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، بإشراف مكتب البحث والدراسات، بدون طبعة، دار الفكر.
٨٨. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، ط٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٩. **النكت والعيون**، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٣٦٤ - ٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م،، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٩٠. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار القلم، دمشق، الدار الشامية للطباعة والنشر، بيروت.

خامســاً: فـــهــرس المــوضــوعات

ملخــص الدراســة

اهتمت هذه الرسالة بإبراز المحن والابتلاءات في سورتي يوسف والقصص وأظهرت الباحثة منهج القرآن الكريم في التصوير للطغيان.

وقد تكوّن هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة على النحو التالي:-

المقدمة واشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: وقفات مع معاني المحن والابتلاء واشتمل على تعريف المحنة لغةً واصطلاحاً والعلاقة بينهما، وتعريف الابتلاء لغةً واصطلاحاً والعلاقة بينهما.

الفصل الأول: بين يدي سورتي يوسف والقصص واشتمل على مبحثين وهما: بين يدي سورة يوسف، وبين يدي سورة القصص.

الفصل الثاني: المحن والابتلاءات في سورتي يوسف والقصص واشتمل على مبحثين، هما المحسن والابتلاءات في سورة يوسف والمحن والابتلاءات في سورة القصص.

الفصل الثالث: المنهج القرآني في التصدي للطغيان واشتمل على مبحثين، هما المنهج القرآني في التصدي للطغيان في ضوء سورة يوسف والمنهج القرآني في التصدي للطغيان في ضوء سورة القصص.

الخاتمة: واشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

Abstract

Paid attention to the message by highlighting the trials and tribulations in the Koranic Joseph and the stories and showed the researcher approach the Qur'an in the imaging of tyranny.

This research may be of introduction, three chapters and a conclusion as follows: -
Submitted and included on the importance of the subject, and the reasons for his choice, and objectives of the research and previous studies, and research methodology.

Boot: and stops with the meanings of the trials and tribulations, and included language on the definition of adversity and idiomatically and the relationship between them, and the definition of language and idiomatically trials and the relationship between them.
Chapter I: in the hands of Joseph and Koranic stories and included two sections, namely: in the hands of Al-Yousef, and in the hands of Al stories.
Chapter II: The trials and tribulations in the Koranic Joseph and stories and includes two, two trials and tribulations in Surat Yusuf and the trials and tribulations in Surat stories.
Chapter Three: The Quranic approach in dealing with tyranny and included two sections, namely, the Qur'anic approachin addressing with the tyranny in the light of Surah Yusuf and Quranic approachin addressing with the tyranny in the light of Al stories .
The conclusion: the most important findings and recommendations